

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

مَجْلَدُ الْمَلَكِ لَا يُدْرِكُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء السابع والتسعون بعد المائة

الآية (١٨٢) سورة آل عمران

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح

أساذلفه والاصول والتفسير والاعمال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله العزيز الجبار ، يكور الليل على النهار ، ويغشى النهار الليل فيغييه ، ويجعلهما مجتمعين ومتفرقين تذكرة وموعظة ، وتبصرة لذوي الألباب .

واشهد الا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

الحمد لله الرؤوف الرحيم الذي قرن النبوة والتنزيل بأول وجود للإنسان في الأرض وإذ غادر شخص النبوة الأرض بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانقطاع الوحي برحيله إلى الرفيق الأعلى .
فإن التنزيل بقى ثروة وذخيرة في الأرض ، وأبى الله عز وجل إلا أن يكون مقسماً إلى مائة وأربع عشرة سورة ، وكل سورة من آيات متعددة ، وقد تكون كلمات آية واحدة أكثر من كلمات سورتين أو أكثر من قصار السور كما في آية الدين وعدد كلماتها (١٢٩) كلمة ، وعدد حروفها (٥٥١) حرفاً .

وهناك ثلاث وثلاثون سورة من القرآن أقل في عدد كلماتها من آية الدين .

وحروف هذه الآية أكثر من عدد حروف عدة سور مجتمعات وهي :

الأولى : سورة العصر .

الثانية : سورة قريش .

الثالثة : سورة الكوثر .

الرابعة : سورة النصر .

الخامسة : سورة المسد .

السادسة : سورة الإخلاص .

السابعة : سورة الفلق .

الثامنة : سورة الناس .

وهو من إعجاز القرآن وفيه دعوة لإستنباط المسائل من ذخائر العدد في القرآن ، وسيأتي جدول في عدد حروف سور القرآن ^(١).

من خصائص الأنبياء غرس وتعاهد ونماء شجرة السلم ، وإتحاذ الرفق والتودد إلى الناس والتيسير منهاجاً وتعصيماً للدعوة إلى الله والموعظة بالحكمة وإجتنب التنفير ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ ^(٢).

ولكن مشركي قريش أصرّوا على محاربة النبوة والتزليل ، فنزلت آيات القرآن والوعيد لهم ، والإنذار للذين يسعون في إعانتهم ونصرتهم ومنها الآية التي جاء هذا الجزء وهو السابع والتسعون بعد المائة من معالم الإيمان خاصاً بتفسيرها وهي ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(٣).

ولم يرد لفظ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ ^(٤) في القرآن إلا مرة واحدة قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ

(١) انظر ص من هذا الجزء.

(٢) سورة النحل ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران ١٨٢.

(٤) سورة البقرة ٨٣ .

وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ أي ليس في الأمر بالقول إلا بالحسن وورد قبل هذا الأمر وجوب عبادة الله وحده والإحسان للوالدين ، واقترن هذا الأمر بوجوب أداء الصلاة وإتيان الزكاة وصحيح أن الآية وثيقة سماوية في الخطاب إلى بني إسرائيل إلا أنه من قوانين الإرادة التكوينية الشاملة للمؤمنين في كل زمان ، والتقيد بمضامين الآية أعلاه أمن وسلامة ونجاة من العذاب الذي تذكره آية البحث ومن مفاهيمها لزوم تعاهد سنن التوحيد ، والبعث على تقديم العمل الصالح .

لقد ابتدأت آية البحث باسم الإشارة (ذلك) ويكون موضوعه ومتعلقه بلحاظ الآية السابقة على وجوه :

الأول : تقديم الجمع بين الآيتين ، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ (٢).

فمع أن قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ لفظ وقول فان آية البحث ذكرت تقديم الأيدي وعالم الفعل لبيان الاتحاد في عالم الحساب بين القول والفعل ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٣) بالإضافة إلى ترتب الفعل على القول واللفظ ، فإذا كان القول حسناً فان الفعل الحسن يترشح عنه من ذات المتكلم وغيره ، وكذا العكس .

ليان قانون وهو أن تقدير قوله تعالى ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ أي بما قلتم ان الله فقير ، وما يترشح عن هذا القول من العتو والغرور والإمتناع عن

(١) سورة البقرة ٨٣.

(٢) سورة آل عمران ١٨١-١٨٢ .

(٣) سورة ق ١٨.

الإتفاق في سبيل الله ، وعن إخراج حق الفقراء والمساكين من المال الخاص.

ومن معاني الآية أن قول الذين كفروا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ بسبب ما قدمت أيديهم ، أي أن هذا القول نتيجة لسوء عملهم ، مثلما هو سبب لسوء الفعل هذا .

وهل يلزم الدور ، الجواب لا ، للتباين الجهتي في الموضوع ، وتداخل الحقائق في المركب وفق مصطلح علم الأصول ، إذ أن المركب أعم من أن يكون محدوداً .

ويكون المركب في اصطلاح علم المنطق من جنس وفصل إذ أن المركب التام هو الذي يفيد معنى مفيداً يصح السكوت عليه مثل : الصوم جنة ، والمركب الناقص هو الذي لا يحسن السكوت عليه ، مثل : عدد ركعات صلاة الظهر ، ويسكت من غير بيان العدد وأنه أربعة .

ونقترح توحيد مصطلحات العلوم باللغة والعلوم الأخرى ، بما يساعد طلاب العلم ويخفف عن المحققين والباحثين ، ويطرد السأم ، خاصة وأن العلم والتحقيق أخذ صفة الشمولية في هذا الزمان فالذي يدرس الفقه يستعين بعلم الأصول والكلام وقد يلجأ إلى المنطق ، والفلسفة ، وهكذا . ومن خصائص لغة القرآن المندوحة والسعة في المعاني المتكثرة ، ومن إعجاز الآية السابقة ذكر القول كمتعلق لسماع الله بقوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ

قَوْلَ﴾^(١) ، لبيان مسائل :

الأولى : نطق الكفار بقول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

الثانية : تعدد قول الكفار ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ لبيان رحمة الله بالناس ، وإمهاله للذين كفروا ، فلم تنزل الآية حالما نطق بعضهم بهذا القول ، ولم ينزل بهم العذاب عندما كثر القائلين به ، إنما تكرر هذا القول منهم ، فأنزل الله عز وجل آية السياق ، ولا يتعارض مع هذا المعنى ما ذكر من أسباب النزول والتي تفيد تعدد القائلين به^(١).

والله عز وجل له ملك السموات والأرض ، ثم أن هذا القول الصادر من الكفار لا ينحصر بأيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما ذكره إنما يستقرض الفقير من الغني عندما نزل قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

وشملت الآية سوء فعلهم بقتلهم الأنبياء وليس من نبي آخر في أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لذا قيل المراد أنهم كانوا راضين بما فعله الذين أقدموا على قتل الأنبياء من قبل ، والمختار حمل الكلام العربي على ظاهره ، فالمراد الذم والوعيد على ذات قتل الأنبياء ، ويكون الجمع بين الأمرين في الآية على وجوه :

الأول : قوم في أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قالوا (ان الله فقير).

الثاني : قوم من الأمم السالفة قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾^(٣).

الثالث : جماعة من الأمم السالفة أقدموا على قتل الأنبياء.

(١) أنظر تفسير الطبري ٤٤٤/٧.

(٢) سورة البقرة ٢٤٥.

(٣) سورة آل عمران ١٨١.

الرابع : قوم في أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سعوا في قتله ، وعليه شواهد عديدة ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

الخامس : طائفة من الأمم السالفة جمعوا بين أمرين :
أولاً : قولهم (ان الله فقير).

ثانياً : قتل الأنبياء في زمانهم لدعوتهم إلى التوحيد وإلى دفع الزكاة والحقوق الشرعية.

ليبان مسألة وهي أن النبي محمداً في دعوته لإخراج الزكاة عرض نفسه للقتل من قبل الذين كفروا ويأبون إخراج الحق من أموالهم ، ولإقامة الحجة عليه ولقتلهم عدداً من الأنبياء في هذا السبيل .

ولأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين تفضل الله وعصمه من القتل وجعل قيامه بالتبليغ مدة نزول القرآن ، وهو من أسرار جعل نزول القرآن على نحو النجوم والتدرج والتتابع ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

فمن عصمة الله عز وجل للنبي في المقام نزول القرآن بدم الذين كفروا ، وأنهم يقولون (إن الله فقير) وأنهم أغنياء ، وهم على استعداد لقتل النبي قال تعالى ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ^(١)، فان قلت ما هو الدليل على جمعهم بين الإمتناع عن الزكاة وإرادة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الجواب من وجوه:

أولاً : إمتناع الكفار عن الإيمان والإقرار بالتوحيد .

ثانياً : نصب الكفار الأصنام في المسجد الحرام .

ثالثاً : إصرار قريش على القتال في معركة بدر التي وقعت في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة .

رابعاً : غزو المشركين للمدينة في معركة أحد ، وإرادتهم قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وهل كان نزول فريضة الزكاة قبل معركة أحد أم أنها نزلت بعدها ، الجواب هو الأول إذ أنها فرضت بالمدينة في شهر شوال من السنة الثانية للهجرة بينما وقعت معركة أحد في السنة الثالثة للهجرة ، والظاهر أن الذي فرض في المدينة هو تعيين النصب ومقادير الزكاة وإلا فان أصل الزكاة مشرع قبل الهجرة النبوية وفي سورة الأنعام وهي مكية بقوله تعالى ﴿وَأَتُوا حَقَّ يَوْمٍ حَصَادِهِ﴾^(٢) وقال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٣).

وتتصف السنة الثانية للهجرة بأمور :

الأول : وقوع معركة بدر في العام السابع عشر من شهر رمضان ونصر الله للمسلمين فيها ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران ١٨٤.

(٢) سورة الأنعام ١٤١.

(٣) سورة الشمس ٩-١٠.

(٤) سورة آل عمران ١٢٣.

الثاني : فرض فريضة الصوم .

الثالث : نزول فريضة الزكاة والأرجح أن فرض الصوم قبل الزكاة ،
وقيل هي قبله .

الرابع : في شهر رجب حوّلت القبلة ، قال تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١) .

الخامس : فرض زكاة الفطر .

السادس : إبتداء قيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصلاة عيد الفطر
وصلاة عيد الأضحى .

إن عزم المشركين على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم سابق لأوان
الهجرة ، وكأنه سبب لها ، إذ اجتمع رؤساء قريش في دار الندوة
واستعرضوا الحال التي صار عليها الناس بدخول طائفة منهم الإسلام ،
وقيام أفراد منهم بالهجرة إلى الحبشة للنجاة بدينهم ، وإستمرار النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى الله في مكة ، وتلاوته للآيات
والسور التي تنزل عليه ، ونقل وفد الحاج والمعتمرين أنباء نبوته ، وحفظهم
لآيات القرآن وتلاوتها في مجالسهم بدلاً من الشعر الذي اعتادوا على
قراءته .

لقد حلت البشارة والإنذار من التنزيل بدل المدح والهجاء في الشعر ،
وفصاحة وبلاغة الوحي بدل أبيات الشعر التي هي من كلام البشر ،
وأدرك الناس تخلف الشعر عن معشار أسرار وذخائر التنزيل .

وقرر رؤساء قريش قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم تدارسوا الكيفية التي يتم فيها قتله ، وتتصف بمسائل :

الأولى : إختيار شاب قوي العضلات من كل قبيلة ، ولا يتم هذا الإختيار من ذات القبيلة ، إنما يتم من عامة المجتمعين لإحكام الخطة ، ومنع إختيار الذي يحتمل أنه مسلم ويخفي إسلامه فيفشي الأمر ، ويوصله إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد دخل الإسلام بيوت رؤساء قريش إذ أسلم عدد من ابنائهم من الذكور والأناث ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾^(١) ، وبدل أن يكون اسلام هؤلاء حجة على الذين كفروا ، ومناسبة لتدبرهم بحقائق التنزيل ، ومعجزات النبوة ، ويدركون حقيقة وهي ليس لهم البقاء على الكفر ، أو التوقف عن الإيمان ، واختيار البرزخ بين الإيمان والكفر، فليس من وسط وبرزخ بينهما ، لذا جاء الإخبار عن حال الناس يوم القيامة ، قال تعالى ﴿وَنُنذِرُ يَوْمَ الْجُمُعِ لَأَرِيبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٢).

الثانية : تسليح كل واحد من هؤلاء الفتية وبسيف غضب ليهجموا عليه في الليل ، ويقطعوه ويتوزع دمه على القبائل ، فلا يقدر بنو هاشم على محاربة أفخاذ قريش كلها فيرضون بأخذ الدية .

لقد أرادوا التخلص من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بسرعة ، وقطع سبيل التنزيل ، ومنع ميل الناس إلى الإسلام ودخولهم فيه ، فنزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتلا عليه قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ

(١) سورة طه ٣٧.

(٢) سورة الشورى ٧.

الْمَاكِزِينَ ﴿١﴾، وأخبره عما اتفق عليه رؤساء قريش ، وكيف أنهم إختاروا إختاروا الأفراد الذين يقومون بقتله ، وتعيينهم ذات الليلة لتنفيذ الإغتيال ، وأمره بالهجرة إلى المدينة ، فتظاهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يأوى إلى فراشه لصرفهم عن وضع الرصد في طرقات مكة ومداخلها ويبيت الإمام علي عليه السلام في فراشه .

وتسمى مكة باسماء منها :

الأول : أم القرى .

الثاني : بكة ، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا

وَهَدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ .

الثالث : البلد الأمين .

الرابع : البلد الآمن .

ولمكة ثلاث مداخل هي :

الأول : المعلاة ويعرف بالجحود .

الثاني : المسفلة .

الثالث : الشبيكة .

لقد كانوا يخشون هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة بعد أمور :

الأول : هجرة عدد من الصحابة إلى الحبشة .

الثاني : عقد بيعة العقبة الأولى والثانية ، ووجود أنصار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة يثرب .

(١) سورة الأنفال ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران ٩٦ .

وعن الصحابي كعب بن مالك قال ، (فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَتْ عَلَيْنَا جُلَّةُ قُرَيْشٍ ، حَتَّى جَاءُونَا فِي مَنَازِلِنَا ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا ، وَتُبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مِنْ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْغَضَ إِلَيْنَا ، أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْكُمْ .

قَالَ فَانْبَعَثَ مِنْ هُنَاكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٍ وَمَا عَلِمْنَاهُ . قَالَ وَقَدْ صَدَقُوا ، لَمْ يَعْلَمُوهُ . قَالَ وَبَعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ .

قَالَ ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ وَفِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ ، وَعَلَيْهِ نَعْلَانِ لَهُ جَدِيدَانِ قَالَ فَقُلْتُ لَهُ كَلِمَةٌ - كَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْرَكَ الْقَوْمَ بِهَا فِيمَا قَالُوا - : يَا أَبَا جَابِرٍ أَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَّخِذَ وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا ، مِثْلَ نَعْلِي هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ ؟ .

قَالَ فَسَمِعَهَا الْحَارِثُ فَخَلَعَهُمَا مِنْ رِجْلَيْهِ ثُمَّ رَمَى بِهِمَا إِلَيَّ وَقَالَ وَاللَّهِ لَتَنْتَعِلَنَّهُمَا . قَالَ يَقُولُ أَبُو جَابِرٍ مَهْ أَحْفَظْتُ وَاللَّهِ الْفَتَى ، فَارْدُدْ إِلَيْهِ نَعْلَيْهِ . قَالَ قُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أُرَدُّهُمَا ، قَالَ وَاللَّهِ صَالِحٌ لِّئِنْ صَدَقَ الْفَالُ لَأَسْلُبْنَهُ^(١) . وقد حضر الحارث بن هشام وهو أخو أبي جهل معركة بدر كافرا ، وفر منها تاركاً متاعه ، ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه .

الثالث : هجرة عدد من الصحابة إلى المدينة واستضافتهم من قبل الأنصار ، وإجهارهم بالدعوة إلى الإسلام ، ووجود استجابة لهذه الدعوة بين أهل المدينة غير أصحاب بيعة العقبة إذ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير سفيراً له إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية ليقوم بأمور :

الأول : بقرئ مصعب الأنصار القرآن .

الثاني : تفقه الأنصار في الدين ، وأحكام الحلال والحرام ، وكان مصعب يسمى (القارئ المقرئ) ^(١).

الثالث : إقامة صلاة الجماعة في المدينة ، وقيل هو أول من صلى الجمعة في المدينة قبل الهجرة .

الرابع : مفاتحة رؤساء ووجهاء وأهل المدينة لدخول الإسلام .
الخامس : الإحتجاج وبيان صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

السادس : تهيئة مقدمات مجئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً ، وقيل عاد مصعب مع الأنصار في موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة أشهر ، حيث تمت بيعة العقبة الكبرى الثالثة (ثم لما وقعت في ذي الحجة من السنة الثالثة عشرة من النبوة قبل الهجرة بثلاثة أشهر بيعة العقبة الكبرى الثالثة، قدم مكة في موسم الحج قريب من خمسمائة نفر. وفي رواية: ثلاثمائة نفر من الأوس والخزرج.

وخرج معهم مصعب بن عمير إلى مكة، اتفق منهم سبعون رجلاً، قال ابن إسحاق: ثلاثة وسبعون نفساً لاقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوعدهم أن يحضروا العقبة في الليلة الثانية من ليالي التشريق؛ فكانت تلك الليلة هي ليلة العقبة الكبرى الثالثة، وهي معروفة بمبينة) ^(٢).

وعندما وصل مصعب بن عمير إلى المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل في ضيافة أسعد بن زرارة من وجوه الخزرج وهو من الستة الذين أسلموا أولاً على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان أسعد يوم أسلم لم يتجاوز ثلاثين سنة .

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٤٦٣/١.

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ١٤٣/١.

فكانا يذهبان معاً إلى مجالس وبيوت الأوس والخزرج ويلتقيان مع أهل المدينة في الأسواق والطرقات ليقدم أسعد مصعب الذي يتولى التعريف بالإسلام والترغيب بالإنتماء إليه ، ويتلو على الناس آيات القرآن ، ويبين لهم أذى قریش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه .
الحمد لله الذي جعل تلاوة وتعليم آيات القرآن وتفسيرها شفاء للصدور ، وبرزخاً دون السأم والملل ، وهو مناسبة للأجر والثواب .

(عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة) ^(١) .

الحمد لله الذي جعل أسماء القرآن متعددة مع أن المسمى واحد ويتلقى المسلمون هذا التعدد والكثرة بالرضا والغبطة والتدبر والتسليم بأن كل آية نازلة من عند الله ، وأن كل اسم من أسماء القرآن له دلالات متجددة إلى يوم القيامة ، ومن أسماء القرآن (الذكر) .

ليكون القرآن تبياناً لكل شيء وأن علومه متجددة ، قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ ^(٢) .

وتحتمل أسماء القرآن وفق علم الاصول وجوهاً :
الأول : أنها من النص ، وهو الذي يدل على معنى واحد ، ولا يحتمل غيره .

الثاني : من الظاهر ، وهو الذي يحتمل معنيين أو أكثر ، ولكن الظاهر والراجح من بينها واحد .

(١) الدر المنثور ٢/٢٠٩ .

(٢) سورة النحل ٨٩ .

الثالث : إفادة أسماء القرآن الإجمال ، وكل اسم منها مجمل يفيد عدة معان .

الرابع : التعدد والتباين بين معاني أسماء القرآن ، فمنها ما هو نص ، ومنها ما هو ظاهر ، ومنها ما هو مجمل .

أما من جهة المسمى فهو واحد ، فتعدد الإحتمال هنا صغروي ، لأنها تدل على إرادة القرآن ، أما من جهة المعنى والدلالة فكل اسم له معاني ووجوه متعددة .

الحمد لله الذي جعل القرآن مائدة السماء والصلة بينه وبين الناس ، فقد انقطعت النبوة لإنتقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى .

وسياتي التفصيل في قانون الخلافة وعد^(١) في هذا الجزء .

الحمد لله الذي بعث النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى ودين الحق وأظهره على الدين ، وإنقادت له شؤون الناس في الجزيرة بعد أن آذاه وأهل بيته وأصحابه مشركوا قريش حتى إذا ما استنفدوا السبل التي تمنعه من تبليغ رسالته عزموا على قتله في فراشه .

ولم يصدر هذا التدبير من المكر من جماعة أو قبيلة واحدة من قريش كما في الذين عقروا ناقة صالح مع أنها آية ظاهرة ، قال تعالى ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ الرَّهْطِ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(٢) إنما اتفقت قبائل وبيوتات قريش على قتله والمشاركة بهذا القتل كي يعجز بنو هاشم عن الأخذ بثأره فيرضون بالدية .

(١) أنظر ٢٢٩ من هذا الجزء .

(٢) سورة النمل ٤٨ .

ولحساب العقل ، والرهبة التي أصابت الكفار قبل أن يقدموا على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولحضور معجزاته بين الناس ، وفي الوجود الذهني لأهل مكة مجتمعين ومتفرقين أخزاهم الله .

ولم يعلموا أن الله عز وجل أبى إلا أن يحفظ نبيه حتى يهم نزول القرآن ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) .

ولقد أنعم الله عز وجل علينا بصدور هذا الجزء من تفسيرنا للقرآن وهو السابع والتسعون بعد المائة ويختص بتفسير آية واحدة من سورة آل عمران تتألف من بضع كلمات ، وهو قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢) .

وأقوم بتأليف ومراجعة وتصحيح أجزاء التفسير بمفردي والحمد لله وإلى أن ترى النور ، وكذا بالنسبة لكتبي الفقهية والأصولية والكلامية .

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٣) ويتضمن هذا الجزء الإعراب واللغة وباب سياق الآيات والصلة بين آية البحث والآيات المجاورة والمسائل المستنبطة من نظم آيات وإعجاز الآية وهو علم جديد شرع في هذا السفر وقد جعلته على بابين :

الأول : إعجاز الآية الذاتي .

الثاني : إعجاز الآية الغيري .

(١) سورة المائدة ٦٧ .

(٢) سورة الأنفال ٥١ .

(٣) سورة النحل ١٨ .

ويتضمن أبواباً متعددة ثابتة في تفسير كل آية ، وقد أشرنا إليها في الفهرس مع أرقام الصفحات الخاصة بها ، إلى جانب تفسير الآية وعلم المناسبة والبحث البلاغي ، كما تضمن هذا الجزء عدة قوانين وهي :

الأول : قانون المجمل والمبين ^(١).

الثاني : قانون لزوم القراءة في الإسلام ^(٢).

الثالث : قانون الموعظة في اسم القيامة ^(٣).

الرابع : قانون دعاء النبي لأولاد الأنصار ^(٤).

الخامس : قانون الخلافة وعد ^(٥).

السادس : قانون ذكر اسم لفظ الجلالة في الآية القرآنية ^(٦).

الحمد لله الذي جعل القرآن كتاب الدعوة إلى الجنة والبشارة باللبث الدائم فيها للمؤمنين ، وهو إنذار من النار ، وأخبر بلزوم إصلاح الذات والعيال للنجاة منها ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(٧).

وتحتمل آية البحث التي اختص بتفسيرها هذا الجزء وجوهاً :

الأول : إنها من الدعوة إلى الجنة .

(١) أنظر ص ١٨ من هذا الجزء .

(٢) أنظر ص ١٦٧ من هذا الجزء .

(٣) أنظر ص ١٩٠ من هذا الجزء .

(٤) أنظر ص ٢٠٤ من هذا الجزء .

(٥) أنظر ص ٢٢٧ من هذا الجزء .

(٦) أنظر ص ٢٣٨ من هذا الجزء .

(٧) سورة التحريم ٦.

الثاني : هذه الآية بشارة اللبث في الجنة .

الثالث : هذه الآية إنذار من النار .

الرابع : آية البحث هداية وسبيل صلاح .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها من مصاديق آية البحث ويبين هذا الجزء شذرات منها مع الإقرار بالعجز عن الإحاطة بمعشار المسائل والدلائل التي تتضمنها آية البحث ، فهي خزينة تستنبط منها العلوم إلى يوم القيامة إلى جانب تجدد واستمرار استقراء المسائل منها .

ومن الصلة بينها وبين آيات القرآن الأخرى وإلى يوم القيامة ..
(وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : مُثِّلَ الإنسان والأمل والأجل ، فمثّل الأجل إلى جانبه ، والأمل أمامه ، فبينما هو يطلب الأمل إذ أتاه الأجل فاختلجه) ^(١).

وذكرت آية البحث الناس بصفة العبيد لبيان أنه مع التباين بين الخالق والمخلوقين والرب والمربوبين وأن الناس جميعاً عبيد داخرون لله عز وجل ، فان الله لا يظلمهم .

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : اتخذني الله عبداً قبل أن يتخذني نبياً ^(٢) . لبيان عظيم منزلة العبودية .
وفي الآية بشارة وهي أن مرتبة العبودية لله سلامة من العذاب إلا بالنسبة للذين يظلمون أنفسهم .

فالملك والسلطان المطلق لله عز وجل ومع هذا فإنه لا يظلم عبيده .

وفي التنزيل ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ^(٣).

(١) الدر المنثور ٦/٨٤.

(٢) البحار ٢٥/٢٦٥.

(٣) سورة الأنبياء ٢٣.

حرر في ٢٠٢٠/١/١

الموافق ١٤٤١/٥/٥

قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنْزَلَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَامٍ
لِّلْعَبِيدِ﴾^(١) الآية ١٨٢.

الإعراب واللغة

ذلك : ذا : اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ و(اللام) لإفادة البعد و(الكاف) للخطاب.

بما : الباء : حرف جر ، ما : حرف مصدري .

قدمت : فعل ماض ، والتاء تاء التأنيث الساكنة .

أيديكم : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء ، وهو مضاف ، والضمير (كم) مضاف إليه .

والمصدر المؤول (ما قدمت أيديكم) في محل جر بالباء ، متعلق بمحذوف خبر المبتدأ (ذلك) .

وأن الله : الواو : حرف عطف ، أن : حرف مشبه بالفعل للتوكيد .

لفظ الجلالة : اسم إن منصوب بالفتحة .
 ليس بظلام : ليس فعل ماض ناقص ، واسمه ضمير مستتر تقديره هو .
 الباء : حرف جر زائد .
 ظلام : اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ليس .
 للعبيد : اللام حرف جر .
 العبيد : اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً مفعول به لصيغة المبالغة ظلام .
 والباء للسببية ، ويخاطب الله عز وجل الذين كفروا بأن العذاب الذي
 ترونه يوم القيامة سبب سوء فعلكم وإختياركم التعدي والظلم ، ومنه
 القول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ وَخَسٌ أَغْنِيَاءُ﴾ ومنه قتل الأنبياء بغير حق ، لأن الآية
 السابقة تقول ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ وَخَسٌ أَغْنِيَاءُ سَنَكُوبُ
 مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾^(١) .
 وعطفت آية البحث ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ بَظْلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢) على الجار والمجرور
 وسبب العذاب لبيان قانون وهو أن الله عز وجل عادل ومن عدله نزول
 العذاب بالذين كفروا يوم القيامة ، قال تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ
 يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) .
 لتتضمن الآية الإنذار والوعيد بأن من عدل الله أن يلقي الكفار
 العذاب يوم القيامة ، ويمكن إيجاد مصطلح جديد في العطف ، وهو عطف
 السببية .

بحث في اسم الإشارة

(١) سورة آل عمران ١٨١ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٢ .

(٣) سورة الزمر ٩ .

ابتدأت آية البحث باسم الإشارة (ذلك) واسم الإشارة من المعارف الستة ، ومن الاسماء المخصصة التي تدل على معنى محسوس مشار إليه سواء كان حاضراً ، أو معنوياً أو موجوداً في الأذهان بحيث يكون اسم الإشارة تذكيراً به ، واستحضاراً لمعناه.

وتتعدد أسماء الإشارة بلحاظ المشار إليه ، من وجوه :

الأول : اسم الإشارة للفرد المذكر ، وهو على شعبتين :

الأولى : اسم الإشارة (هذا) للفرد المذكر القريب ، كما في قوله تعالى

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾^(١).

وذكرنا هذه الآية في المقام لبيان التباين والتضاد في الجزاء يوم القيامة إذ يفوز المؤمنون الذين يؤدون الفرائض العبادية بالثواب والأجر العظيم.

وباسم الإشارة (هذا) في كل نعم من الطيبات ، بينما يوبخ الله الذين كفروا باسم الإشارة ذلك ومدلوله يوم القيامة .

الثانية : اسم الإشارة (ذلك) للمفرد المذكر البعيد ، كما في قوله تعالى

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢) ، وكما في آية البحث.

ومن الإعجاز في تعدد مفاهيم اسم الإشارة في اللغة العربية أنه يشار

به ويشار إليه وإلى معناه بذات اسم الإشارة.

فمن معاني (ذلك) في الآية أعلاه تحقق وتنجز الفعل إلا أن يشاء الله

عز وجل.

(١) سورة البقرة ٢٥ .

(٢) سورة الكهف ٢٣-٢٤ .

ويمكن انشاء قانون وهو : القرآن كنز علوم اسم الإشارة إذ تقتبس المسائل المتعلقة بمعاني ودلالات أسماء الإشارة من آيات القرآن ، وهو لا يتعارض مع الإنتفاع من الحديث النبوي والشعر العربي في المقام ، وهل ينحصر الإستدلال بالشعر الجاهلي ، الجواب لا .

(عن ابن عباس أنه سئل عن قوله {يوم يكشف عن ساق} ^(١) قال : إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر :

أصبر عناق أنه شر باق ... قد سن لي قومك ضرب الأعناق
وقامت الحرب بنا على ساق ..

قال ابن عباس : هذا يوم كرب وشدة) ^(٢).

كما يمكن إنشاء جدول إحصائي لأسماء الإشارة في القرآن ، مثل :

أولاً : عدد ورود لفظ (هذا) في القرآن .

ثانياً : عدد ورود هذه في القرآن .

ثالثاً : عدد ورود (ذلك) في القرآن .

وأسماء الإشارة مبنية دائماً إلا (هذان ، وهاتان) ،

ويأتي ذلك في محل رفع مثل ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ ^(٣).

وفي حال نصب مثل ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرٌ﴾ ^(٤) وقد تكرر اسم الإشارة (ذلك) في الآية أعلاه وهو في محل النصب.

(١) سورة ن ٤٢ .

(٢) الدر المنثور ٨٠/١٠ .

(٣) سورة طه ٧٦ .

(٤) سورة الحج ٧١ .

وورد في محل الجر كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾^(١)، وقد تسقط الهاء من أول اسم الإشارة مثل (هذا) و(هذه) و(هؤلاء) لأنها حرف تنبيه للمخاطب إلى المشار إليه.

وكذا بالنسبة للام الخطاب يؤتى به لبعد المشار إليه كما في (ذلك) ولام البعد حرف يتوسط بين اسم الإشارة وكاف الخطاب كما في (ذلك) الذي ورد في آية البحث ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ﴾^(٢) أي أن (ذلك) يتألف من ثلاثة حروف لكل منها معنى مستقل وهي :

أولاً : اسم الإشارة ذا .

ثانياً : حرف البعد اللام .

ثالثاً : كاف الخطاب .

ولا تأتي لام البعد في اسم الإشارة إذا لم تأت كاف الخطاب .

كما في قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾^(٣)، وإعرابه : من : اسم استفهام مبني في محل رفع مبتدأ.

ذا : اسم إشارة مبني في محل رفع خبر .

وإذا تقدم حرف التنبيه (الهاء) في اسم الإشارة ، لا يأتي لام البعد مثل هذاك ، وهاتاك .

الثاني : اسم الإشارة للمفرد المؤنث ، وهو على شعبتين :

الأولى : اسم الإشارة للمؤنث القريب (هذه) كما في قوله تعالى

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(١). وفي آدم وحواء ورد قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ

(١) سورة المؤمنون ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٢ .

(٣) سورة الحديد ١١ .

الشَّجَرَةَ ﴿٢﴾ فجاءت الآية باسم الإشارة للقريب المؤنث المعنوي لبيان الحجة بأن الله عز وجل دلها بوضوح على شجرة ليست بعيدة ، إنما هي شجرة قريبة ، وهو من اللطف الإلهي لإعانتها على العصمة والإمتناع عن إغواء ابليس ، وفيه حجة عليهما وعلى ذريتهما من بعد ، قال تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ ﴿٣﴾ .

وفيه نكتة علمية وهي أن استعمال كل حرف واسم من أسماء الإشارة له دلالات في موضعه لا تكون في غيره مما يفتح باب العلوم والقراءة في كنوز القرآن ، وينجي من الشطط في علم التفسير والتأويل .
الثانية : اسم إشارة للمؤنث البعيد كما في قوله تعالى ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ ﴿٤﴾ .

الثالث : ويأتي اسم الإشارة (هذان) للمثنى المذكور في حال الرفع ، أما في حال النصب والجر فيأتي بالياء .
 ولم يرد لفظ (هذين) في القرآن ، نعم ورد في قراءة (عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمر بن علاء : إن هذين لساحران بالياء على الأصل) ﴿٥﴾ .
الرابع : اسم الإشارة للمثنى المؤنث ، وهو على شعبتين :
الأولى : اسم الإشارة (هاتان) في حال الرفع لأن ذات اسم الإشارة مثنى وعن أم سلمة قالت :

(١) سورة الأنبياء ٩٢.

(٢) سورة الأعراف ١٩.

(٣) سورة الأنعام ١٤٩.

(٤) سورة الحج ١٩.

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ٧٤/٩.

صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد العصر في بيتي ركعتين فقلت ما هاتان قال كنت أصليهما قبل العصر عدد صلاة العصر في الحضر^(١).

الثانية : اسم الإشارة (هاتين) في حال النصب والجر (عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الناس لم يتعوذوا بمثل هاتين قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس)^(٢).

وجاء اسم الإشارة (هاتين) بصيغة الجر للمثنى المؤنث في قصة شعيب وموسى عليهما السلام ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾^(٣).

الخامس : هؤلاء : وهو اسم إشارة للجمع من جهات :
الأولى : جماعة الذكور ، كما في قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾^(٤).
الثانية : جماعة الأناث كما ورد في التنزيل حكاية عن لوط ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾^(٥).

الثالثة : جماعة الجماد كما في قوله تعالى بخصوص الأوثان التي هشمها إبراهيم ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾^(٦).

(١) النسائي / السنن الكبرى ١/١٥٠.

(٢) النسائي / السنن الكبرى ٤/٤٤٢.

(٣) سورة القصص ٢٧ .

(٤) سورة المائدة ٥٣.

(٥) سورة هود ٧٨.

(٦) سورة الأنبياء ٦٥.

الرابعة : الجمعان أو أكثر التي بينها إتحاد وتشابه أو تضاد ، قال تعالى ﴿كَلَّا نَبْدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(١).

الخامسة : جماعة الذكور والأناث كما ورد في التنزيل في وصف فرعون لبني اسرائيل ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾^(٢)، ليكون هؤلاء كاسم إشارة موضوعية وأثر في التفسير والتأويل.

ومن النحويين من أطلق على اسماء الإشارة لحفظ الأسماء المبهمة مثل ابن آجرو إذ قال (و المعرفة خمسة أشياء : الاسم المضمر نحو : أنا وأنت ، و الاسم العلم نحو : زيد و مكة ، و الاسم المبهم نحو : هذا وهذه وهؤلاء و الاسم الذي فيه الألف واللام نحو : الرجل والغلام ، وما أضيف إلى واحد من هذه الأربعة)^(٣).

والمبهم من الإبهام ، وهو الغموض وعدم البيان ، ومنهم من ذكر الأسماء الموصولة أيضاً كأسماء مبهمة لوحدة الموضوع في تنقيح المناط. وسميت أسماء الإشارة مبهمة لوجهين :

أولاً : مناسبة اسم الإشارة لكل جنس ، وكل نوع وللعاقل وغير العاقل ، للحاضر والغائب والحي والجمااد والميت .

ثانياً : تبقى أسماء الإشارة معلقة في معناها إلى حين تعيين ومعرفة ما تدل عليه بالإشارة الحسية أو المعنوية.

ويمكن تقسيم أسماء الإشارة إلى قسمين :

(١) سورة الاسراء ٢٠.

(٢) سورة الشعراء ٥٤.

(٣) متن الأجرومية ٥/١ .

أولاً : اسم الإشارة للعاقل كما في قوله تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(١) ومع أن لفظ (هذان) اسم إشارة للمثنى فقد ورد الفعل ﴿اخْتَصَمُوا﴾ بصيغة الجمع لأن الاثنين أقل الجمع ، ولتعدد معاني الآية وورود التثنية فيها لقصد الجماعة.

(عن قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(٢)، قال : هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة وعبيدة، وشيبة ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة)^(٣).

ثانياً : اسم الإشارة لغير العاقل ، كما ورد في الحكاية عن قابيل بن آدم حينما قتل أخاه قابيل ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾^(٤) ومن أسماء الإشارة ما يأتي للمفرد والجمع والعاقل وغير العاقل كما في (تلك) . ومن استعمالها في الجمع لغير العاقل ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٥).

ويستعمل (هؤلاء) (أولئك) لكل من :

الأول : جمع المذكر العاقل .

الثاني : جمع المذكر غير العاقل .

الثالث : جمع المؤنث العاقل .

(١) سورة مريم ٦٣ .

(٢) سورة الحج ١٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٠٥/٥ .

(٤) سورة المائدة ٣١ .

(٥) سورة آل عمران ١٤٠ .

الرابع : جمع المؤنث غير العاقل .

فمن إعجاز القرآن مجئ اسم الإشارة للمثنى وإفادته الإفراد والتثنية والجمع ، ومجيؤه بصيغة القريب وإفادة القريب والبعيد أو العكس بلحاظ تعدد المعنى والدلالة ، كما في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(١) والقرآن يفسر بعضه بعضاً (عن ابن عباس في قوله { ذلك الكتاب }^(٢)) قال : هذا الكتاب^(٣).

فقد ورد اسم الإشارة للكتاب بصيغة القرب ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا﴾^(٤).

وهل علوم وأسرار أسماء الإشارة من (كل مثل) التي تذكرها الآية أعلاه ، الجواب نعم .

وورد لفظ ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾^(٥) في القرآن مرة واحدة بخصوص كتابة أعمال الناس ، قال تعالى ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٦).

(١) سورة البقرة ٣.

(٢) سورة البقرة ٣.

(٣) الدر المنثور ١٩/١.

(٤) سورة الكهف ٤٥ .

(٥) سورة البقرة ٣.

(٦) سورة الكهف ٤٩.

وفيه الفعل الجليل والحقير ، والكبير والصغير ، والعمل الصالح والعمل السيئ وإن كان قليلاً ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).

وورد لفظ هذا الكتاب في الآية أعلاه اشارة للقرآن في السنة النبوية .
(عن المقدام بن معد يكرب ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال : إني أوتيت الكتاب وما يعدله ، يوشك شبعان على أريكته أن يقول : بيني وبينكم هذا الكتاب ، فما كان فيه من حلال أحللناه ، وما كان فيه من حرام حرمناه ، ألا وإنه ليس كذلك)^(٢) .
ويأتي الاسم الإشارة لغير العاقل ، ايضاً لأن وظيفته الدلالة والإشارة الحسية كما في قوله تعالى ﴿قَالَ يَا أُيُتْلَىٰ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾^(٣) .
وأسماء الإشارة على شعبتين :

الأولى : الأسماء المبنية : فيكون إعرابها بحسب المحل ، أي إعراباً محلياً ، فتكون مبنية في محل رفع أو نصب أو جر ، وأكثر أسماء الإشارة على البناء.

الثانية : الأسماء المعربة : وهما المثني من أسماء الإشارة (هذان ، هاتان) إذ يعربان إعراب المثني بالألف في حال الرفع ، وبالياء (هذين) و(هاتين) في حال النصب والجر.

أسماء الإشارة للمكان وهي على وجوه :
الأول : اسم الإشارة للمكان القريب : هنا ، ها هنا ، كما في قوله تعالى ﴿أَتَرْكُوزَ فِي مَا هَاهُنَا آمِينَ﴾^(١) .

(١) سورة الزلزلة ٧-٨ .

(٢) صحيح ابن حبان ٢٥/١ .

(٣) سورة المائدة ٣١ .

الثاني : يأتي اسم الإشارة هناك للمتوسط.

الثالث : ويشار إلى البعيد بـ(هنالك ، ثم ، ثمّة) كما في قوله تعالى ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾^(٢) ، وقد يأتي بيان شدة الأمر ، كما في واقعة الأحزاب .

ومجئ عشرة آلاف من المشركين للهجوم على المدينة المنورة وأحاطوا بها لغرض قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، قال تعالى ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾^(٣).

وورد (ثمّة) في حديث الإمام علي عليه السلام إذ سأله رجل عن ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(٤) ، فهو أول بيت بني في الأرض ، قال : لا ، ولكنه : أول بيت وضع فيه البركة والهدى ، ومقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا .

ولإن شئت أنبأتك كيف بناه الله عز وجل ، إن الله أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتا في الأرض فضاقت به ذرعا ، فأرسل الله إليه السكينة ، وهي ريح خجوج ، لها رأس ، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ، ثم تطوقت إلى موضع البيت تطوق الحية ، فبنى إبراهيم فكان بيني هو ساقا كل يوم ، حتى إذا بلغ مكان الحجر ، قال لابنه : أبغني حجرا فالتمس ثمّة حجرا حتى أتاه به ، فوجد الحجر الأسود قد ركب ، فقال له ابنه : من أين لك هذا .

(١) سورة الشعراء ١٤٦.

(٢) سورة الكهف ٤٤.

(٣) سورة الأحزاب ١١.

(٤) سورة آل عمران ٩٦.

قال : جاء به من لم يتكل على بنائك جاء به جبريل عليه السلام من السماء فأتمه^(١).

وقد يؤتى باسم الإشارة ذاته لمعنى مخصوص يعرف بالقرائن ، من جهات :

الأولى : التنبيه والتحذير.

الثانية : التقليل والتحقير .

الثالثة : الإستهزاء والسخرية.

الرابعة : إرادة صرف الناس عن المشار إليه ، كما في قول الذين كفروا في النبوة والتنزيل ﴿وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إفكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ^(٢) ، إذ ورد (ما هذا) في الآية مرتين ، و(ان هذا) مرة واحدة.

الخامسة : الذم والتوبيخ .

السادسة : بيان عظيم الشأن والأهمية ، قال تعالى ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّعَنِ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ^(٣) .

وورد اسم الإشارة (ذلك) في الآية اعلاه ثلاث مرات ، وكما في قوله تعالى بخصوص يوسف وزوجة العزيز ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ^(٤)﴾ ، فمع أنه حاضر لم تقل فهذا ، لبيان حسنه وعصمته ، ولتذكير النسوة باللغظ

(١) المستدرک على الصحيحین ٢٨٣/٧ .

(٢) سورة سبأ ٤٣ .

(٣) سورة هود ١٠٣ .

(٤) سورة يوسف ٣٢ .

والطعن بها في مجالسهن وأنها راودت عبدها الكنعاني ، والأصل تنزه سيدة المنزل عن الميل إلى العبد.

إذ أن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فجاء اسم الإشارة (فذلكن) تفسيرا لقوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَاً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ^(١) ، والقاء فصيحة.

ومن معاني مجئ اسم الإشارة للبعد مثل (ذلك) ويراد منه القريب التعظيم والتفخيم كما في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢) ، ووصفت النسوة يوسف عند رؤيته بأنه اسمى وأعلى من مراتب البشر ، وكأنه من الملائكة نزل من السماء حل بين ظهرائيهن لبيان عدم رؤيتهن لشخص بجماله ، ولم يسمعن بهذا الوصف .

وهل هو بشارة تحسين النسل في مصر ، وعنوان قانون وهو أن التداخل والسفر ، وتعدد الزيجات بين الأقوام المختلفة سبب لإنتشار الجمال .

والحسن ، الجواب نعم ، لغلبة الحسن على الذميم في الخلق ولأن الحسن يتزوج المرأة الأقل حسنا ، وكذا العكس ، كما أنه يتزوج من تفوقه حسناً.

(١) سورة يوسف ٣٠-٣١.

(٢) سورة البقرة ١.

وفي تفسير أبي السعود^(١) {قَالَتْ فَذَلِكُنْ} ^(٢) الفاء فصيحة والخطابُ للنسوة والإشارة إلى يوسف بالعنوان الذي وصفته به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية ، فاسم الإشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى إن كان الأمرُ كما قلتَ فذلكنَ الملكَ الكريمُ النَّائي عن المراتب البشرية هو {الذى لُمْتُنِي فِيهِ} ^(٣) أي عيرتُنِّي في الافتتان به^(٤).

وفي تفسير الألوسي^(٥) {قَالَتْ فَذَلِكُنْ} الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والإشارة حسبما يقتضيه الظاهر إلى يوسف عليه السلام بالعنوان الذي وصفته به الآن من الخروج في الحسن والكمال عن المراتب البشرية ، والاقتصار على الملكية^(٦).

ويلاحظ التشابه في عبارات عديدة بين التفسيرين ، أو تغيير بعض الكلمات دون الخروج عن ذات المعنى.

في سياق الآيات

صلة آية البحث بالآيات المجاورة على شعبتين :
ونكتفي بالشعبة الأولى وهي : صلة آية البحث بالآيات المجاورة السابقة ، وفيها وجوه :

(١) محمد بن محمد بن مصطفى / ابو السعود العمادي / ت ٩٨٢ هجرية.

(٢) سورة يوسف ٣٢.

(٣) سورة يوسف ٣٢.

(٤) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٤٢٩/٣.

(٥) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ت ١٢٧٠ هجرية.

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن ٥/٩.

الوجه الأول : صلة آية البحث بالآية السابقة ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِّ﴾^(١) ، وفيها مسائل :

المسألة الأولى : ابتدأت آية البحث باسم الإشارة للبعيد (ذلك) لبيان تعلق موضوعها بما قبلها ، فصحيح أن اسم الإشارة هنا مبتدأ ، وأن الآية الكريمة ابتدأت به إلا أنه يدل على اتصال موضوع الآية بما سبقها ، لقد تضمنت الآية أعلاه مسائل :

الأولى : الإخبار عن قانون من الإرادة التكوينية ، وهو أن الله يسمع ما يقوله الناس .

الثانية : ترتب الثواب على القول الصالح ، والعقاب على القول السيء .

الثالثة : ترغيب الناس بالقول الحسن والصالح .
ومن الإعجاز في خلافة الإنسان في الأرض هداية الله سبحانه للناس إلى سبل الفلاح ، والقول الحسن ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(٢) .

ولم يرد لفظ (أحسنه) في القرآن إلا في الآية أعلاه لبيان قانون ترشح النعم على الناس من كل صفة من صفات الله عز وجل فهو سبحانه السميع لكل الأصوات الظاهرة والجلية والخفية ، وهو الذي يسمع الدعاء ، ويصلح النفوس للطيب من القول والإنصات للقول الحسن ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإستجابة له .

(١) سورة آل عمران ١٨١ .

(٢) سورة الزمر ١٨ .

وعن قتادة أن قوله تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(١)، منسوخة بآية السيف ، ولا دليل عليه والأصل عدم النسخ بالإضافة لما ورد عن الإمام علي عليه السلام في قوله ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال : يعني الناس كلهم^(٢).

كما ورد عن ابن عباس في الآية أعلاه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سمع صوت ناقوس أو دخل كنيسة أو بيعة أو بيت نار أو أصنام فقال لا إله إلا الله ولا نعبد إلا الله كتب الله له من الأجر عدد من لم يقلها أو كتب عند الله صديقاً)^(٣) .

ليبان مسألة وهي أن الأمر بكلمة التوحيد من المعروف ليكون من معاني قوله تعالى ﴿الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٤) الأمر بالتوحيد ، والدعوة إلى الإيمان بالله إلهاً وخالقاً ، والنهي عن الكفر ومفاهيم الشرك .

وهل البخل وقول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾^(٥) من المنكر الذي تذكره الآية أعلاه ، الجواب نعم ، لذا فإن تلاوة ذات آية السياق نهى وزجر عنه ليثاب المسلمون على تلاوة القرآن بأجر التلاوة وما تتضمنه الآية القرآنية من مصاديق الإصلاح ونبذ الباطل .

المسألة الثانية : من معاني الجمع بين الآيتين استحضار المسلمين لسمع الله للكلام عندما يريدون أن يتكلموا ، ويأمرُوا وينهوا ، ومن معاني الآية أعلاه من سورة البقرة بلحاظ آية البحث والسياق وجوه :

(١) سورة البقرة ٨٣.

(٢) الدر المنثور ١/١٥٦.

(٣) المعجم الكبير ١٢/١٣٦.

(٤) سورة التوبة ١١٢.

(٥) سورة آل عمران ١٨١.

الأول : وقولوا للناس حسناً فإن الله يسمع كلامكم (عن عمر بن الخطاب قال : بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أناس إذ جاء رجل ليس عليه سحناء سفر ، وليس من أهل البلد ، يتخطى حتى ورك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يجلس أحدنا في الصلاة ، ثم وضع يده على ركبتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا محمد ما الإسلام؟

قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج وتعتمر ، وتغتسل من الجنابة ، وتتم الوضوء ، وتصوم رمضان ، قال : فإن فعلت هذا فأنا مسلم؟ قال نعم . قال : صدقت يا محمد قال : ما الإيمان؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالجنة والنار والميزان ، وتؤمن بالبعث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : فإذا فعلت هذا فأنا مؤمن؟ قال : نعم . قال : صدقت (١).

الثاني : وقولوا للناس حسناً ففيه الصلاح والفلاح ، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) (٢).

الثالث : وقولوا للناس حسناً ولكم الأجر والثواب ، وعن سهل بن سعد (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة) (٣) .

وعن الإمام علي عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن في الجنة غرفا يرى بطونها من ظهورها ، وظهورها من بطونها

(١) الدر المنثور ٤/١٩٣.

(٢) الدر المنثور ٣/٢٤٢.

(٣) الدر المنثور ٣/٢٤٢.

، فقال أعرابي : فلمن هي يا رسول الله ؟ قال : لمن قال طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام ^(١).

الرابع : لقد جعل الله الحياة الدنيا دار إمتحان وإختبار فقولوا للناس حسناً ، وعن (النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : " مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنيهِ) ^(٢).

و(سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ما بر الحج ؟ قال : إطعام الطعام ، وطيب الكلام) ^(٣).

فلا تنحصر وجوه تقدير الآية بالإبتداء بها بـ(قولوا للناس حسناً) خاصة وأن هذه الجملة جاءت في وسط آية ، وتتمام الآية هو ﴿وَإِذَا خَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ^(٤).

الخامس : وقولوا للناس كافة حسناً ، القول الحسن من الإيمان ، وهو دعوة للهداية الصلاح ، وهل الذكر في الصلاة من القول الحسن والذي يدعو إلى الإيمان ، الجواب نعم .

و(عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نقول خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في الصلاة إذا جلسنا : السلام على الله عز وجل وعلى عباده ، السلام على جبريل ، وميكائيل ، السلام على فلان وفلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله عز وجل هو السلام ،

(١) مسند أبي يعلى الموصلي ٣٨٥/١.

(٢) تفسير الثعالبي ٤٨١/٣.

(٣) المعجم الأوسط ٣٨٥/١٤.

(٤) سورة البقرة ٨٣.

فلا تقولوا هكذا ، ولكن قولوا : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فإنه إذا قالها نالت كل عبد صالح في السماء والأرض .
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ثم ليتحرر أطيب الكلام أو ما أحب من الكلام^(١) .

السادس : وقولوا للناس حسناً يغنيكم عن الغزو ، ويدفع عنكم شرور الأعداء .

السابع : وقولوا للناس حسناً يفتح الله عليكم أبواب الرزق .
الثامن : وقولوا للناس حسناً فإن الله يحب الحسن في القول والفعل ، وعن سفيان بن سعيد الثوري قال سمعت جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول :

(يا سفيان عليك بالتقية فإنها سنة إبراهيم الخليل عليه السلام ، وإن الله عز وجل قال لموسى وهارون عليهما السلام : (اذهبا إلى فرعون إنه طغى ❖ فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى")^(٢) يقول الله عز وجل : كنياه وقولاً له : يا أبا مصعب .

وإن رسول الله كان إذا أراد سفراً ورى بغيره .
وقال عليه السلام : أمرني ربي بمداواة الناس كما أمرني بأداء الفرائض ، ولقد أدبه الله عز وجل بالتقية فقال ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿^(٣)﴾^(١) .

(١) مشكل الآثار الطحاوي ٢٢٩/٥ .

(٢) سورة طه ٤٣-٤٤ .

(٣) سورة فصلت ٣٤-٣٥ .

التاسع : يا أيها الذين آمنوا تنزهوا عن النفاق وقولوا للناس حسناً ، إذ ذكر الله المنافقين بقوله ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(٢).

العاشر : وقولوا للناس حسناً في أحكام الشرائع ، والحلال والحرام فليس المدار في الحسن إرضاء الناس أو إتباع الميول والشهوات إنما الحسن بالصلاح والهداية والرشاد ، ولكن بصيغ الرفق والمودة واللفظ واليسير والإبتعاد عن التنفير ، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾^(٣) ، إذ استثنى الله عز وجل من الزجر عن القول بالسوء المظلوم بخصوص ذات المظلمة وصاحبها وليس مطلقاً لقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٤).

ولا يعني الإذن بالسوء في الآية الذم والفضح والهجاء .
لذا ذكر أن الآية نزلت في ضيف نزل عند أحدهم فمنع حق الضيافة ، وأساء قراه عن مجاهد^(٥) .

وجعله الواحدي سبباً لنزول الآية إذ قال ({ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول }^(٦) نزلت ترخيصاً للمظلوم أن يجهر بشكوى الظالم ، وذلك أن ضيفاً نزل يقوم فأساؤوا قراه ، فاشتكاهم ، فنزلت هذه الآية . رخصة في أن يشكوا^(٧)) .

(١) البحار ١٣/١٣٥.

(٢) سورة محمد ٣٠.

(٣) سورة النساء ١٤٨.

(٤) سورة الأنعام ١٦٤.

(٥) أنظر الكشف والبيان ٧٠/٤.

(٦) سورة النساء ١٤٨.

(٧) الوجيز ٤٣/١.

ولكن موضوع الآية أعم .

وفي الآية قال الحسن البصري : هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ، ولكن ليقل : اللهم أعني عليه ، اللهم استخرج لي حقي ، اللهم حل بيني وبين ما يريد من ظلمي .

وقال ابن عباس وغيره : المباح لمن ظلم أن يدعو على من ظلمه ، وإن صبر فهو أحسن له ، وقال مجاهد وغيره : هو في الضيف المحول رحله ، فإنه يجهر الذي لم يكرمه بالسوء من القول ، فقد رخص له أن يقول فيه^(١) . ولم تذكر الآية الدعاء ، إنما ذكرت القول وخصته بأنه الجهر بالسوء ، وقيل الآية منسوخة بآية السيف .

ولا دليل عليه والأصل هو عدم النسخ .

وهل يمكن التخصيص في المقام بأن يكون القول الحسن خاصاً بالمؤمنين الجواب لا ، لأصالة العموم ، ومن الإعجاز أن الآية لم تقيد القول بالأحسن ، إنما ذكرت الحسن ، وبينهما عموم وخصوص مطلق ، فالحسن أعم ، لقاعدة نفي الحرج ، وللمندوحة والخيار .

الحادي عشر : قولوا للناس حسناً فإن الله يسمع كل قول (قال أبو طلحة : كنا جلوساً بالأفنية فمر بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما لكم ولجالس الصعدات .

فقلنا : اجتمعنا لغير مراب نتذاكر ونتحدث قال : فأعطوا المجالس حقها قالوا : وما حقها يا رسول الله ؟

قال : غرض البصر ورد السلام وطيب الكلام^(٢) .

الثاني عشر : قولوا للناس حسناً لأن الله يحب أن يسمع القول الحسن .

(١) المحرر الوجيز ٢/٢١٥ .

(٢) مشكل الآثار للطحاوي ١/١٧٣ .

الثالث عشر : قولوا للناس حسناً فهو من الإقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

الرابع عشر : قولوا لإخوانكم المؤمنين وأهل الكتاب والناس جميعاً حسناً .

الخامس عشر : قولوا للناس حسناً ليقتردي بكم الناس ، قال تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْدَرَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) .

السادس عشر : قولوا للناس حسناً فهو حرب على الإرهاب .
السابع عشر : قولوا للناس حسناً لتحجّبوهم عن إعانة كفار قريش وعندما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قبل الهجرة يدعو الناس إلى التوحيد والرشاد .

وروى (إنه مرّ في سوق مكة يقول : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . وأبو لهب يرميه من ورائه بالحجارة حتى أدمى كعبه)^(٣).

المسألة الثالثة : لقد ذكرت كل من آية البحث والسياق لفظ الجلالة (الله) ومع أن الآية القرآنية ذاتها ضياء وتبعث على البهجة ، وتسر الناظر إلا أن اسم الجلالة تزيين لها ، وخاتم مبارك من الأسماء الحسنی في ذات الآية ، ودعوة للتدبر في ذكره في الآية ، وموضوعيته في البيان والحكم ، إلى جانب ورود الضمائر الظاهرة والمستترة التي تدل على لفظ الجلالة في الآيتين ، إذ ورد في آية السياق من وجوه :

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الأنعام ٩٠ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٣٢/٥.

الأول : إخبار الآية عن سماع الله عز وجل لما يقوله الذين كفروا من معاني الصدود والجحود ، قال تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَعَدُّوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(١)

الثاني : ذكر آية البحث لذات قول الذين جحدوا بأن الله فقير وأنها هم الأغنياء ، ترى لماذا ذكرت الآية ذات قول الذين جحدوا على نحو التعيين والحصص ، فيه مسائل :

الأولى : إقامة الحجة على الذين كفروا .

الثانية : فضح الذين كفروا .

الثالثة : تحذير الناس من الميل إلى الذين كفروا في جحودهم وصدودهم عن الذكر ، قال تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٢) .

الرابعة : إخبار الناس عن قانون وهو أن الله عز وجل يسمع كل صوت ، وأنه سبحانه حاضر معهم ، وفي التنزيل ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣) .

(١) سورة النساء ١٤٠ .

(٢) سورة المائدة ٧٢ .

(٣) سورة الحديد ٤ .

ولم يرد لفظ (هو معكم) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، كما ورد لفظ (الله معكم) في القرآن مرة واحدة أيضاً في قوله تعالى ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمُ أَعْمَالَكُمْ﴾^(١).

بينما ورد في الآية أعلاه بالاسم (والله معكم) في الخطاب للمسلمين وحثهم على الصبر والثبات ، لبيان إكرام الله للمسلمين بذكر اسمه فخاطبهم وهو سبحانه يعلم أن المسلمين بحاجة إلى إستحضار اسمه في العبادات وميادين الدفاع ، وفي المراقبة في الثغور ودفع كيد الكافرين ، فان قيل انما يرد الضمير بدل لفظ الجلالة لتتجلى في نظم آية لبحث والسياق ، ووجوه الفصاحة والبلاغة .

والجواب هذا صحيح ، وهو لا يتعارض مع المفاهيم الكلامية والذخائر والنكات التي تترشح عن ذكر لفظ الجلالة وتكراره في الآية الواحدة ، وإلا فلو قالت الآية أعلاه من سورة محمد (وهو معكم) بدل (والله معكم) لصح أيضاً خاصة وأن الآية السابقة لها ذكرت لفظ الجلالة مرتين ، وتام الآيتين هو ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ * فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمُ أَعْمَالَكُمْ﴾^(٢) ، ومعنى (لن يترككم) أي لن ينقصكم .

وعن ابن عباس : في قوله تعالى (يترككم) قال : يظلمكم^(٣).

الخامسة : ترغيب الناس بالتوبة والإستغفار والتدارك ، وهم من اسرار مجئ الآية بصيغة الفعل الماضي (قد سمع).

(١) سورة محمد ٣٥.

(٢) سورة محمد ٣٤-٣٥.

(٣) الدر المنثور ٢٠٦/٩.

السادسة : ثبات المسلمين في مقامات الإيمان بالتفقه في الدين ، قال تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١) .

وعن أنس (عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، عن جبريل قال : يقول الله عز وجل : من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وإنني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرود ، وما تقرب إلي عبدي المؤمن ، بمثل أداء ما افترضت عليه .

وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت له سمعاً وبصراً ويدا ومؤيداً ، إن دعاني أجبتة وإن سألني أعطيته ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه .

وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العباد ، فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ، ولو أسقمته لأفسده ذلك .

وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا القسم ، ولو أصححته لأفسده ذلك ، إنني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إنني عليم خبير^(٢) .

السابعة : آية السياق حرب على النفاق ، وزاجر للمنافقين عن محاكاة الذين كفروا في جحودهم .

الثامنة : بعث المسلمين على أداء الزكاة والحقوق الشرعية ، والعصمة من آثار ما يقوله الذين كفروا ، (عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أي مال أديت زكاته فليس بكنز)^(٣) .

(١) سورة إبراهيم ٢٧ .

(٢) الدر المنثور ٩ / ٧١ .

(٣) الدر المنثور ٥ / ٥٧ .

التاسعة : الآية سلاح بيد المسلمين في الإحتجاج ، وحجة في رد المغالطة ، والحجة هي البرهان والدليل ، وقد يطلق لفظ الحجة على المغالطة والشبهة مجازاً ، وربما جاءت معه القرينة التي تدفع عنها المعنى الحقيقي ، قال تعالى ﴿حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١).

العاشرة : تلاوة المسلمين لآية البحث ، وإرادة الثواب .
الحادية عشرة : بيان قانون وهو عدم إضرار الذين كفروا وجحودهم في تنجز الأحكام الشرعية ، وأداء المسلمين للزكاة والخمس والحقوق الشرعية.

الثالث : الفاعل في سنكتب بلحاظ أنه ضمير مستتر تقديره (نحن) للتعظيم ، لقد قال الكفار قولاً منكراً فأخبر الله عز وجل عن كتابته ، وتحتل الكتابة لهذا القول من جهة أفراد الزمان جهات :

الأولى : كتابة الله لقولهم ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾^(٢) قبل أن يكون هناك زمان لعلم الله عز وجل بأفعال البشر قبل الزمان .

الثانية : كتابة هذا القول عند خلق الله الليل والنهار والأرض والسموات .

و(عن لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم ، قال : فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيباً فقال :

يا أيها الناس ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لأسمعكم ، ألا فهل من امرئ بعثه قومه؟ فقالوا اعلم لنا ما يقول رسول الله الاتم لعله

(١) سورة الشورى ١٦.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه ، أو يلهيه الضلال ، ألا إني مسؤول هل بلغت .

ألا اسمعوا تعيشوا ، ألا اجلسوا ، ألا اجلسوا . قال : فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلنا يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أنني الفتى ، فقال : ضن ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ، وأشار بيده . قلت وما هن؟ .

قال : علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه . وعلم ما في الغد ما أنت طاعم غداً ولا تعلمه ، وعلم يوم الغيم يشرف عليكم إذا قنطتم مشفقين إلى أن قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ثم ينصرف نبيكم صلى الله عليه وسلم ويصرف على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار فيظل أحدكم يقول : حس ، يقول ربك : أو أنه فتطلعون على حوض الرسول على أظماً والله ناهلة قط رأيته ، ولعمر إلهك ما ييسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قرح بطهره من الطرف والبول والأذى ويحبس الشمس والقمر ولا ترون منهما واحداً .

قلت يا رسول الله : فيم نبصر؟

قال : بمثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك قبل طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض . قلت يا رسول الله : فما يجزي من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها لقوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾^(١) ، إلا أن يعفو ربك ، قلت يا رسول الله : ما الجنة وما النار؟ .

قال : لعمر إلهك أما للنار فسبعة أبواب ما منهن باب إلا يسير الراكب فيها سبعين عاماً . قلت يا رسول الله : فعلام نطلع من الجنة؟ قال : على

(أنهار من غسل مصفى) ^(١) وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة
(وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) ^(٢) ، (وماء غير آسن) ^(٣) ، وفاكهة لعمر
إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه ، وأزواج مطهرة .

قلت يا رسول الله : ولنا فيها أزواج؟

قال : الصالحات للصالحين تلذونهم بمثل لذاتكم في الدنيا ويتلذذن بكم
غير أن لا توالد . قال لقيط : فقلت : أقصى ما نحن بالغون ومتتهون إليه؟
قلت يا رسول الله : علام أبايعك؟ .

فبسط النبي صلى الله عليه وسلم يده ،

وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال الشرك ^(٤) ، وأن لا تشرك
بالله شيئاً غيره . قلت : وإن لنا ما بين المشرق والمغرب . فقبض النبي صلى
الله عليه وآله وسلم يده ، وبسط أصابعه وظن أنني مشروط شيئاً لا يعطينيه .
قلت : نحل منها حيث شئنا ولا يجني على أمرىء إلا نفسه . فبسط يده

قال : ذلك لك تحلة حيث شئت ، ولا يجني عليك إلا نفسك : قال :
فانصرفنا وقال لنا : إن هذين لعمر إلهك من أتقى الناس في الدنيا والآخرة .
فقال له كعب : من هم يا رسول الله؟ قال : بنو المنتقف أهل ذلك .
فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت يا رسول الله : هل لأحد فيما مضى من خير
في جاهليتهم؟ قال : قال رجل من عرض قريش : والله إن أباك المنتقف
لفي النار .

(١) سورة محمد ١٥ ولم يرد لفظ (غسل) في القرآن إلا في الآية أعلاه.

(٢) سورة محمد ١٥.

(٣) سورة محمد ١٥.

(٤) الزيال: ذهاب الشيء أي زوال الشرك ومفاهيمه ويقال أزايله مزايلة
وزيالاً: فارقه) القاموس المحيط ١٠٨/٣.

قال : فلكانه وقع من بين جلدي ووجهي مما قال لأبي على رؤوس الناس ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بأن الله بعث في آخر كل سبع أمم نبياً فمن عصى نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين^(١).

الثالثة : كتابة أفعال البشر عند خلق آدم وفي عالم الذر .

الرابعة : لا يكتب الله عز وجل أفعال الناس إلا عند قيامهم بها لعمومات قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^(٢) نعم هو سبحانه يعلم ما يمحي من الأفعال ، وما لا يمحي^(٣).

الخامسة : التفصيل بكتابة الله للحسنات حال وقوعها ، وإرجاء كتابة السيئات فضلاً من عند الله .
والصحيح هو الخامسة أعلاه .

إذ قال الله تعالى ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾^(٤) والسين في سنكتب للمستقبل القريب ، ولم تقل الآية (سوف) لبيان قانون وهو أن إمهال الكافرين في كتابة ذنوب الكافرين لوقت قصير ، وفيه مسائل :
الأولى : بيان عموم حلم الله عز وجل على الناس جميعاً حتى الذين كفروا وجحدوا وصدوا عن سبيل الله ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٥) .

(١) أنظر الدر المنثور ١٥٥/١٠.

(٢) سورة الرعد ٣٩.

(٣) وأخبرت آية السياق عن تفضل الله بأرجاء كتابة السيئات التي تصدر من المنافق والكافر لقوله تعالى ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾.

(٤) سورة آل عمران ١٨١.

(٥) سورة النساء ١٦٧.

الثانية : بيان فضل الله عز وجل في الإمهال عن كتابة الذنب وإن كانت المدة قليلة .

الثالثة : قلة المدة في الإمهال دعوة للناس للتعجيل بالتدارك والإستغفار ، ليكون السين في ﴿سَكَبُ﴾ من مصاديق المسارعة في قوله تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَحَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) .

الرابعة : بيان قانون وهو في كل مناسبة وواقعة هناك فضل لله عز وجل على الناس جميعاً ، ومنه الإمهال في كتابة السيئات .

الخامسة : لا ينتهي الأمر عند كتابة الذنب ، إذ أن باب التوبة والإنابة مفتوح قبلها وبعدها .

وهل يتفضل الله عز وجل بلطف لصرف العبد عن فعل المعصية ، وعن قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ وَخَسٌّ أَغْنِيَاءُ﴾^(٢) قبل أن يقولها ، الجواب نعم لقانون حضور فضل الله في مقدمات الفعل واثناؤه وبعده ومن جهات :
الأولى : منع كثير من الناس من قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ﴾^(٣) إذ حال الله عز وجل دون كثرة القائلين بالجحود ومفاهيم الصدود .

الثانية : رجوع عدد من ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ﴾^(٤) عن قولهم واستحيائهم من الله ومن الناس .

الثالثة : بعث المسلمين لزم قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ﴾^(٥) .

(١) سورة آل عمران ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

(٣) سورة آل عمران ١٨١.

(٤) سورة آل عمران ١٨١.

(٥) سورة آل عمران ١٨١.

الرابعة : دعوة المسلمين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
الخامسة : بيان حاجة المسلمين والناس إلى الجهاد بالحكمة والموعظة الحسنة .

وان الإسلام ومبادئ التوحيد تنتشر بالحجة والبرهان ، قال تعالى
﴿رُسُلًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لَّأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ^(١) .

المسألة الرابعة : من منافع وأسرار مجئ آية البحث وما فيها من الوعيد بعد آية السياق أمور :

الأول : عصمة المسلمين من القول السيئ والإفتراء ، قال تعالى
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ^(٢) .

الثاني : لما أختتمت آية السياق بالإخبار عما ينتظر الذين كفروا من العقاب في الآخرة ، ابتدأت آية البحث بذكر علة هذا العقاب وأنه بسبب سوء فعل الذين كفروا وقبيح قولهم ، ويدل قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ ^(٣) على أن أسباب دخول الذين كفروا النار أعم وأكثر من مما ورد في التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَمَخْنُؤُا غَنِيَاءُ﴾ ^(٤) خاصة وأن هذا القول يترشح عن الكفر والجحود ، ويدل على عدم الإحتراز من التعدي في القول والفعل .

(١) سورة النساء ١٦٥ .

(٢) سورة الأنعام ٢١ .

(٣) سورة آل عمران ١٨٢ .

(٤) سورة آل عمران ١٨١ .

وتبين الوقائع التاريخية محاربة المشركين للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيزهم الجيوش لإرادة قتله وأصحابه ، وهل كان توالي نزول آيات القرآن سبباً في تعدد غزو المشركين للمدينة ، الجواب نعم.

ومن الشواهد عليه آية البحث والسياق والجمع بينهما ودلالاته في توبيخ الذين كفروا فذات الوعيد توبيخ ، ولم يطق الذين كفروا التوبيخ والوعيد القرآني خاصة وأنه صاحب البعثة النبوية إذ تضمنت السور المكية الإنذار والوعيد الخاص والعام للذين كفروا ، وحتى الخاص ، فالمراد منه عموم المشركين لوحدة الموضوع في تنقيح المناط ، كما في قوله تعالى ﴿ تَبَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾^(١).
 فإذا كان القرآن ينزل بالوعيد لعم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمن باب الأولوية شموله للذين كفروا الآخرين الذين يشبهونه في إيدائهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واستهزائهم بالتنزيل وصد الناس عن الإسلام .

المسألة الخامسة : كل من آية البحث والسياق من آيات سورة آل عمران وهي مدنية ، وتتصف كل منهما بتضمنها الإنذار والوعيد مما يدل على عدم إنحصار الوعيد بالسور المكية إنما يشمل السور المدنية من وجوه :
الأول : بقاء الذين كفروا على جحودهم بالربوبية وعلى عبادة الأوثان.

الثاني : قيام المشركين بالإستخفاف والإستهزاء بالتنزيل ، قال تعالى ﴿ وَمَا يُاتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾^(٢).

(١) سورة المسد ١-٣.

(٢) سورة الحجر ١١.

الثالث : إيذاء المشركين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت والصحابة ، وبعد أن كان أذاهم خاصاً بالمهاجرين صار يشمل الأنصار أيضاً ، وهذا الأذى على جهات :

الأولى : بعث قريش رسائل تهديد ووعيد إلى الأنصار .

الثانية : منع الأنصار من أداء مناسك العمرة والحج ، ونزل في ذم وتوبيخ الكفار قوله تعالى ﴿ وَمَا لَهُمْ لَّا يَعْزِبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصَدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنِ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

الثالثة : الإضرار بالأنصار في الكسب والتجارة .

الرابعة : هجوم المشركين على المدينة ، وإفزاز أهلها رجالاً ونساءً كما في معركة أحد ، وهجومهم في الأحزاب ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ ﴾ ^(٢) .

ولو دار الأمر في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ ^(٣)

بين إرادة الرجال فقط من المسلمين أم عموم المؤمنين والمؤمنات فالصحيح هو الثاني (عن عروة قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديبية راجعاً ، فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : والله ما هذا بفتح ، لقد صددنا عن البيت وصد هدينا ، وعكف

(١) سورة الأنفال ٣٤

(٢) سورة الأحزاب ٩-١٠ .

(٣) سورة الأحزاب ١٠ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية ورد رجلين من المسلمين خرجا .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول رجال من أصحابه : إن هذا ليس بفتح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بشس الكلام ، هذا أعظم الفتح ، لقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبون إليكم في الإياب ، وقد كرهوا منكم ما كرهوا ، وقد أظفركم الله عليهم ، وردكم سالمين غانمين مأجورين ، فهذا أعظم الفتح .

أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ، وأنا أدعوكم في أخراكم ، أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا؟ قال المسلمون : صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله وبالأمر منا . فأنزل الله سورة الفتح^(١).

الرابع : قيام المشركين بحشر الجيوش لمحاربة النبوة والتنزيل ، فبعد أن سار ألف رجل من قريش وعموم أهل مكة لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر ، ولحققتهم الهزيمة والخزي ، قاموا بجمع رجال القبائل معهم لذات الغاية الخبيثة ، وإنفقوا الأموال الطائلة في الإعداد لمعركة أحد .

ونزل في السنة الثانية للهجرة فرض الزكاة ، أي أن نزوله قبل معركة أحد ليكون من أسباب الإعانة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في شراء المؤن والسيوف والدروع للدفاع المحض .

لقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى معركة بدر في السنة الثانية للهجرة ، وليس عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيف وبعد معركة بدر اشتد تهديد المشركين ، وصارت الأخبار تترى من مكة بأن المشركين يعدون العدة لغزو المدينة ، ليكون نزول فريضة الزكاة عوناً ومدداً لهم ، وإن كان أكثر الصحابة يومئذ ممن لا تجب عليهم الزكاة ، ولا يتحقق عندهم النصاب.

فحينما نزلت آية الصدقات ، وآية ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^(١) قال بعض المنافقين والجاحدين (يستقرضنا ربنا، إنما يستقرض الفقير الغني)^(٢).

فجاءت آية البحث للزجر عن تكرار هذا القول ، وبيان ما يترتب عليه من العقاب الأخروي ، وفي التنزيل ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٣).

المسألة السادسة : لقد ذكرت آية السياق قوله تعالى ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ويحتمل متعلقه الموضوعي وجوهاً :

الأول : إرادة قول الذين كفروا مطلقاً ، وتقدير الآية : قد سمع الله قول الذين قالوا بغير حق ، أي قول الذين كفروا ليس حقاً .

الثاني : المراد قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ وتقدير الآية : لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير بغير حق .

الثالث : المقصود قولهم ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ بغير حق ، فهم الفقراء في النسأتين ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٢٤٥.

(٢) تفسير الطبري ٤٤٤/٧.

(٣) سورة غافر ١٦.

الرابع : تقدير الآية سنكتب ما قالوه بغير حق (لإفادة العموم وتدوين كل ما يقوله الذين كفروا من أسباب الجحود والصدود والتحريض على النبوة والتنزيل ومناجاة قريش في الهجوم على المدينة المنورة .

الخامس : قتل الأنبياء ، وهو المتبادر وتكون الواو كالإستئنافية وفيه منع من الظن بأن الأنبياء قتلوا في أمور قبلية أو شخصية ، إنما قتلوهم لأنهم أنبياء يدعون إلى الله .

المسألة السابعة : قد تقدم في تفسير الآية السابقة في الجزء التسعون بعد المائة من هذا التفسير ، وفي باب الإعراب واللغة أن الواو في ، (ونقول) : حرف عطف^(١).

وجملة (نقول ذوقوا) لا محل لها من الإعراب ، معطوفة على جملة (سنكتب).

والمعنى اللغوي والكلامي وعلم التفسير أعم من الصناعة النحوية ، وفيه شاهد على تخلف النحو والصرف والإشتقاق عن المقاصد السامية للآية القرآنية ودلالات الكلمة والحرف فيها ، ليكون من معاني العطف في آية السياق وجوه:

الأول : عطف الأمر الأخروي على الدنيوي فقول الله عز وجل للذين كفروا (ذوقوا عذاب الحريق) في عالم الآخرة ، وعند دخولهم النار ، والحريق اسم من حرق يحرق ، على وزن حطيل بمعنى أي المحرق ، كما يشمل معنى المصدر وهو الحرق.

الثاني : عطف الوعيد على فعل المعصية ليكون التباين أعم من أن ينحصر باللفظ ، فيشمل التباين الموضوعي .

(١) سورة فاطر ١٥.

(٢) أنظر ص ١٨ من الجزء التسعون بعد المائة.

الثالث : عطف الحكم على الموضوع ، فالموضوع المعطوف عليه ، قول الذين كفروا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ وَخَسٌّ أَغْنِيَاءُ﴾^(١) ، وقيامهم بقتل الأنبياء أما المعطوف فهو الحكم ، وكأن هذا العطف من العلة والمعلول والسبب والمسبب .

فلم يقل أحد من النحويين أن الواو تفيد السببية كما يفيدها حرف الباء مثلاً ، ولكنها جاءت في آية السياق بهذا المعنى ، إذ جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحان واختبار.

الرابع : عطف تنجز مصداق الوعيد على التخويف ، فقد يقول بعضهم إن الوعيد في القرآن للتخويف وأن الله يشمل الناس جميعاً برحمته ، ومنه قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾^(٢) .

فجاءت خاتمة آية السياق ﴿وَقُولُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٣) لتأكيد تحقق العقاب الأليم على الكفر والضلالة .

الخامس : عطف القول الصادر من الله عز وجل على أفعال الكافرين ليكون ذات العطف توبيخاً لهم ، وزاجراً عن البقاء على الكفر .

السادس : عطف المتحد على المتعدد ، فقد ذكرت آية السياق صدور ثلاثة أمور من الذين كفروا وهي :
أولاً : قولهم ان الله فقير .

ثانياً : ادعاؤهم الغنى والبطر ، وعدم الحاجة ، ومن خصائص الدنيا تقلب أحوال الناس فيها ، فحتى إذا لم ينزل البلاء بالذين كفروا لكفرهم

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) سورة البقرة ٨٠.

(٣) سورة آل عمران ١٨١.

وجحودهم فان أحوال الناس فيها ليست مستقرة ، قال تعالى ﴿وَلَيْكُمُ الْيَوْمَ نُذُولُهُمْ﴾ (١).

ثالثاً : قيام الذين كفروا بقتل الأنبياء .

ومن الإعجاز في آية السياق الفصل بين قولهم ونحن اغنياء وبين قتلهم الأنبياء لبيان مسألة وهي صدور قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (٢) من الذين جحدوا بالزكاة وأنكروا دفعها بحجة أن الله ليس بفقر وأنه لا يحتاج أموال الناس .

فلما نزل القرآن بقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (٣) شككوا بصيغة الإستهزاء في نزول هذه الآية .

فذكر الله عز وجل قولهم وذكرهم بمسألة وهي قتل أسلافهم للأنبياء ، ورضاهم بهذا القتل ، ورغبتهم بقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والسعي إليه .

ليكون تقدير ﴿وَقَتْلَهُمُ الْآيَةَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (٤) على جهات :

الأولى : سنكتب ما قالوا مع كتابة قتلهم الأنبياء ، لبيان أن قول (ان الله فقير) من الكبائر ، وأمر قبيح يغضب الله عز وجل ، وفيه دعوة للتدارك والإستغفار ، وهذه الدعوة التي تتضمنها آية السياق من مصاديق الرحمة العامة في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٥) ، من وجوه :

(١) سورة آل عمران ١٤٠.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

(٣) سورة الحديد ١١.

(٤) سورة آل عمران ١٨١.

(٥) سورة الأنبياء ١٠٧.

الأول : تفقه المسلمين في الدين ، ومعرفة القبح الذاتي والضرر الدنيوي والأخروي بالإمتناع عن الزكاة بالمغالطة الإفتراء ، بينما يكون في دفع الزكاة خير كثير ، وأجر عظيم.

الثاني : إنقطاع قول (إن الله فقير) من الأرض.

الثالث : إحساس الذين كفروا بالندامة والأسى قال موسى ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَيَّ الْكَافِرِينَ﴾^(١) ويعود الضمير إلى القرآن ، ويحتمل أوان هذه الحسرة وجوهاً :

الأول : في الحياة الدنيا .

الثاني : في الآخرة .

الثالث : في الدنيا والآخرة .

والمشهور هو الثاني ، والمختار هو الثالث لأصالة الإطلاق ، ولأن معاني قوله تعالى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣) ميل النفوس إلى الإيمان بالفطرة ومصاحبة الحسرة والندامة للكافرين على مخالفة الفطرة .

الرابع : إعراض الناس عن الذين قالوا (إن الله فقير ونحن أغنياء).

الخامس : رؤية الناس للبلاء الذي يحل بساحة الذين قالوا (إن الله فقير ونحن أغنياء).

السادس : دعوة المسلمين والناس جميعاً إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بخصوص تلقي الأوامر الإلهية بالعبادات والفرائض . فمن الإعجاز في حكم الصلاة والزكاة أنهما واجب .

(١) سورة الحاقة ٤٩-٥٠.

(٢) سورة السجدة ٩.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

والصلاة واجب مطلق يؤدي على أي حال ، وبالطهارة الترابية إن تعذرت الطهارة المائية مقدمة لها .

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

أما الزكاة فانها محصورة باعيان مخصوصة من التقدين والأنعام والغلات ، مع بلوغ النصاب وصدق الملكية ، ومرور حول عند أوان الحصاد ، وعدم وجود مانع .

ومن الإعجاز القرآني في ذكره للزكاة ، ورود وجوبها على الأنبياء وأهل الملل السابقة ، وفي إسماعيل عليه السلام ورد قوله تعالى ﴿وَكَانَ يُأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾^(٢).

وفي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ورد قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٣).

(١) سورة المائدة ٦.

(٢) سورة مريم ٥٥.

(٣) سورة الأنبياء ٧٢-٧٣.

وورد في التنزيل حكاية عن عيسى عليه السلام وهو آخر الرسل قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(١).

وقال تعالى في خطاب إلى المسلمين ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢).

ليبان أن وجوب الزكاة مصاحب لوجود الإنسان في الأرض وهو سبب لنزول البركة وصرف البلاء .

فان قلت هل كانت هناك زكاة في أيام آدم أم ليس من فقير ومستحق للزكاة أو لم يتحقق النصاب حيثئذ ، والجواب وجوب الزكاة أعم من تحقق النصاب ، كما أن أوجه صرف الزكاة أعم من أن تختص بالفقراء والمساكين ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣)، ثم أن آدم عليه السلام لم يمت حتى كثر أولاده وأحفاده .

وتدل واقعة تقريب هابيل وقايل القربان وان هابيل قرب من غنمه وقايل من زرعه على كثرة النعم التي عندهم آنذاك .

وكل من الغنم والحبوب تجب فيها الزكاة مع بلوغ النصاب .

المسألة التاسعة : تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه :

أولاً : لقد سمع الله وأن الله ليس بظلام للعبيد .

(١) سورة مريم ٣١.

(٢) سورة البقرة ١١٠.

(٣) سورة التوبة ٦٠.

ومن مصاديق تنزه الله عز وجل عن الظلم والجور أنه سبحانه سميع ، إذ يسمع الدعاء والنجوى ويسمع تلاوة الناس للتزليل فيرزقهم ويديم عليهم النعم .

ويسمع الشكوى فينصف المظلوم ولو بعد حين ، ويسمع مصاديق الطاعة من المؤمنين ، وأسباب المعصية من الذين كفروا .

ثانياً : يسمع الله عز وجل أقوال الخلائق كلها الظاهر منها والخفي ، ويسمع المكر والكيد فيدفعه عن يمينه ، وتتجلى موضوعية الدعاء بتنزه صاحبه عن المكر ، وسلامته من مكر الآخرين ، وقال تعالى ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١) ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢).

وصحيح أن لكل من الآيتين أعلاه أسباباً للنزول إلا أن موضوع كل واحدة منهما عام ومتجدد ، وهو من اسرار تغشيهما لأفراد الزمان الطولية فاخبار الله عز وجل عن مكر الذين كفروا واخباره بأنه السميع ، ولا يترك الناس وشأنهم ، إنما يكر بما فيه الخير والفلاح وصرف الأذى ، وموضوع آية السياق من مكر الذين كفروا وآية البحث من مكر الله عز وجل من جهات :

الأولى : يكر الذين كفروا بالإمتناع عن دفع الزكاة ، فيرزق الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من التجارة والكسب .

الثانية : يرد المنافقون سعاة الزكاة فيبادر المؤمنون إلى دفع الزكاة عن طيب نفس ، وقد يتوانى ويسوف بعض المسلمين في دفع الزكاة ، وذكر قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ

(١) سورة آل عمران ٥٤.

(٢) سورة الأنفال ٣٠.

مِن الصَّالِحِينَ»^(١) (عن ابن عباس في قوله { ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين }^(٢)).

وذلك أن رجلاً كان يقال له ثعلبة من الأنصار ، أتى مجلساً فاشهدهم فقال : لئن آتاني الله من فضله آتيت كل ذي حق حقه وتصدقت منه وجعلت منه للقراية . فابتلاه الله فأتاه من فضله . فخلف ما وعده ، فأغضب الله بما أخلفه ما وعده نقص الله شأنه في القرآن)^(٣).

وورد في ذلك حديث طويل عن أبي أمامة وقد ذكره وكيف أن ثعلبة بن حاطب سأل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو له بالرزق ، وقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما معناه : الفقير أحسن لك وقرأ عليهم قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٤) ثم دعا له (فقال : اللهم ارزق ثعلبة مالاً) .

فزادت غنم وأموال ثعلبة ولم تطقها المدينة فخرج في المراعي وصار يتخلف عن صلاة الجماعة ثم الجمعة ، وعندما جاءه المصدقون والعاملون على الزكاة امتنع عنها .

ثم استشهد عبد الله بن مسعود بالآية في صفات المنافقين إذ قال (اعتبروا المنافق بثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وذلك بأن الله تعالى يقول { ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن }^(٥) إلى آخر الآية)^(٦).

(١) سورة التوبة ٧٥.

(٢) سورة التوبة ٧٥.

(٣) الدر المنثور ١٢١/٥.

(٤) سورة الأحزاب ٢١.

(٥) سورة التوبة ٧٥.

(٦) الدر المنثور ١٢١/٥.

الثالثة : يقول أهل الجحود ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾^(١) إذ يطلب القرض منا ويتناجى المؤمنون بدفع الزكاة رجاء الثواب والبشارة التي يتضمنها قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

الرابعة : الآية أعلاه من مكر الله عز وجل إذ تزجر الذين كفروا عن الظلم وتمنع من الإصرار على عدم دفع الزكاة وتبعث المؤمنين وعامة الناس إلى دفع الزكاة .

الخامسة : منع المسلمين من الغلول والأخذ من الغنائم والأموال العامة خلصة ، قال تعالى ﴿يَغْلُ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٣) .

و(عن معاذ بن جبل قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن ، فلما سرت أرسل في أثري فرددت فقال : أتدري لم بعثت إليك؟ لا تصيبين شيئاً بغير إذني فإنه غلول } ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة }^(٤) لهذا دعوتك ، فامض لذلك)^(٥).

السادسة : لقد مكروا بادعائهم أنهم أغنياء ، فأختتمت آية السياق بالإخبار عن فقرهم ، ونزلت آية البحث بيان شدة العذاب الذي سوف يحيق بهم بما يستحقون ، مما يدل على أنهم أشد من الفقراء ، إذ أن الفقير

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) سورة البقرة ٢٤٥.

(٣) سورة آل عمران ١٦١.

(٤) سورة آل عمران ١٦١.

(٥) الدر المنثور ٢/٤٧٥.

هو المحتاج حاجة شديدة ، أما نزول العذاب فهو مرتبة أخرى أشد ألماً وعذاباً .

ومن الشواهد في الدنيا أنك تجد رجلاً غنياً وسلطاناً وهو يتألم من شدة المرض ، ويرغب بأن ينام ساعة في الليل ، ليكون موعظة للناس باجتناّب عذاب الآخرة .

المسألة العاشرة : لقد ذكرت آية السياق كتابة الله عز وجل لما يقوله الكافرون والمنافقون من ضروب الجحود والعناد والتحدي لأسباب الإمتناع عن دفع الزكاة .

وابتدأت آية البحث باسم الإشارة للبعيد (ذلك) لبيان مسألة وهي حضور ما كتبه الله وكتبه الملائكة من أفعال الناس يوم القيامة ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾^(١)، فهناك ملك حافظ وعتيد أي حازم وحاضر وصاحب متهيئ للكتابة .

(وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر أمثالها .

وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال صاحب اليمين أمسك فيمسك ست ساعات أو سبع ساعات ، فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئاً ، وإن لم يستغفر الله كتب عليه سيئة واحدة)^(٢) .

لقد ذكرت آية السياق كتابة قول الجاحدين (ان الله فقير ونحن أغنياء) على نحو المستقبل والإرجاء ، وفيه وجوه :

الأول : إختصاص إرجاء الكتابة بهذا القول .

الثاني : تعلق الإرجاء بمطلق أقوال الجاحدين ذات صبغة المعصية .

(١) سورة ق ١٨ .

(٢) الدر المنثور ٢٨٠/٩ .

الثالث : شمول إرجاء الكتابة لكل أقوال وأفعال الجاحدين .
الرابع : صفة الإطلاق في كل قول وفعل سوء يصدر من الناس وفي التنزيل في الثناء على الله عز وجل وبيان علمه بكل شئ ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١).

والمختار هو الأخير ، لوحدة الموضوع في تنقيح المناط.
المسألة الحادية عشرة : أختتمت آية البحث بقانون وهو (أن الله ليس بظلام للعبيد) وموضوعه شامل لمضامين آية السياق من جهات :
الأولى : سماع الله عز وجل لأقوال الناس ليس ظلماً لهم إنما هو رحمة لهم ، بدليل أن كلاً من آية البحث والسياق على وجوه :
الأول : إنها إنذار للذين كفروا .

الثاني : دلالة مفهوم الآيتين على البشارة للمؤمنين .
الثالث : بعث السكينة في نفوس المؤمنين .
الرابع : دعوة المسلمين للأمر بالذكر والإستغفار والنهي عن القول القبيح ، قال تعالى ﴿فَنَنْتَابُ مِنَ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).
الثانية : إخبار الله عز وجل عما قاله الذين كفروا بأن الله فقير ليس ظلماً لهم.

الثالثة : ييؤ الذين كفروا بائتهم إذ قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٣).

(١) سورة الجن ٢٨.

(٢) سورة المائدة ٣٩.

(٣) سورة آل عمران ١٨١.

الرابعة : لقد أنعم الله عز وجل على الناس بالمال والسعة والرزق الوفير وصحة الأبدان ، ومنهم الذين قالوا (ونحن أغنياء) .

ويؤكد ما في آية البحث والسياق من اللوم والتوبيخ الموجه إليهم قانوناً وهو أن الله عز وجل لم يظلم أحداً بهذه النعم ، ولكن الكافرين مصرون على الكفر حتى لو كانوا فقراء محتاجين ، وفي التنزيل ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(١).

الخامسة : بيان قانون وهو أن بعثة كل نبي رحمة للناس ونفع محض ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) ويؤكد صيغة العموم في لفظ العالمين ما يأتي به النبي من الأحكام والبشارات والإنذارات ، وتأكيده لنبوة الأنبياء السابقين ، ولكن الذين كفروا قاموا بقتل طائفة من الأنبياء ، كما ورد في آية السياق لتدل على تحمل الذين كفروا الوزر في المقام من وجوه :

الأول : التحريض على قتل الأنبياء ، وهل قول الذين كفروا بخصوص إبراهيم ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٣) من مصاديق آية السياق ، الجواب نعم ، لما تدل عليه من قتل الأنبياء والتحريض والإعانة عليه .

الثاني : الدم في آية السياق لا يختص بالقيام بقتل الأنبياء بل يشمل العزم عليه لأن الأصل هو تصديقهم واتباعهم والإمتناع عنه معصية واثم ، فكيف بالذي يسعى في قتلهم ، وليس من حصر للذين أرادوا قتل النبي

(١) سورة الاسراء ١٦.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة الأنبياء ٦٨.

محمد صلى الله عليه وآله وسلم مدة الدعوة النبوية في مكة ثم في المدينة وأدراكهم التوبة ودخلوا الإسلام إلا الله .

الثالث : محاربة الأنبياء بالسيف والإنقياد للطواغيت الذين يقاتلونهم ، قال تعالى ﴿ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبُّنَا كَثِيرٌ فَمَا هَتُّوْا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾^(١).

الرابع : سعي الذين كفروا لإغتيال النبي ووقف الدعوة إلى الله ، وفي إبراهيم ورد قوله تعالى ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾^(٢) ، إذ أرادوا إحراق إبراهيم بالنار وشاركوا بجمع الحطب . وكانت المرأة منهم إذا مرضت تنذر إن عوفيت تحمل حطباً لإحراق إبراهيم^(٣).

ولقد لاقى نوح عليه السلام الأذى من قومه ، خاصة وأنه طال عمره بينهم ، وهذه الإطالة من فضل الله وحجة له ، ودعوة لهم للإيمان ، ولكن ركبهم الحسد وأصروا على الضلالة .

و(عن ابن عباس : أن نوحاً بعث في الألف الثاني ، وأن آدم لم يمت حتى ولد له نوح في آخر الألف الأول ، وكان قد فشلت فيهم المعاصي ، وكثرت الجبابة ، وعتوا عتواً كبيراً ، وكان نوح يدعوهم ليلاً ونهاراً ، سراً وعلانية ، صبوراً حليماً .

ولم يلق أحد من الأنبياء أشد مما لقي نوح . فكانوا يدخلون عليه فيخنقونه ويضرب في المجالس ويطرد .

(١) سورة آل عمران ١٤٦ .

(٢) سورة الأنبياء ٧٠ .

(٣) أنظر تفسير ابن كثير ٣٥١/٥ .

وكان لا يدع على ما يصنع به أن يدعوهم ، ويقول : يا رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ، فكان لا يزيدهم ذلك إلا فراراً منه .
حتى إنه ليكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه ويجعل أصابعه في أذنيه لكيلا يسمع شيئاً من كلامه ، فذلك قوله الله { جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم }^(١) .

ثم قاموا من المجلس فاسرعوا المشي ، وقالوا : امضوا فإنه كذاب . واشتد عليه البلاء ، وكان ينتظر القرن بعد القرن ، والجيل بعد الجيل ، فلا يأتي قرن إلا وهو أخبث من الأول وأعتى من الأول ، ويقول الرجل منهم : قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا ، فلم يزل هكذا مجنوناً .
وكان الرجل منهم إذا أوصى عند الوفاة يقول لأولاده : احذروا هذا المجنون فإنه قد حدثني آبائي : إن هلاك الناس على يدي هذا فكانوا كذلك يتوارثون الوصية بينهم .

حتى إن كان الرجل ليحمل ولده على عاتقه ، ثم يقف به وعليه فيقول : يا بني ان عشت ومت أنا فاحذروا هذا الشيخ ، فلما طال ذلك به وبهم ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٢) ^(٣) .

وعن عبد الله بن مسعود : لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يحكي نبياً من الأنبياء وهو يقول : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون^(٤) .

(١) سورة نوح ٧ .

(٢) سورة هود ٢٣ .

(٣) الدر المنثور ٤/ ٢٥٣ .

(٤) الدر المنثور ٤/ ٢٥٤ .

المسألة الثانية عشرة : جاءت آية السياق بصيغة الجملة الخبرية من جهات :

الأولى : سماع الله لقول الذين كفروا .

الثانية : ذكر الآية لما قاله الذين كفروا .

الثالثة : توثيق قول الذين كفروا (ان الله فقير ونحن أغنياء).

الرابعة : الإخبار بان الله عز وجل سيكتب هذا القول الآثم.

الخامسة : إخبار آية السياق عن قتل الذين كفروا للأنبياء ، وتحتل الألف واللام في الأنبياء وجوهاً :

الأول : إفادة الإستغراق وأن الذين كفروا قتلوا الأنبياء على نحو العموم الإستغراقي .

الثاني : إرادة العهد وأن المقصود أنبياء مخصوصون ورد ذكرهم في القرآن والسنة ، وأن المسلمين يعرفونهم ومنه :

الأولى : إنه من ضروب العهد الذكري كما في قوله تعالى ﴿فَنَصَىٰ فرعونُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾^(١).

الثانية : إفادة شئ محدود يتبادر إلى الأذهان يعرف بالقرائن مثل قوله تعالى بخصوص صلح الحديبية ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٢).

الثالثة : إرادة العهد الذهني ، بأن يكون المقصود حاضراً وموجوداً ومعهوداً في الذهن ، فمثلاً تسمى الشجرة التي وقعت عندها البيعة شجرة الرضوان .

(وأخرج البخاري وابن مردويه عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطلقت حاجاً^(٣) فمررت بقوم يصلون فقلت : ما هذا المسجد؟ قالوا : هذه

(١) سورة المزمل ١٦.

(٢) سورة الفتح ١٨.

الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيعة الرضوان .
فأتيت سعيد بن المسيب^(٢) فأخبرته .

فقال سعيد : حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة ، فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها .

فقال سعيد: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم ، وبخصوص الحديث أعلاه قال (وإنما أسلم المسيب بن حزن مع أبيه يوم فتح مكة)^(٣) .

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن نافع قال : بلغ عمر بن الخطاب أن ناساً يأتون الشجرة التي بويح تحتها فأمر بها فقطعت .^(٤)

(١) أي خرج من المدينة المنورة متوجهاً إلى مكة .

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي تابعي من فقهاء المدينة توفي سنة ٩٤ للهجرة وأبوه سعيد بن حزن من الصحابة ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه أما جده حزن (كان من المهاجرين ومن أشرف قريش في الجاهلية وهو الذي أخذ الحجر من الكعبة حين فرغوا من قواعد إبراهيم فنزا الحجر من يده حتى رجع مكانه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحزن بن أبي وهب : " ما اسمك " . قال حزن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " لا بل أنت سهل " . فقال اسم سماني به أبي ويروي أنه قال : " إنما السهولة للحمار "

قال سعيد بن المسيب فما زالت تلك الحزونة تعرف فينا حتى اليوم وقال أهل النسب في ولده حزونة وسوء خلق معروف ذلك فيهم لا يكاد يعدم منهم وكان سعيد بن المسيب ربما أنشد :

وعمران بن مخزوم فدعهم ... هناك السر والحسب اللباب) الإستيعاب ١١٩/١ .

(٣) الإستيعاب ١٨٧/٥٨ .

(٤) الدر المنثور ٢٢٠/٩ .

(وبلغ عمر بن الخطاب في زمان خلافته ان ناسا يصلون عندها فتوعدهم وامر بها فقطعت خوف ظهور البدعة انتهى وروى النسفي في التيسير انها عميت عليهم ذهبوا يصلون تحت شجرة على ظن انها هي شجرة البيعة فامر عمر بقطعها .

وفى كشف النور لابن النابلسي اما قول بعض المقررين باننا نخاف على العوام اذا اعتقد وليا من الاولياء وعظموا قبره والتمسوا البركة والمعونة منه ان يدركهم اعتقاد أن الاولياء تؤثر في الوجود مع الله فيكفرون ويشركون بالله تعالى فنهاهم عن ذلك ونهدم قبور الأولياء ونرفع البنايات الموضوعة عليها ونزيل الستور عنها ونجعل الاهانة للأولياء ظاهرا حتى تعلم العوام الجاهلون ان هؤلاء الاولياء لو كانوا مؤثرين في الوجود مع الله تعالى لدفعوا عن انفسهم هذه الاهانة التي تفعلها معهم فاعلم ان هذا الصنيع كفر صراح مأخوذ من قول فرعون على ما حكاه الله تعالى لنا في كتابه القديم .

وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وكيف يجوز هذا الصنيع من اجل الامر الموهوم وهو خوف الضلال على العامة انتهى (١)(٢).

ومن العهد الذهني قوله تعالى ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى﴾ (٣). والتابوت : الصندوق وعندما سئل الإمام الرضا عليه السلام عن التابوت الذي كان في بني اسرائيل ؟ قال :

(١) تفسير حقي ٩/١٤ .

(٢) أنظر روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي الأستانبولي الأيدوسي الحنفي .

(٣) سورة البقرة ٢٤٨ .

كان فيه ألواح موسى التي تكسرت والطست التي تغسل فيها قلوب الأنبياء (١).

وقيل (لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في التَّابُوتِ فلغة قريش بالتاء ولغة الأنصار بالهاء) (٢) أي التابوت ، وطول التابوت ثلاثة أذرع بذراعين .

(عن ابن عباس في قوله { ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى . . . } (٣) الآية . قال : هذا حين رفعت التوراة واستخرج أهل الإيمان .

وكانت الجبابة قد أخرجتهم من ديارهم وأبنائهم ، فلما كتب عليهم القتال وذلك حين أتاهم التابوت قال : وكان من بني إسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط خلافة ، فلا تكون الخلافة إلا في سبط الخلافة ، ولا تكون النبوة إلا في سبط النبوة { فقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه } (٤) وليس من أحد السبطين ، لا من سبط النبوة ولا من سبط الخلافة { قال إن الله اصطفاه عليكم . . . } (٥) الآية .

فأبوا أن يسلموا له الرياسة حتى قال لهم { إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينة من ربكم } (٦) وكان موسى حين ألقى الألواح تكسرت ورفعها منها ، وجمع ما بقي فجعله في التابوت .

(١) تفسير العياشي ١/١٤٣ .

(٢) لسان العرب ١٠/٢٣٣ .

(٣) سورة البقرة ٢٤٦ .

(٤) سورة البقرة ٢٤٧ .

(٥) سورة البقرة ٢٤٧ .

(٦) سورة البقرة ٢٤٨ .

وكانت العمالة قد سبت ذلك التابوت - والعمالة فرقة من عاد كانوا بأريحا - فجاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعت عند طالوت ، فلما رأوا ذلك قالوا : نعم ، فسلموا له وملكوه .

وكانت الأنبياء إذا حضروا قتالاً قدموا التابوت بين أيديهم . ويقولون : إن آدم نزل بذلك التابوت ، وبالركن^(١) ، وبعضا موسى من الجنة ، وبلغني أن التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية ، وأنهما يخرجان قبل يوم القيامة^(٢) .

وكان سبط النبوّة الأوس بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، ومنه موسى وهارون وسبط المملكة سبط يهود بن يعقوب ومنه داود وسليمان ، وجمع الله لهما النبوّة والملك ، ولم يكن طالوت من سبط النبوّة ولا من سبط الملك ، وكان ابن يامين بن يعقوب

الثالث : إفادة الجنس ، وتسمى (أل) الجنسية كما في قوله ﴿وَحَلَقَ

الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^(٣) وتدخل لام الجنس مع لام الإستغراق من جهة إرادة العموم ، وتسمى لام استغراق الجنس ، وتقسم إلى جهات :
الأولى : إستغراق الأفراد ، وهذه تخلفها (كل) على نحو الحقيقة ،
ومنها لفظ ﴿الإنسان﴾ في الآية أعلاه .

(١) المراد من الركن في هذا الخبر هو الحجر الأسود ويسمى أيضاً الحجر الأسعد ، وعن ابن عباس قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم) الدر المنثور ٢٥٨/١ .

(٢) سورة النساء ٢٨ .

(٣) سورة النساء ٣٤ .

الثانية : إستغراق خصائص الأفراد ، وتخلفها (كل) على سبيل المبالغة والمجاز .

وتفيد تغشي وشمول صفة مخصوصة عامة أو شائعة عند الأفراد كما في صفة قوامين على الرجال في قوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^(١).

الثالثة : لام تعريف الماهية ، وقد يطلق عليها (لام الحقيقة) أو (لام الماهية) ، ولا تخلفها (كل) لا حقيقة ولا مجازا ، وأستدل عليه بقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٢).

الرابع : إرادة معنى وسط وبرزخ بين الإستغراق والعهد ، وهذا قسيم نذكره هنا لأول مرة لبيان علم جديد وهو أن الألف واللام لا تنحصر بالإستغراق والجنس والعهد ، فقد تدل على الجزئية وإرادة شطر ومنه الجهة الثالثة أعلاه .

وقوله ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(٣) فالذكر اسم جنس وكذا الأنثى إلا أن يراد آدم وحواء ، فيكون للعهد ، ولا مانع من الجمع بينهما لبيان قانون وهو أن علوم ومعاني ألفاظ القرآن أعم مما يرد في الصناعة النحوية والكلامية والأصولية إذ تقسم اللام إلى لام الجنس والإستغراق والعهد ، وقد تأتي لام في القرآن جامعة لهذه المعاني بحسب اللحاظ ومن غير تعارض بينها .

ويعرف المراد بالقرائن وكذا بالنسبة لباب الخاص والعام والمطلق والمقيد ، فقد يكون ذات اللفظ عاماً مرة وأخرى خاصاً .

(١) سورة الليل ٣.

(٢) سورة الليل ٣.

(٣) سورة الليل ٣.

وقوله تعالى ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾^(١) فالألف في كل من الذكر والأنثيين للجنس ، ولو قلت لاستغراق أفراد الأبناء صح ، فمن الذكور من يكون أباً للميت فيرث سهمه ، ومنهم من يكون أخاً ، وهو لا يرث مع وجود أحد أفراد المرتبة الأولى من الأبوين والأبناء ، ويرث مع عدمهم وكذا بالنسبة للجد .

فالمراد من الذكر في الآية من الأولاد ، وكذا البنات من الأنثيين ، لذا جاءت الآية صريحة ودافعة للشك ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَكَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَكَدٌ وَوَرَّثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ ذَيْنِ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾^(٢) .

نعم تكون اللام للإستغراق بلحاظ ذكر الآية للأولاد ، فيكون تقدير الآية : يوصيكم الله في ولدكم الذكر له مثل حظ الأنثيين من البنات وهو الصحيح .

المسألة الثالثة عشرة : يدل الجمع بين إنكار الذين كفروا الزكاة ، وتلقي الأمر بالصدقة والإنفاق في سبيل الله بالإستهزاء ، وعزمهم على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيزهم الجيوش لقتاله على حاجة المسلمين للدفاع .

(١) سورة النساء ١١.

(٢) سورة النساء ١١.

لتكون آية السياق من الشواهد على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يغز أحداً إنما كان وأصحابه مضطرين للدفاع.

ولم تقل آية السياق (ذوقوا عذاب النار) إنما ذكرت عذاب الحريق لبيان مسألة وهي أن الذين كفروا أحياء وهم في النار يحسون بالعذاب وألمه ، ومرة تذكر النار وأخرى باسم جهنم كما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

وبين القرآن توصل المؤمنين في الدنيا إلى الله عز وجل للنجاة من عذابها ، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(٢).

ومن إعجاز القرآن ووصفه الوقائع في الآخرة ، والجمع والعطف بين عذاب جهنم وعذاب الحريق ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ كَفَرُوا فَهُمْ لَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾^(٣).

وبلحاز آيات القرآن في المقام يكون العطف في الآية من عطف الخاص على العام ، وأن عذاب الحريق جزء من عذاب جهنم إلا أن يراد بعذاب جهنم هو قعر النار ، وأن الحريق وعذاب الكفار به يسبق دخولهم النار . ومن معاني ذكر آية السياق لعذاب الحريق أنه أمر محسوس وأن الإنسان يدرك ما يفعله الحرق في بدنه من الألم والأثر والأوجاع .

(١) سورة الملك ٦.

(٢) سورة الفرقان ٦٥.

(٣) سورة البروج ١٠.

وقد يظن بعضهم أن النار تأتي على الكافر حينما يدخلها قياساً على نار الدنيا ، وكيف أنها تذيب الشئ المحروق وتتركه رماداً ، ولكن الحرق على درجات كما تقدم ^(١).

لم يرد لفظ ﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في القرآن إلا في آية البحث ، نعم ورد قوله تعالى ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ ^(٢) مرتين ، وورد قوله تعالى ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ ^(٣) في القرآن مرة واحدة .

لقد اختصت آية البحث بتذوق عذاب الحريق ، وذكر التذوق للإحساس بهذا العذاب ، وفيه نكتة وهي أن هذا العذاب لم يذق مثله الذين كفروا في الدنيا ، والأصل في قصد التذوق هو إرادة تذوق اللذيذ والنكهة الطيبة .

وأصل التذوق هو تحسس المستقبلات الموجودة في فضاء الفم للطعم وآلاف الحليمات التي على اللسان والتي ترى بالعين المجردة ، وداخل كل حليلة المئات من براعم التذوق .

وهناك براعم أخرى على سطح الحلق وخلف الفم وفي الحلق ، ويشمل التذوق أموراً :

الأول : درجة الحلاوة .

الثاني : مقدار الحموضة .

الثالث : نسبة الملوحة .

الرابع : وجود المرارة .

ويتنمي التذوق إلى الجهاز الهضمي ، أما التذوق في آية البحث فلا يختص باللسان وفضاء وبراعم الفم ، إنما يكون تذوق حريق النار بكافة

(١) أنظر الجزء السابع والثمانين بعد المائة ص ٢٩٥ .

(٢) سورة السجدة ٢٠ .

(٣) سورة يونس ٥٢ .

خلايا الجسد وحساسيته ، وحال الحكة والهرش واللسعات التي تكون فيه ، وليس من وقاية أو علاج ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾^(١).

{ تلا رجل عند عمر { كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها {^(٢) فقال كعب : عندي تفسير هذه الآية ، قرأتها قبل الإسلام . فقال : هاتها يا كعب ، فإن جئت بها كما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدقناك .

قال : إني قرأتها قبل الإسلام { كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها {^(٣) في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة . فقال عمر : هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤).

وإذا كانت حاسة التذوق تبدأ بالضعف عند الإنسان بعد بلوغه الخمسين من العمر ، فإن تذوق الذين كفروا شدة الحريق ورائحته في الآخرة أبدي ومصاحب لوجودهم فيها .

الوجه الثاني : صلة آية البحث بالآية الكريمة ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ

يَخْلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٥).

(١) سورة النساء ٥٦.

(٢) سورة النساء ٥٦.

(٣) سورة النساء ٥٦.

(٤) الدر المنثور ٣/ ١٤٨ .

(٥) سورة آل عمران ١٨٠.

المسألة الأولى : وردت آية السياق بصيغة الجملة الخبرية إذ ابتدأت بقوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾.

(والْحُسْبَانُ مِنَ الظَّنِّ، حَسِبَ يَحْسَبُ، لغتان، حُسْبَانًا، وقوله عز وجل ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي قُدِّرَ لهما حِسَابٌ معلوم في مواقيتهما لا يَعدُوَانِه ولا يُجاوِزَانِه.

وقوله تعالى ﴿وِيرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي نَارًا تُحْرِقُهَا^(١). والمختار أن الحسبان في الآية هو الظن المعتبر ، وكذا وردت آية البحث بصيغة الجملة الخبرية .

وبين الآيتين بخصوص عالم الموضوع عموم وخصوص مطلق ، إذ تتضمن آية البحث أمور الدنيا والآخرة ، تبخل طائفة من الناس بالزكاة والحقوق الشرعية في الدنيا ، فيكون هذا البخل والإمساك وبالأعلى عليهم في الآخرة بينما ذكرت آية البحث خصوص العذاب للكافرين في الآخرة وان كانت أيضاً تذكر أحوالهم وأفعالهم في الدنيا بقوله تعالى ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أُبَدِّكُمْ﴾ لأن المراد في التقديم بالأيدي هو عالم الأفعال في الدنيا بلحاظ أنها دار عمل من غير حساب ، أما الآخرة فهي دار حساب بلا عمل .

فتفضل الله عز وجل وجعل الحياة الدنيا دار الإنذار ، ومن مصاديقه :
الأول : آية البحث وما فيها من إقامة الحجة والوعيد .

الثاني : آية السياق وما تتضمنه من ذكر لسبب وفعل قبيح يقود الى العذاب الأليم في الآخرة .

الثالث : الجامع المشترك بين آية البحث وآية السياق وإفادته تأكيد وقوف الناس بين يدي الله عز وجل للحساب يوم القيامة.

المسألة الثانية : لقد ذكرت آية السياق قانوناً من الإرادة التكوينية وهو ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو من مصاديق العام الذي لا يقبل التخصيص خلافاً لما قيل في الفلسفة وعلم الأصول بأنه ما من عام إلا وقد خص .

وهل في الآية ترغيب للناس جميعاً للإتفاق في سبيل الله وإخراج الزكاة والخمس والحقوق الشرعية ، وإفشاء الصدقة الواجبة والمستحبة ، الجواب نعم ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ، إذ تبعت آية السياق الناس جميعاً ومنهم الذين كفروا على الإتفاق في سبيل الله ، وعلى إعانة الفقراء ومساعدة المحتاجين ، وهو من أسرار تبكيت وتوبيخ الآية للذين يحبسون أموالهم ولا يخرجون منها الحقوق الشرعية ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢).

وكان الآية تقول للذين يحبسون الحقوق ، ويمتنعون عن الزكاة وإعانة الفقراء فما دام ميراث الأرض وما فيها كله لله عز وجل فعليكم بالبذل في سبيل الله ، وليس من سبب عقلائي للبخل.

ترى لماذا لم تكتف الآية الكريمة بذكر ميراث الأرض إنما ذكرته مع ميراث السموات ، الجواب لبيان الإطلاق في ملك الله عز وجل ولم يكن هناك شيء إلا ويعود لملك الله ، وفيه بعث للسكينة وطمأنينة للنفوس بأن الله يرزق من السماء والأرض ، و﴿أَنِّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٣).

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة التوبة ٣٤.

(٣) سورة البقرة ١٦٥.

وهل يمكن الجمع بين الآيتين بتقدير : ذلك بما قدمت أيديكم والله ميراث السموات والأرض) الجواب نعم فإخبار آية السياق عن عودة كل ما في السموات والأرض إليه سبحانه دعوة للإفناق في سبيله وتنزيه عن البخل والشح .

لقد أكرم الله عز وجل الناس بأن أنزل الكتب السماوية وأخبرهم عن وجود طائفة منهم تجبس ما يجب في أموالهم من الحقوق ، وأقام الحجة عليهم بأن ملك السموات والأرض له سبحانه وحده لا يشاركه فيه أحد ، وأن الذين يخلون بالأموال يخلفونها ويتركونها خلفهم ، إذ أن مغادرتهم الحياة الدنيا أمر حتمي ، خاصة أن أيام الحياة الدنيا لآلاف السنين منذ هبوط آدم وحواء إلى الأرض ، وليس من بشر في الأرض غيرهما .

ويتجلى بتكاثر الناس وبلوغهم المليارات من البشر في هذا الزمان وكلهم من ذرية آدم وحواء ، وهو من مصاديق ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١) ، وفيهم العقيم ، والأعزب ، وقضمت الحروب والمعارك الآلاف منهم في كل زمان ، بينما هبط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض ولم يكن في الأرض غيرهما .

وعن ابن عباس قال : أهبط آدم بالهند وحواء بمجدة ، فجاء في طلبها حتى أتى جمعا ، فازدلفت إليه حواء ، فلذلك سميت (المزدلفة) واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعا^(٢) .

وفي رواية بدحنا من أرض الهند .
وذكر أنهما التقيا على جبل عرفات وعن ابن عمر قال : أهبط آدم بالصفاء وحواء بالمروة وفي خبر أنهما أهبطا معاً في الهند .

(١) سورة الأنعام ١٠١ .

(٢) الدر المنثور ٨٥/١ .

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال : هبط آدم عليه السلام على الصفا ولذلك سمي الصفا، لأن المصطفى هبط عليه ، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾^(١).

وهبطت حواء على المروة وإنما سميت المروة لأن المرأة هبطت عليها، وهما جبلان عن يمين الكعبة وشمالها، فاعتزلها آدم حين فرق بينهما فكان يأتيها بالنهار فيتحدث عندها فإذا كان الليل خشي أن تغلبه نفسه فيرجع فمكث بذلك ما شاء الله، ثم أرسل إليه جبرئيل عليه السلام: فقال: السلام عليك يا آدم. وساق الحديث^(٢).

المسألة الثالثة : إبتدأت آية البحث باسم الإشارة (ذلك) وهو من الإثبات بينما إبتدأت آية السياق بالنفي (لا يحسن) مع إتحاد الموضوع في المقام إذ تتضمن الآيتان ذم الذين كفروا والمنافقين الذين يصرون على حجب الحقوق الشرعية .

لقد أخبرت آية السياق عن ظن الذين ييخلون بالحقوق الشرعية بأن هذا البخل نفع لهم إنما هو شر لهم فجاءت آية البحث لبيان مصداق للأذى الذي يلقونه بالعذاب الأخروي .

ليستحضر الناس عالم الحساب والجزاء ، وشدة عذاب الذي يجحد بالتنزيل ، ويستهزء بالأحكام الشرعية ، ويمتنع عن دفع الزكاة .

ومن الإعجاز في آية البحث ذكرها للأيدي وأن ما قدمته واقترفته لتدخل مضامين آية السياق في ذات موضوع آية البحث.

وهل البخل بالحقوق الشرعية وحسبها مما قدمت الأيدي ، الجواب نعم لأنه أمر وجودي وليس عديماً.

(١) سورة آل عمران ٣٣.

(٢) البحار ١١/١٦٩.

المسألة الرابعة : من وجوه الجمع بين آية البحث والسياق ذم الذين كفروا ببحودهم بما آتاهم الله من فضله وامتناعهم عن شكره تعالى ، ويتجلى هذا الشكر في المقام بطاعة الأوامر الإلهية للإنفاق في سبيله وإعانة الفقراء .

ومن الإعجاز في شريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنها أحكام نازلة من عند الله أن الزكاة تصرف على الفقراء والمحتاجين وقضاء دين الغارم وفي سبيل الله ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(١).

ولو دار الأمر في الآية أعلاه بارادة خصوص الصدقة الواجبة من الزكاة ونحوها أم أن المراد العموم وشمول الصدقة المستحبة ونحوها ، الجواب هو الثاني .

وحصر الآية أعلاه الصدقة بالمصارف الثمانية أعلاه معجزة وهداية وضبط ، ومنع للفتنة في الحقوق الشرعية إلى يوم القيامة .

و(عن زياد بن الحارث الصدائي، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبايعته، فأتى رجل فقال: أعطني من الصدقة فقال له: "إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو، فجزأها ثمانية أصناف، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك)"^(٢).

وعنه قال (بيننا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاء قوم يشكون عاملهم ، ثم قالوا : يا رسول الله آخذنا بشيء كان بيننا وبينه في

(١) سورة التوبة ٦٠.

(٢) تفسير ابن كثير ١٦٥/٤.

الجاهلية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا خير للمؤمن في الإمارة .

ثم قام رجل فقال : يا رسول الله أعطني من الصدقة . فقال : إن الله لم يكل قسمها إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى أجزأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت جزءاً منها أعطيتك وإن كنت غنياً عنها فإنما هي صداع في الرأس وداء في البطن^(١).

وهذا الجواب من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جوامع الكلم ، وهو بذاته تشريع وإخبار بان الشريعة من عند الله ، وهل فيه دلالة على أن السنة لا تنسخ القرآن ، الجواب نعم .

وفي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعلاه تأكيد على العلماء بالتحديد بصرف الزكاة في موارد المقرر ومنع الإجهاد فيها خلاف النص أو التعدي على تلك الأصناف ، وقد قدمت الآية الفقراء لحب الله عز وجل لهم ، وتنبه الناس إلى لزوم العناية بهم ، وعدم الاستكبار عنهم ، وفي مساعدتهم ودفع فاقتهم حفظ للنظام العام والتعايش السلمي ، وبرزخ دون الجناية والتمرد .

واختلف في استيعاب الدفع على وجهين :

الأول : يجب استيعاب كل الأصناف الثمانية وبه قال الشافعي وجماعة^(٢) فإذا كان عند شخص زكاة فانه يقسمها بين هذه الأصناف ولا يحصر صرفها ببعضها .

الثاني : جواز الإكتفاء بواحد من هذه الأصناف واعطاء جميع الزكاة له ، وهو المشهور ، إنما ذكرت الأصناف الثمانية لبيان وجوه الصرف وليس استيعاب الصرف .

(١) الدر المنثور ٩٨/٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٦٥/٤ .

ويجوز الوسط والبرزخ في المقام ، فيجوز حصر زكاة المسلم بصنف واحد من هذه الأصناف الثمانية مع شدة الحاجة ، وإمكان الإرجاء في الأصناف الأخرى خاصة وان دفع الزكاة يكون من قبل صاحب المال إلى جهة الإستحقاق بواسطة أو بغير واسطة .

وهل يمكن إعطاء الزكاة إلى فرد واحد من صنف واحد مع شدة حاجته ، الجواب نعم إلا مع التعدد في المحتاج ، فإذا كان عدد من الفقراء والمساكين محتاجين فيجب توزيع الزكاة عليهم والعلم عند الله .

وفي سبب نزول الآية ورد عن جابر قال (عن جابر قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله وهو يقسم قسماً ، فأعرض عنه وجعل يقسم قال : أتعطي رعاء الشاء؟

والله ما عدلت . فقال : ويحك . . . ! من يعدل إذا أنا لم أعدل؟

فأنزل الله هذه الآية { إنما الصدقات للفقراء . . . } (١) الآية (٣).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (إنما وضعت الزكاة اختباراً للاغنياء ومعونة للفقراء، ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً، ولا استغنى بما فرض الله عز وجل له، وإن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الاغنياء) (٣).

ومن مصاديق الإبتلاء في الدنيا صيرورة الإنسان غنياً تتعلق الزكاة بماله ، وما في المال من أسباب الجاه والشأن وهو من عمومات قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (٤) .

(١) سورة التوبة ٦٠.

(٢) الدر المنثور ٩٨/٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه ١٠٠/٦.

(٤) سورة يونس ١٤.

ويأتي دفع الزكاة ليكون صيانة للمال وحفظاً للجاء ، وهو من أسرار إطلاق اسم الزكاة على إخراج الحق الشرعي ، فمع أن المعنى اللغوي للزكاة هو النماء فقد أطلق في الإصطلاح الشرعي على الزكاة ليكون معنى النماء والبركة في الزكاة نوع وعد كريم من عند الله ، وكأن موضوع هذه التسمية أن الله يقول للأغنياء أخرجوا زكاة أموالكم وأنا أعوضكم عليها أضعافاً .

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

وهل يختص موضوع الأضعاف المضاعفة في الآية أعلاه خاصاً بسهم (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) المذكور في الآية .

أم أنه عام في مصارف الزكاة كلها ، الجواب هو الثاني خصوصاً أن ذكر ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإفادة المعنى الأعم ، وقصد القرابة في الإنفاق ودفع الزكاة والخمس والصدقة المستحبة ، قال تعالى ﴿يُحَقِّقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾^(٢) .

وكما في اسم الكتاب فانه يرد في القرآن بمعاني متعددة عامة وخاصة منها القرآن والتوراة والإنجيل والنظام الكوني الدقيق والوعد من الله عز

(١) سورة البقرة ٢٦١.

(٢) سورة البقرة ٢٧٦.

وجل بالرحمة والإمهال والعفو ، قال تعالى ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمُ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

المسألة الخامسة : لقد بينت آية السياق مسألتين :

الأولى : بخل الذين جحدوا والمنافقين بالزكاة وامتناعهم عن الإنفاق في سبيل الله .

الثانية : ظن الذين كفروا بأن هذا البخل والشح سينفعهم خاصة عند حال العوز واحتمال الحاجة ، وبين الحاجة والفاقة عموم وخصوص مطلق ، فكل فاقة هي حاجة وليس العكس .

ويحتمل موضوع المؤاخذه وجوهاً :

الأول : المؤاخذه على الظن الذي ابتدأت به الآية (ولا يحسبن).

الثاني : المؤاخذه والحساب على ذات البخل والشح بالحقوق .

الثالث : محاسبة الذين كفروا على البخل مطلقاً سواء الذي في الحقوق الشرعية أو غيرها من الإنفاق على النفس والعيال لذكر الآية بأن المال الذي عندهم من فضل الله .

والمختار هو الثاني أعلاه ، ثم أن الآية لم تذكر الحسبان والظن على

نحو الوقوع والتنجز ، والله عز وجل ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي

الصُّدُورُ﴾^(٢) ، ولكنها نهت عن هذا الحسبان بقوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ

ويحتمل وجوهاً :

الأول : كل الذين امتنعوا عن دفع الزكاة والحقوق الشرعية يظنون أن هذا الإمتناع خير لهم .

(١) سورة الأنفال ٦٨.

(٢) سورة غافر ١٩.

الثاني : شطر من الذين امتنعوا عن دفع الزكاة يظنون أن هذا الإمتناع وحبس الحقوق هو خير ونفع لهم .

الثالث : ليس من الذين كفروا والمنافقين وعموم الذين يسكون عن إخراج الزكاة والحقوق الشرعية من يحسب هذا الإمساك خيراً له ، ولكن الآية جاءت لمنع البخل بالزكاة وحجب حق الفقراء .

وقد ورد لفظ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ في القرآن ثلاث مرات ، إحداها في آية السياق ، واثنين في قوله تعالى :

الأولى : وردت قبل آية السياق بآيتين وهي ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ لِيُذْذَبُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١) ، لبيان إتحاد موضوع الإنذار للذين كفروا.

الثانية : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾^(٢) .
كما ورد لفظ (لا تحسبن) في آيات من القرآن خطاباً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها قوله تعالى في ذم الذين كفروا ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا هُم بِالنَّارِ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٣) .
وهل ذكر القرآن لظن الذين كفروا بما هو قبيح ولا أصل له رحمة بهم أو هو عقوبة لهم ، الجواب من وجوه :

الأول : إنه رحمة بهم .

الثاني : فيه رحمة بالناس جميعاً لتحذيرهم من اقتفاء أثر وفعل الذين كفروا .

(١) سورة آل عمران ١٧٨ .

(٢) سورة الأنفال ٥٩ .

(٣) سورة النور ٥٧ .

الثالث : دلالة قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاءَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١) ، في مفهومه على الثناء على المسلمين والمسلمات من جهات:

الأولى : الذين يخرجون الزكاة والحقوق الشرعية .
الثانية : الذين يأمررون ويحثون على إخراج الزكاة ودفعها إلى المستحقين.

الثالثة : نهى المسلمين عن الإمتناع عن دفع الزكاة ، إذ جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار الموعظة من الذات والغير ، ومن الأحياء والأموات ، قال تعالى ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْنِكَ مِنْ أُنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبَّيْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

المسألة السادسة : لقد ذكرت آية السياق البخل بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾^(٣) ، مما يدل على وجود طائفة تمتنع عن دفع الصدقات ، لذا فإن آية السياق حاجة للناس للتنزه عن هذا الإمتناع ، ودعوة الناس جميعاً للتعاون في سبيل هذا التنزه .

وأخبرت الآية عن قانون فيما جبلت عليه النفوس وهو أن الذين يحبون الصدقات يظنون أن هذا البخل خير لهم ، فنزلت الرحمة في آية البحث باخبارهم أن هذا البخل لا تقع فيه إنما هو ضرر محض .
 ومن إعجاز آية السياق أنها لم تقيد أو تحضر موضوع البخل بالزكاة ، إنما تضمنت ذم البخل مطلقاً ، مع إقامة الحجة على البخلاء بالزكاة بأنهم

(١) سورة آل عمران ١٨٠.

(٢) سورة هود ١٢٠.

(٣) سورة الحديد ٢٤.

إنما يخلون بما أنعم الله عز وجل به عليهم ، أي أنهم لم يجمعوا الأموال بسعيهم وجهدهم ، وتدبيرهم ، وحسن تصرفهم في البيع والشراء والمعاملات .

وفي ذم قارون وهو ابن عم موسى عليه السلام ، ورد في التنزيل حكاية عنه وتفاخره بكثرة أمواله التي تعجز البغال الكثيرة عن حملها ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ ﴾^(١) ، وفي معنى ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ وجوه :

الأول : لولا رضا الله عني ، ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال^(٢) .

الثاني : على خير عندي .

الثالث : المراد أنه جمع الأموال بعلمه ، وتصريفه للأموال ، وقيل كان يعالج الكيمياء .

الرابع : أن الله عز وجل فضّلني عليكم .

والمختار هو الثالث ، لأن الآية وردت بصيغة الذم له المقرون بالوعيد .

المسألة السابعة : وهل من ملازمة بين النفاق وبين البخل عن الإنفاق

في سبيل الله ، الجواب نعم .

لقد ورد الذم للمنافقين في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ

النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾^(٣)

إذ تضمنت الآية أعلاه خصالاً مذمومة وهي :

(١) سورة القصص ٧٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٥٥/٦ .

(٣) سورة النساء ٣٧ .

الأولى : المراد البخل بفضل الله بدليل القيد الوارد في آية السياق ﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١).

الثانية : القيام بأمر الناس بالبخل بالإمتناع عن دفع الزكاة ، وعن الإنفاق لدفع مشركي قريش الذين زحفت جيوشهم من مكة مسافة (٤٥٠) كم لتقاتل على أطراف المدينة كما في معركة أحد في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة .

ولتحاصر المدينة في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة كما في الخندق والتي سماها الله الأحزاب لإجتماع الأحزاب للهجوم على المدينة وقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإرادة استباحة المدينة وفيها المسلم والمنافق والكتابي والكافر .

وهل لام (الناس) في الآية أعلاه للإستغراق أم للعهد أم أنها من الإصطلاح الذي اقترحنه في هذا الجزء وهو (البرزخ) المختار هو الأخير . وهو لا يتعارض مع ما ذكر عن ابن عباس عن أسباب نزول الآية ، قال (نزلت في كردم بن زيد وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع ويحيى بن يعمر ويحيى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت ،

كانوا يأتون رجالا من الأنصار ويخالطونهم وينصحونهم ، فيقولون لهم لا تنفقوا أموالكم ؛ فإننا نخشى عليكم الفقر ، ولا ندري ما يكون ، فأنزل الله عز وجل {الَّذِينَ يَخْلُونُ} إلى قوله : {مِنْ فَضْلِهِ} يعني المال .

وقال يمان : يعني يخلون بالصدقة)^(٢).

الثالثة : إخفاء ما أنعم الله عز وجل عليهم من حال الغنى والمال الذي تتعلق به الزكاة ، ويدعون الفقر والفاقة ، ويكتمون مسألة وهي أن من

(١) سورة آل عمران ١٨١ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٤١٢/٣ .

صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأمر بالزكاة ، وأن وجوده بين
ظهرانهم نعمة وفضل من الله .

وجاءت آية البحث للنهي عن الكفر وعن النفاق ، وعن البخل بالزكاة
والإمتناع عن الإنفاق في سبيل الله .

الصلة بين خاتمتي الآيتين

وفيها مسائل :

الأولى : أختتمت آية السياق بقوله ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١) وقد تقدم
تقدم في الجزء التاسع والثمانين بعد المائة من هذا السفر المبارك أن خاتمة
الآية جاءت بقانون قرآني عام^(٢).

وأن أول الآية يتعلق بالذين ييخلون بالحقوق وأختتمت بخطاب عام
وإرادة الناس جميعاً .

ومن مصاديق العموم ودلالاته في خاتمة آية السياق أنها وردت بصيغة
الخطاب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٣) ليكون تقدير الآية على وجهين :
الأول : والله بما يعمل الذين ييخلون خبير .

وهل المراد الحصر وخصوص بخلمهم وامتناعهم عن الإنفاق في سبيل
الله أم أن الآية تتضمن الإخبار عن كون الله عالماً بكل ما يفعل هؤلاء .
الجواب هو الثاني ، ومنه مقدمات هذا البخل ومناجاتهم فيه ،
وأضرار هذا الإمتناع عليهم .

(١) سورة آل عمران ١٨٠ .

(٢) أنظر الجزء التاسع والثمانين بعد المائة من هذا السفر والذي أختص بتفسير
الآية أعلاه .

(٣) سورة آل عمران ١٨١ .

الثاني : هل يمكن تقدير الآية : والله بما يكسب الذين كفروا خبير) أم أن القدر المتيقن من الآية هو عالم الأعمال وما يقوم به الناس ، وإن كان الله عز وجل ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١).

المختار هو الثاني فلأن الخطاب في خاتمة الآية جمع بين المسلمين وعموم الناس فقد أكرم الله عز وجل جمع بين المسلمين وعموم الناس فقد أكرم الله عز وجل المسلمين البيان أنه سبحانه لا يؤاخذهم على النوايا والعزم على فعل السيئة وخلجات الصدور .

وهل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهْ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهْ﴾^(٢) يوسف عليه السلام هم بفعل الفاحشة مع امرأة العزيز ، الجواب لا والهم من الكلبي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة وهو على جهتين :
الأولى : العزم على الفعل .

الثانية : بداية الشروع فيه ، وفي الآية أعلاه تقديم وتأخير ومعناها : ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها .

كما ورد تقييد الإنفاق في آيات عديدة منها ، قال تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(٣) للنهي عن البخل والشح ، وعن الإعطاء في غير محله وعن الإسراف وفيه دعوة للوسط والاعتدال بالإنفاق على الذات والغير .

وهناك فرق ونوع تضاد بين البخل والكرم ، وبين الإسراف والإقتصاد ، وبين الجود والتبذير .

(١) سورة غافر ١٩.

(٢) سورة يوسف ٢٤.

(٣) سورة الإسراء ٢٩.

وذكر في أسباب نزول الآية أعلاه عن ابن مسعود قال (جاء غلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن أُمِّي تسألك كذا وكذا؟ فقال : ما عندنا اليوم شيء .

قال : فتقول لك اكسني قميصك ، فخلع قميصه فدفَعَ إليه ، فجلس في البيت حاسراً ، فأنزل الله { ولا تجعل يدك مغلولة } (١) الآية (٢).

الثانية : اختتمت آية السياق بقانون وهو ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣) وفيه شاهد بأن الله عز وجل أحاط بكل شيء علماً وأنه سبحانه يعلم دقائق الأمور ، وما كان وما يكون من أمور الخلائق كلها ، والعوالم الطولية من الدنيا والبرزخ ويوم القيامة ، واللبث الدائم للمؤمنين الذين عملوا الصالحات في الجنة ، وإقامة الذين كفروا في النار .

الثالثة : مجئ لفظ الجلالة في خاتمة كل من آية السياق والبحث وتؤكد آية السياق إحاطة الله عز وجل علماً بكل ما فعله ويفعله الناس ، وهل منه قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤) ، في رد الله عز وجل على الملائكة الذين احتجوا على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٥) ، لأنه يفسد فيها ويسفك الدماء الجواب نعم ، لبيان أن الله عز وجل منح الإنسان هذه المنزلة وهو يعلم ما يفعله الناس في الأرض لذا قال سبحانه ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٦).

(١) سورة الإسراء ٢٩.

(٢) الدر المنثور ٦/٢٦٤.

(٣) سورة البقرة ٢٧١.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

(٥) سورة البقرة ٣٠.

(٦) سورة الحجرات ١٣.

وورد لفظ الجلالة في آية البحث لنفي الظلم عن الله عز وجل ، وهذا النفي تأكيد لرحمة الله عز وجل بالناس ، وأنه سبحانه لا يؤاخذهم بعدله ، إنما يمهلهم ويرحمهم ويعفو عنهم .

ووردت خاتمة آية السياق بصيغة الخطاب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١).

آيات الخبير

ورد اسم الخبير في القرآن صفة لله عز وجل وبصيغة الرفع والجر في ثلاث وثلاثين آية .

كما ورد بصيغة النصب إحدى عشرة مرة كما ورد مرة واحدة في قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا﴾^(٢) ومعنى الآية على وجهين :

الأول : إسأل الله عز وجل فهو الخبير بحالكم وما تحتاجون في الدنيا والآخرة .

الثاني : إسأل به عارفاً وهو جبرئيل .

ومن الآيات التي ورد اسم (الخبير) لله عز وجل فيها :
الأولى : فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^(٣).

الثانية : فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^(٤).

(١) سورة البقرة ٢٧١.

(٢) سورة الفرقان ٥٩.

(٣) سورة البقرة ٢٣٤.

(٤) سورة البقرة ٢٧١.

الثالثة : لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى

مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ^(١)

الرابعة : وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^(٢)

الخامسة: اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ^(٣).

السادسة : الرِّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ^(٤)

السابعة : وَإِنْ كُنَّا لَيُوفِينَهِمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^(٥)

الثامنة: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ^(٦).

التاسعة : ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ^(٧).

العاشرية : قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ^(٨)

الحادية عشرة : صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ^(٩)

الثانية عشرة: فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا

اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ^(١٠).

(١) سورة البقرة ١٥٣.

(٢) سورة آل عمران ١٨٠.

(٣) سورة المائدة ٨.

(٤) سورة هود ١.

(٥) سورة هود ١١١.

(٦) سورة الحج ٦٣.

(٧) سورة النور ٣٠.

(٨) سورة النور ٥٣.

(٩) سورة النمل ٨٨.

(١٠) سورة لقمان ١٦.

الثالثة عشرة : وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^(١) .

الرابعة عشرة : وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(٢)

الخامسة عشرة : وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يَنْبِتُكُمْ مِثْلَ خَبِيرٍ^(٣)

السادسة عشرة : وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ^(٤) .

السابعة عشرة : إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(٥)

الثامنة عشرة : وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^(٦) .

التاسعة عشرة : ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^(٧) .

العشرون : الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرٌ^(٨)

الحادية والعشرون : وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ^(٩) .

الثانية والعشرون : وَلَنَنْظُرَنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ^(١٠)

(١) سورة لقمان ٢٩ .

(٢) سورة لقمان ٣٤ .

(٣) سورة فاطر ١٤ .

(٤) سورة الشورى ٢٧ .

(٥) سورة الحجرات ١٣ .

(٦) سورة الحديد ١٠ .

(٧) سورة المجادلة ٣ .

(٨) سورة المجادلة ١١ .

(٩) سورة المجادلة ١٣ .

(١٠) سورة الحشر ١٨ .

الثالثة والعشرون : وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ^(١)

الرابعة والعشرون : فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرٌ ^(٢).

الخامسة والعشرون :

إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ^(٣).

السادسة والعشرون : فَتَيِّبُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ^(٤).

السابعة والعشرون : وَإِنْ تَحْسِنُوا وَيَتُوبَ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرًا ^(٥).

الثامنة والعشرون : وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرًا ^(٦).

التاسعة والعشرون : وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ^(٧).

الثلاثون : عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ^(٨)

الحادية والثلاثون : لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ^(٩).

(١) سورة المنافقون ١١.

(٢) سورة التغابن ٨.

(٣) سورة النساء ٣٥.

(٤) سورة النساء ٩٤.

(٥) سورة النساء ١٢٨.

(٦) سورة النساء ١٣٥.

(٧) سورة الأنعام ١٨.

(٨) سورة الأنعام ٧٣.

(٩) سورة الأنعام ١٠٣.

الثانية والثلاثون : وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ
وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ^(١).

الثالثة والثلاثون : قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لِيْ نُفُوسٍ لَّكُمْ قَدْ تَبَيَّنَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ^(٢).

الرابعة والثلاثون : وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ^(٣).

الخامسة والثلاثون : إِنْ رَبُّكَ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ
خَبِيرًا بَصِيرًا ^(٤).

السادسة والثلاثون : قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ
خَبِيرًا بَصِيرًا ^(٥).

السابعة والثلاثون : وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ^(٦).

الثامنة والثلاثون : كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ^(٧).

التاسعة والثلاثون : وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ ذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ^(٨).

الأربعون : ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ^(٩).

(١) سورة التوبة ١٦.

(٢) سورة التوبة ٩٤.

(٣) سورة الإسراء ١٧.

(٤) سورة الإسراء ٣٠.

(٥) سورة الإسراء ٩٦.

(٦) سورة الكهف ٦٨.

(٧) سورة الكهف ٩١.

(٨) سورة الفرقان ٥٨.

(٩) سورة الفرقان ٥٩.

الحادية والأربعون : إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ^(١).

بَخْبَرٍ^(١).

الثانية والأربعون : قَالَ لَأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ^(٢).

الثالثة والأربعون : وَاتَّبَعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرًا^(٣).

الرابعة والأربعون : وَادْكُرْ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا^(٤).

الخامسة والأربعون : وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ^(٥).

السادسة والأربعون : إِنَّ اللَّهَ بَعَادَهُ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ^(٦).

السابعة والأربعون : وَلَتَبْلُوكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ

وَيَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ^(٧).

الثامنة والأربعون : بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا^(٨).

التاسعة والأربعون : قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمِ الْخَبِيرُ^(٩)

(١) سورة النمل ٧.

(٢) سورة القصص ٢٩.

(٣) سورة الأحزاب ٢.

(٤) سورة الأحزاب ٣٤.

(٥) سورة سبأ ١.

(٦) سورة فاطر ٣١.

(٧) سورة محمد ٣١.

(٨) سورة الفتح ١١.

الخمسون : أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ^(١) .

الحادية والخمسون : يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا^(٢) .

الثانية والخمسون : إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ^(٣) .

بحث إجتماعي في البخل

البخل هو الإمساك عن الإنفاق في موارد الصرف مع الإمكان والقدرة عليه في الأمور التي يكره الإمتناع عن الصرف فيها ، سواء على الذات أو الغير .

ليأتي القرآن فيضيف للبخل معنى آخرًا مذمومًا ، وهو حبس الحقوق الشرعية مع وجوبها فإذا كان المعنى العام للبخل هو الإمتناع عن البذل والإنفاق في المستحب ، ويكون سببًا لذم ونفرة الناس من البخل ، فإن الإمتناع عن دفع الزكاة والحقوق الشرعية محرم .

ويؤدي بصاحبه إلى النار ، وجاءت آية السياق والبحث لبعث النفرة من البخل في الزكاة والحقوق الشرعية ، وهي في مفهومها دعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وعرف الجرجاني البخل بأنه (المنع من مال نفسه ، والشح ، هو بخل الرجل من مال غيره ، قال عليه الصلاة والسلام : اتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم .

وقيل: البخل: ترك الإيثار عند الحاجة ، قال حكيم: البخل: محو صفات الإنسانية ، وإثبات عادات الحيوانية^(٤) .

(١) سورة التحريم ٣ .

(٢) سورة الملك ١٤ .

(٣) سورة الزلزلة ٤ .

(٤) سورة العاديات ١١ .

(٥) سورة الحديد ٢٤ .

ولكن البخل أعم ، ولا يختص ببخل الإنسان على نفسه .
وعُرف البخل بأنه منع الواجب .

ولكن البخل منع المستحب والمباح والواجب ، ومن أسماء الله الحسنی (الكریم) ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(١) أن قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢) يدل على إرادة المعنى الأعم فيشمل :

الأول : المباح .

الثاني : المستحب ، الصدقة المندوبة .

الثالث : الواجب ، ومنه الزكاة .

وأيهما أشد ظلماً بالبخل بالحقوق الشرعية أم انفاق المال في محاربة الرسل والتنزيل .

الجواب هو الثاني ، وقد يكون الأول طريقاً للثاني وكذا العكس من غير أن يلزم الدور بينهما ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾^(٣).

ولم يرد لفظ (ليصدوا) في القرآن إلا في الآية أعلاه بينما تكررت مادة البخل في مواطن عديدة من القرآن ووردت ثلاث مرات ، قال تعالى ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يُبْخَلُ وَمَنْ يُبْخَلُ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾^(٤).

(١) سورة الإنفطار ٦.

(٢) سورة آل عمران ١٨٠.

(٣) سورة الأنفال ٣٦.

(٤) سورة محمد ٣٨.

لقد جعل الله عز وجل المال نعمة بيد الناس ، وسيلاً للصالح ودرء الفتن ، وتفضل الله وأوجب الزكاة لنشر الألفة بين الناس ، وإزاحة الكدورة بين الأغنياء والفقراء وطرد الحسد ، ومحاربة للفقر .

والزكاة سبيل لأداء الفرائض العبادية الأخرى ، قال تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾^(١) ، ولم يرد لفظ (تطهرهم) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، وكذا لفظ (تزكيهم) .

وليس في القرآن لفظ (تطهر) أو لفظ (تزكي) وهل يختص التطهير والتزكية في الآية أعلاه بخصوص الأغنياء الذين يدفعون الزكاة ، الجواب لا ، لأصالة الإطلاق والعموم ، ويشمل التطهير وجهين :

الأول : الأفراد والجماعات من جهات :

الأولى : الذين يدفعون الزكاة.

الثانية : أهل وعوائل الذين يدفعون الزكاة ، فدفعها تطهير لزوج وأبناء الدافع ، وكذا فهي تطهير لزوج وأبناء التي تدفع الزكاة وهل كان مال خديجة الذي أنفقت في سبيل الله في بداية الإسلام من الزكاة ، الجواب إنه أعم وأكبر لأنها أنفقت كل أموالها في سبيل الله وليس مقداراً مخصوصاً منه ، ولم تنزل فريضة الزكاة إلا في المدينة و(توفيت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين)^(٢).

الثالثة : التطهير للأغنياء الذين يسعون لمحاكاة الذي يدفع الزكاة.

الرابعة : التطهير للسعاة في الزكاة والأمين بدفع الزكاة والساعين في دفعها ، وايصالها للفقراء ، والناهين عن حبس الزكاة والتسويق .

(١) سورة التوبة ١٠٣.

(٢) عيون الأثر ١/١٧١.

ومن الفقراء من يتعفف عن المسألة ، لتصله الزكاة هبة من عند الله ، قال تعالى ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أُغْنِيَاءَ مِنْهُنَّ تَعَفَّفُوا عَنْهُنَّ سَيَأْخُذُهُنَّ النَّاسُ إِحْافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(١).

وإذا كان السعاة والعاملون على الزكاة ممن يتقاضى عوضاً من المرجع أو من الدولة لقاء عمله فهل ينال الثواب ويشمله التطهير الجواب نعم ، لعمومات اللفظ ، وعدم إعطائهم من الزكاة لتكفل حاجاتهم لا يعني حرمانهم من الثواب.

الخامسة : الزكاة تطهير للفقراء والمساكين وذوي الحاجة.

السادسة : عامة المسلمين الذين يرغبون أن تكون عندهم أموال يتصدقون بها .

السابعة : الفقراء والمحتاجون ، فقد يظن أن المتبادر من قوله تعالى ﴿خُذْ

مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾^(٢) ، أن التطهير خاص بالأغنياء وأرباب الأموال التي يدفعون الزكاة ، ولكن الآية أعم ، وتقديرها خذ من أموال الأغنياء صدقة تطهرهم وتطهر المسلمين والمسلمات بها ، فيدفع الغني زكاته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام فيعيدها إلى الفقراء .

وتكون مباركة ، وهي دعوة لهم لتعاهد الفرائض والعبادات فإذا كان الأغنياء يؤدون الصلاة ويصومون شهر رمضان ويقومون بدفع الزكاة ، فهو حجة على الفقراء بأن يؤدوا الصلاة ويصوموا رمضان ، وينقوا الله سبحانه .

و(جاء فقراء المهاجرين فقالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالدرجات العلىٰ والنعيم المقيم.

(١) سورة البقرة ٢٧٣.

(٢) سورة التوبة ١٠٣.

فقال: "وما ذاك؟" قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق! قال: "أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتهم من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين". فقالوا: يا رسول الله، سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله. قال: "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"^(١).

وكان الآية تقول: خذ من أموال المسلمين صدقة تطهرهم بها، مع التسليم بالملكية الخاصة، والتي تؤكدتها الآية، وفريضة الزكاة شاهد على احترام الإسلام للملكية الخاصة ومجئ الآيات لحفظها وتعاهدها، إنما في الأموال حق لله عز وجل والفقراء.

ونزلت الآية بدم الذي يحبس لتدل في مفهومها على الثناء على الذي يدفع الزكاة من ماله ثم جاءت آية البحث لتدم الذين يصرون على حبس الحقوق الشرعية رغم دعوة التنزيل والسنة لهم، وتجراهم بالقول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَحَنُ الْأَغْنِيَاءُ﴾^(٢).

ومن اللطف الإلهي بالناس في آية البحث ذكر تعدي طائفة من البخلاء بالحق الشرعي في القول وإظهارهم الجحود والكفر.

الثاني: ماهية التطهير في الزكاة من جهات:

الأولى: تنقية القلوب، وإزالة الضغائن، والمنع من ظهورها على الجوارح ومنها اللسان، فالزكاة حرب على الغيبة والنميمة والإفتراء.

الثانية: تجلي الموعظة العملية بين الناس لأن دافع الزكاة أسوة حسنة لغيره.

(١) تفسير ابن كثير ٤١٠/٧.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

الثالثة : يدل دفع الزكاة على التدبر في سنخية الحياة الدنيا ، وإنها دار إمتحان ، ومناسبة لفعل الصالحات ، وعن عبد الله بن الشخير قال : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ {ألهاكم التكاثر} ^(١) وفي لفظ وقد أنزلت عليه {ألهاكم التكاثر} وهو يقول : يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت.

وأخرج الطبراني عن مطرف عن أبيه قال : لما أنزلت {ألهاكم التكاثر} قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت ، أو أعطيت فأمضيت ^(٢).

الرابعة : في الزكاة تدوير للمال ، وتنشيط للأسواق.

الخامسة : لقد وعد الله عز وجل البركة على دفع الزكاة ، ولا تختص هذه البركة بالذين يدفعون الزكاة إنما تعم المجتمع كله. لقد فرض الله عز وجل الزكاة لتكون عوناً على استئصال البخل، وبرزخاً دون الأخلاق والعادات المذمومة التي تكون سبباً له والتي تترشح عنه .

والكرم والتزهد عن البخل من مصاديق الإيمان واليقين ، وفي التنزيل ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٣). وكل من آية السياق والبحث دعوة للإيمان ، ومنع من محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) سورة التكاثر ١.

(٢) الدر المنثور ١٠/٣٣٦ .

(٣) سورة سبأ ٣٦.

لقد كان المسلمون في بدايات الإسلام قليلي العدد ، وهم في حال ضعف ونقص من الأموال ، وهو الذي تجلّى في قوله تعالى ﴿وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرٍّ وَآتَمُّ أَذِلَّةٍ فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

لتذكّر كل من آية البحث والسياق المسلمين بفضل الله ، وتبين قانوناً ، وهو أن المال لا ينفع الكفار سواء في الدنيا أو في الآخرة ، وفي التنزيل ﴿لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئاً﴾^(٢) ، وأن النجاح والفلاح مع الإيمان.

إعجاز الآية الذاتية

يستلزم ابتداء آية البحث باسم الإشارة للبعد (ذلك) الرجوع إلى مضامين الآية والآيات السابقة .

ومن معاني (ذلك) في المقام التعدد في خصوص المؤشر له . لقد أحب الله عز وجل الناس ، وأكرمهم بين خلقه بأن نفخ في آدم من روحه ، وقال تعالى ﴿وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٣) ومن هذا التكريم الإنذارات في الكتب السماوية بخصوص العذاب الأخروي للذين كفروا وظلموا وفسقوا .

لقد أخبرت الآية قبل السابقة عن ظن الذين كفروا بأن البخل بالزكاة والحق الشرعي هو خير لهم ، فجاءت آية البحث لتطرد هذا الظن بأن تجعل العذاب الأخروي على هذا البخل حاضراً في الوجود الذهني ، ويتلو المسلمون آية البحث كل يوم ، وهو من أسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن في الصلاة اليومية على نحو الوجوب العيني ليتعظوا

(١) سورة آل عمران ١٢٣.

(٢) سورة آل عمران ١٧٦.

(٣) سورة الاسراء ٧٠.

وغيرهم منها ، وأقرب الكلمات السابقة لإسم الإشارة هي خاتمة الآية السابقة ﴿وَقُولُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١) ليكون معنى ذلك على وجوه :

الأول : توبيخ وتبكيت الله عز وجل للذين كفروا لمخاطبته لهم يوم القيامة ﴿وَقُولُوا﴾.

الثاني : إخبار الملائكة لأهل النار بأن العذاب الذين هم فيه ليس ظلماً ، إنما بما ظلموا أنفسهم في الدنيا .

الثالث : رد الله عز وجل على سؤال أهل النار الخروج منها ، والوعد بالعمل الصالح ، وفي التنزيل ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ * قال أحسبوا فيها ولا تكلمون^(٢).

الرابع : عذاب البرزخ للذين كفروا وهو من أسرار ورود اسم الإشارة (ذلك) للبعد .

ويجري حوار واحتجاج بين أهل الجنة والنار ، كما ورد في التنزيل ﴿وَأَدْنَىٰ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

فهل هذا الحوار والاحتجاج وما فيه من التبكيت من مصاديق ﴿وَقُولُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٤) الجواب لا .

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) سورة المؤمنون ١٠٦-١٠٨.

(٣) سورة الأعراف ٤٤.

(٤) سورة آل عمران ١٨١.

وهل يدخل في مصاديق اسم الإشارة (ذلك) المختار لا وكذا بالنسبة للخصومة المستمرة بين أهل النار ، قال تعالى ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾^(١) .

إن طول مدة عذاب أهل النار ومكوثهم فيها يبعثهم ويحملهم على التوسل والأمني ، فيأتيهم الجواب من عند الله ومن الملائكة بالحجة عليهم .

ويناطب أهل النار الملك (مالك) وهو خازن النار ان يميتهم الله ، ويتخلصوا من شدة عذاب النار ، ولكنه يرد عليهم بلزوم مكثهم في العذاب ، وفي التنزيل ﴿وَأَدَّوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنتُمْ﴾^(٢) .

وتقدير آية البحث : ذلك بما قدمت أيديكم ، وقد أخبركم الله عنه وعن سوء عاقبة السيئات أي بما قدمت أيديكم مع سبق الإصرار والعمد . وأختتمت آية البحث بقانون وهو أن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد ، ومن وجوه تقدير الآية :

الأول : وأن الله ليس بظلام للعبيد في الدنيا .

الثاني : وأن الله ليس بظلام للعبيد في الآخرة .

الثالث : وأن الله ليس بظلام لأهل النار من حرمانهم من النعيم الدائم .

الخامس : وأن الله ليس بظلام لأهل النار من إقامة المؤمنين في الجنان .

وفي قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣) .

(١) سورة ص ٦٤ .

(٢) سورة الزخرف ٧٧ .

(٣) سورة الأعراف ٥٠ .

عن ابن عباس . أنه سئل أي الصدقة أفضل؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل الصدقة سقي الماء ، ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله . وأخرج أحمد عن سعد بن عباد : أن أمة ماتت فقال : يا رسول الله أتصدق عليها؟ قال نعم .

قال : فأى الصدقة أفضل؟ قال : سقي الماء .

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله { ونادى أصحاب الجنة . . . }^(١) الآية .

قال : ينادي الرجل أخاه فيقول : يا أخي أغثني فإنني قد احترقت فأفرض عليّ من الماء . فيقال : أجبه . فيقول { إن الله حرّمهما على الكافرين }^(٢) .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في قوله { أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله } قال : من الطعام^(٣) . ويمكن تسمية آية البحث آية ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٤) .

إعجاز الآية الغيري

هل آية البحث من مصاديق عصمة النبي من أذى الكفار أم أنها تؤدي إلى تأليب الذين كفروا على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحريضهم عليه ، وتبعثهم على الإنتقام منه ، الجواب هو الأول ،

(١) سورة الأعراف ٤٤ .

(٢) سورة الأعراف ٥٠ .

(٣) الدر المنثور ٤/٢٤٣ .

(٤) سورة الأنفال ٥١ .

بالإضافة إلى أن آية ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) برزخ دون إرادة الكفار والمنافقين البطش بالنبي والسعي لقتله ، وإن سعوا في هذا الباب فإن الله عز وجل يصرف شرورهم ويرد كيدهم .

وتحذير آية البحث على وجوه :

الأول : قل ذلك بما قدمت أيديكم والله يعصمك من الناس .

الثاني : قل إن الله ليس بظلام للعبيد والله يعصمك من الناس .

الثالث : قل للذين كفروا ذلك بما قدمت أيديكم والله يعصمك من

القتل .

ومن تجليات ومصاديق عصمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل لقد أراد الذين كفروا قتله من وجوه :

الأول : إرادة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه ليلة

الهجرة .

لقد اتفق رؤساء قريش على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة في السنة الرابعة عشرة من النبوة في أواخر شهر صفر الموافق وذكر أنها في ليلة الحادي من شهر ربيع الأول الموافق شهر أيلول من سنة (٦٢٢) ميلادية ، وبيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث ليال في غار ثور حتى انقطع الطلب ليصل إلى المدينة في اليوم الرابع من الشهر العاشر من ذات السنة أي أن أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طريق الهجرة خمسة وعشرين يوماً .

لقد نزل جبرئيل عليه السلام ليخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن المشركين أجمعوا على قتله في فراشه تلك الليلة وأمره ألا يبيت فيه كما أمره بالهجرة إلى المدينة حيث وجود الناصر والأمن ثم أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم برده الأخضر إلى الإمام علي عليه السلام ، وأمره أن

ينام في فراشه وأن يتسجى ببرده ليوهم المشركين الذين سيأتون في الليل لقتله ، فيظنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم النائم في فراشه .

(قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام .

فقال وهم على بابه : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأزدن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها .

وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال " أنا أقول ذلك أنت أحدهم " ، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس : { يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم }^(١) إلى قوله { فأغشيناهم فهم لا يبصرون }^(٢) حتى فرغ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من هؤلاء هؤلاء الآيات .

ولم يبق منهم رجل إلّا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فاتاهم آت ممن لم محمدا ، قال خيكم الله قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلّا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم ؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب^(٣) .

(١) سورة يس ١

(٢) سورة يس ٩

(٣) الروض الأنف ٢/٣٠٨ .

(وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال : شرى علي عليه السلام نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم نام مكانه ، وكان المشركون يحسبون أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانت من قریش تريد أن تقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فجعلوا يرمقون علياً ويرونه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وجعل علي عليه السلام يتضور فإذا هو علي عليه السلام ، فقالوا : إنك للثيم ، إنك لتتضور وكان صاحبك لا يتضور ولقد استنكرناه منك .

وأخرج الحاكم وصححه عن علي بن الحسين عليهما السلام وقال في ذلك :

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصى ... ومن طاف بالبيت العتيق
والحجر

رسول الإله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً ... وفي حفظ من الله وفي ستر
وبت اراعيه وما يتهمونني ... وقد وطنت نفسي على القتل والاسر)
(١).

الثاني : السعي لقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في طريق الهجرة إلى المدينة .

الثالث : تجهيز قریش الجيوش لمعركة بدر ، ومعركة أحد والخندق ، مع أن آية البحث زاجر يومي متجدد لهم .

ومن مصاديق ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٢) استحقاق الذين كفروا نزول العذاب بهم ، إن عدد أفراد جيشهم كان يتضاعف في كل مرة كالاتي :

(١) الدر المنثور ٤/٤٤٣.

(٢) سورة الأنعام ١٤٩.

الأولى : معركة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة كان عدد أفراد جيش المشركين نحو ألف .

الثانية : في معركة أحد كان عدد جيش المشركين ثلاثة آلاف ، ووقعت المعركة في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة .

الثالثة : كان عدد جيش المشركين في معركة الخندق خمسة آلاف ، ووقعت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة .

ولم يقع فيها قتال إلا على نحو القضية الشخصية مع تبادل رمي النبال والسهام مع شدة الأذى الذي لاقاه المسلمون وأهل المدينة من حصار المشركين لها والذي استمر لأكثر من عشرين ليلة .

وقد تحدى عمرو بن ود العامري المسلمين إذ عبر الخندق ، وسأل المبارزة فلم يقم له أحد ، وألح بالتحدي فبرز له الإمام علي عليه السلام وقتله في آية ورحمة من عند الله ونزل قوله تعالى ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(١).

وهل جيوش المشركين هذه مما قدمت أيديهم ، وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٢)، الجواب نعم .

وهناك مسائل :

الأولى : تشمل مصاديق الآية الذين أمدوا المشركين بالمال أو السلاح في هذه المعارك ، وإذا كانت هناك نسوة فهل تشملها الآية أم أنها خاصة بالرجال .

الثانية : لو اشترك رجل من المشركين في معركة ثم اعتزل القتال ، فهل يكون من أهل آية البحث ، كما لو خرج في معركة أحد ، ورآى المعجزات

(١) سورة الأحزاب ٢٥.

(٢) سورة آل عمران ١٨٢.

، وكيف انسحب المشركون مع كثرتهم ولم يحققوا أي غاية جاءوا من أجلها ، ومنها قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأسر المهاجرين وسبي نساء من المدينة .

ومن مصاديق فضح الله للمشركين أنهم كانوا يجاهرون بهذه الغايات ويخبرون عن ثقتهم بتحققها وعلى نحو المقارنة مثل :

الأولى : كثرة عدد جيش المشركين وقلة عدد المسلمين .

الثانية : الوفرة والكثرة في خيل المشركين وقتلتها عند المسلمين ، فقد كان عند المشركين مائتا فرس أحضرت للمعركة من غير أن تركب ظهورها في الطريق كي تنهك .

الثالثة : كثرة الأسلحة والدروع التي عند المشركين مع نقصها الظاهر عند المسلمين .

الرابعة : النفير العام عند المشركين لسنة كاملة من حين وقوع معركة بدر ، بينما يعلم الجميع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مشغولون بالنسك والعبادة ، وأداء الصلاة خمس مرات في اليوم في المسجد النبوي .

فحينما رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من معركة بدر توجه وأصحابه بالشكر إلى الله عز وجل واعتنى بالأسرى وتسهيل فكاكهم ، بينما في مكة وحينما رجع إليها الفارون من قريش خائبين وفي ذل وانكسار (نَذَرَ أَبُو سَفْيَانَ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءٌ حَتَّى يَغْزُو رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ فِي مَائَتِي رَاكِبٍ حَتَّى أَتَى الْعَرِيضَ فِي طَرَفِ الْمَدِينَةِ ، وَبَاتَ لَيْلَةً وَاحِدَةً عِنْدَ سَلَامِ بْنِ مِشْكَمٍ الْيَهُودِيِّ فَسَقَاهُ الْخَمْرَ وَبَطَّنَ لَهُ مِنْ خَبَرِ النَّاسِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ قَطَعَ أَصْوَارًا مِنَ النَّخْلِ الْأَنْصَارِ وَحَلِيفًا لَهُ ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا ، وَنَذَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ فَلَبَّغَ قَرْقَرَةَ الْكُذْرِ .

وَفَاتَهُ أَبُو سُقْيَانٍ وَطَرَحَ الْكُفَّارُ سَوِيقًا كَثِيرًا مِنْ أَزْوَادِهِمْ ، يَتَخَفَّقُونَ بِهِ فَآخَذَهَا الْمُسْلِمُونَ ، فَسُمِّيتْ غَزْوَةُ السَّوِيقِ ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ بَدْرٍ بِشَهْرَيْنِ (١).

وإذا خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دورية استطلاعية حول المدينة يخرج معه نحو مائتين من أصحابه ، ولم يقع قتال فيها ، فمثلاً بعد معركة بدر بنحو شهر خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ بلغه أن فيها جمعاً من بني سليم غطفان .

فبلغ ماء لهم يسمى الكدر^(٢) بناحية المعدن ، وبينها وبين المدينة ثمانية برد^(٣) ، والبريد وحدة قياس المسافات .

وكانت المسافة بين المدن والبلدات تجري بالتقسيم على أساس البريد بلحاظ أن الراكب يقطع البريد في مسيرة نصف يوم ، فعلى رأس كل بريد هناك رابية تتلقى المراسلات وتقوم بنقلها ، ويكون أفراد هذه الرابية من القبيلة التي تسكن تلك المنطقة كيلا تتعرض للغزو والهجوم .

فمثلاً بعد الفتح وفي أيام الدولة الأموية والعباسية انشأت البرد على الطريق بين دمشق والمدينة ، والمدينة ومكة ، والكوفة والمدينة ، وبغداد ودمشق ، وهكذا ، ويستعمل البريد لنقل الرسائل ، وأيضاً لنقل الأشخاص والمؤون .

وأختلف في مقدار مسافة البريد على قولين :

الأول : الفرسخ (٢٢٢٦٠) متراً وبه قال الحنفية والمالكية والإمامية .

الثاني : (٤٤٢٥٠) متراً وبه قال الشافعية .

(١) زاد العاد ١٦٩/٣ .

(٢) الكدر : طير في ألونها كدورة ، وسمي الموضع على اسمه .

(٣) البرد جمع بريد .

والمختار هو الأول ، وتدل عليه بعض الأخبار منها ورد بخصوص كتيبة الكدر هذه ، وتسمى ايضاً (قرقرة الكدر) إذ وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى ناحية من بني سليم ومقدار المسافة بينها . وبين المدينة ثمانية يرد ، وهي الآن تقاس بالكيلو متر وهي على بعد (١٧٠) كم ، وتعرف الكدر في هذا الزمان باسم مهد الذهب أو المهد . وعندما سار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكدر بناحية المعدن (وكان الذي حمل لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبي طالب .

واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم وكان بلغه ان بهذا الموضع جمعا من بنى سليم وغطفان فسار إليهم فلم يجد في المحل احدا وارسل نفرا من أصحابه .

في اعلى الوادي واستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بطن الوادي فوجد رعاء منهم غلام يقال له يسار فسأله عن الناس فقال لا علم لي بهم انما اورد لخمس ، وهذا يوم ربيعي والناس قد ارتفعوا في المياه ونحن عزاب في الغنم .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ظفر بالنعيم فأنحدر به إلى المدينة واقتسموا غنائمهم بصرار على ثلاثة اميال من المدينة وكانت النعم خمسمائة بعير .

فأخرج خمسه وقسم اربعة اخماسه على المسلمين فأصاب كل رجل منهم بعيرين وكانوا مائتي رجل وصار يسار في سهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعتقه وذلك انه رآه يصلى وغاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة ليلة^(١) .

وعاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ولم يلقوا كيداً ولم يقع قتال ، ومع هذا تسمى في كتب السيرة والتاريخ : غزوة قرقرة الكدر. وكذا يمكن احتساب مسافة البريد من أخبار السيرة النبوية وغيرها ، فمثلاً بالنسبة لكتيبة الفرع (قال ابن إسحاق : حتى بلغ بحران ، معدناً بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أتى بحران معدناً بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام به شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى . الفرع بضمّتين يقال هي أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة وهي من ناحية المدينة ، وفيها عينان يقال لهما : الربض والتجف يسقيان عشرين ألف نخلة كانت لحمزة بن عبد الله بن الزبير . وتفسير الربض منابت الأراك في الرمل والفرع بفتحّين موضع بين الكوفة والبصرة .

قال سويد بن أبي كاهل
حل . أهلي حيث لا أطلبها ... جانب الحضر وحلت بالفرع
ثم رجع إلى المدينة . وقول ابن إسحاق : أقام شهر ربيع وجمادى
(١)

والفرع قرية بينها وبين المدينة المنورة ثمانية برد على طريق مكة . نعم احتساب المسافة آنذاك على نحو التقدير والتقريب بلحاظ ما تقطعه الراحلة في اليوم ، ومع تسمية المؤرخين لكتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم غزوات فانهم يقرون ويكررون قول (ولم يلق كيداً) .
الرابع : إرسال قريش أفراداً لإغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لستحق هذه الأفعال الوعيد الوارد في آية البحث الذي هو زاجر للمشاركين .

الآية سلاح

من خصائص القرآن تضمنه لخطابات من الله عز وجل إلى الناس وهي على أقسام :

الأول : الخطاب إلى عامة الناس بأجيالهم المتعاقبة وقد ورد لفظ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) عشرين مرة في القرآن ، وهو مدرسة في النداء العام ، وما يتضمنه من البشارة والإنذار والوعد والوعيد منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (١).

ليبان إلتقاء عامة الناس على إختلاف مذاهبهم ومشاربهم باتحاد الأبوة والأمومة منه في الأصل إخوان وفيه دعوة لنبد الخصومة والقتال .

وتدل الآية أعلاه على أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يغز أحد فهو ينظر للناس بلحاظ واتحاد الأبوة من غير أن يتعارض هذا المعنى مع الدعوة إلى الإيمان ولزوم نبذ الكفر ومفاهيمه الشرك وعبادة الأوثان ، وفي آية أخرى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ (٢).

(وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الناس ولد آدم من تراب ») (٣).

الثاني : إكرام الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بنداء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) والذي ورد في القرآن تسعاً وثمانين مرة ، وفيه الأوامر والنواهي والثناء والوعد ، وبيان الحلال والحرام والأحكام والندب للإستعداد للأخرة بالعمل الصالح ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

(١) سورة النساء ١.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

(٣) تفسير البحر المحيط ٧٥/٥.

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١﴾.

الثالث : نداء يا أهل الكتاب منه قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يَتَّبِعُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ
اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾.

ومنها الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنداء والخطاب
إلى أهل الكتاب كما في قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِن آمَنَ
تُبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾.

الرابع : توجه خطابات القرآن إلى الذين كفروا والمنافقين وإنذارهم
وقد يرد هذا المعنى بالخطاب العام للناس وصيغة البر والتقسيم كما في قوله
تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِكَبِيلٍ ﴿٤﴾.

ويمكن تقسيم خطابات القرآن تقسيماً استقرائياً إلى وجوه :

الأول : الخطابات التي تتعلق بالحياة الدنيا منها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ
لَكُمْ أَن تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِيَنَّ

(١) سورة التحريم ٦.

(٢) سورة المائدة ١٥.

(٣) سورة آل عمران ٩٨-٩٩.

(٤) سورة يونس ١٠٨.

بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا^(١).

الثاني : خطابات البشارة والإنذار بخصوص الآخرة .

الثالث : الخطاب الجامع للحياة الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢)، قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)، فمضامين الآية أعلاه من جوامع الكلم ومن شدة وطأة الساعة يوم القيامة ما ورد في آية البحث بخصوص العذاب الذي يلقاه الذين كفروا .

ويمكن القول بقانون وهو كل خطاب في القرآن سلاح بيد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين وفيه غنى عن القتال والغزو وزجر للذين كفروا عن محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه . وهل آية البحث من خطابات القرآن ، الجواب نعم وإن لم يتضمن النداء ، في خطاب من جهات.

الأولى : بيان الآية لإحتجاج الله عز وجل على الذين كفروا .

الثانية : تبييت الله عز وجل لأهل النار لتسمع الملائكة هذا التبييت وتكرره ، ويكون حجة لهم في استدامة تعذيب الذين كفروا ومنعهم من الخروج من النار .

الثالثة : توجه الخطاب العام لأهل الدنيا بإخبارهم عن حال الذين كفروا في الآخرة وشدة عذابهم في النار ، وتقدير آية البحث على وجوه :

(١) سورة النساء ١٩.

(٢) سورة يونس ٢٣.

(٣) سورة الحج ١.

الأول : يا أيها الناس عذاب الحريق للذين قالوا إن الله عز وجل فقير ونحن أغنياء بما قدمت أيديهم .

الثاني : يا أيها الناس لا تميلوا وتنصروا أو تتنصروا للذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، قال تعالى ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَسْكُمُ النَّارُ﴾^(١).

الثالث : يا أيها الذين آمنوا اشكروا الله عز وجل على هدايتكم ونجاتكم من عذاب الحريق للذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء .

الرابع : يا أيها الناس بادروا إلى الإنفاق في سبيل الله عز وجل ولا تلتفتوا إلى إفتراء الذين كفروا .

وهل يختص النهي بخصوص قولهم (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) الجواب لا ، إنما جاء القرآن بالنهي عن محاكاة الذين كفروا والتشبه بهم .

وآية البحث حرز وسلاح للمسلمين والمسلمات في الدنيا من فعل السيئات ، وهي وسيلة نجاة ، وطريق عبور على الصراط يوم القيامة ،

وليكون من مصاديق قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) إجتنب التعدي في القول والفعل وظلم النفس والغير بالركون إلى الذين ظلموا ، إنما نزلت

آية البحث ليحترس المسلمون من ترديد أقوال الذين كفروا والمنافقين .

وهل هي سلاح للوقاية من الشح والبخل نعم ، فقد أراد الله عز وجل للمؤمنين البذل والإنفاق في سبيل الله ، وضمن لهم الأجر والثواب عليه .

(١) سورة هود ١١٣.

(٢) سورة الفاتحة ٦.

مفهوم الآية

الحمد لله الذي جعل القرآن فرقاناً يميز ويفصل بين الناس في الآخرة بلحاظ أعمالهم في الدنيا ، فتأتي آية تدعو إلى العمل الصالح وأخرى تتضمن الإنذار والوعيد على فعل السيئات .

وقد تأتي آيات متعاقبات في ذات الموضوع ، ومنها آية البحث والآية السابقة لها .

إذ تبين الآية السابقة سوء قول الذين كفروا وعدم إكتفائهم بالإمتناع عن دفع الزكاة والحقوق الشرعية ، إنما يلجأون إلى الكذب والإفتراء على مقام الربوبية فلأن الله عز وجل أمرهم بالإتفاق قرضاً له سبحانه .

فقد تفضل وجعل نفسه مفترضاً من الناس الإتفاق في سبيله ، ومعنى الإقتراض هذا لم يؤسس في القرآن ، إنما ورد في الكتب السماوية السابقة ، وجاء به الأنبياء ، وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْ أَوْقَرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١).

إذ تضمنت الآية أعلاه شروطاً في ميثاق بني اسرائيل مع الله عز وجل ، وكيف أن الله عز وجل اشترط عليهم أموراً وبلغه النص والظاهر الذي لا يحتمل التأويل الآخر وهي :

الأول : إقامة الصلاة ، ومن الإعجاز أن الأمر بإقامة الصلاة إذا جاء مع غيره يتقدم عليه سواء ، كان هذا الغير متحداً أو متعدداً .
وهل تجزي صلاة بعض بني اسرائيل أو أئمتهم عن العامة منهم ، الجواب لا ، فالصلاة واجب عيني على كل مكلف .

إفادات الآية

تبعث آية البحث النفرة في النفوس من مفاهيم الكفر وأسباب الغرور والعتو والزهو .

لقد نزل القرآن بتأكيد عبودية الناس لله عز وجل وفرض سبحانه وتعالى الصلاة من أيام أبينا آدم لأنها مصداق الخضوع والخشوع لله عز وجل ، ومظهر العبودية العامة له سبحانه ، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾^(١).

كما تبعث إلى المسارعة في الخيرات والإنفاق في سبيل الله ، وبينهما عموم وخصوص مطلق .

فهذه المسارعة أعم ولا يختص موضوعها بالإنفاق والبذل إذ تشمل أداء الفرائض في أوقاتها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإصلاح ذات البين وغيرها ، وقال تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

ومن خصائص المؤمنين المبادرة إلى عمل الصالحات مع الخشية والخوف من الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾^(٣).

(عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله . قول الله { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة } أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو مع ذلك

(١) سورة الذاريات ٥٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٤ .

(٣) سورة المؤمنون ٦٠ .

يخاف الله؟ قال : لا ولكن الرجل يصوم ، ويتصدق ، ويصلي ، وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه ^(١).

وتبحث خاتمة آية البحث السكينة في النفوس لما فيها من قانون عام وهو تنزه الله عز وجل عن الظلم ويشمل هذا القانون وجوهاً :

الأول : الحياة الدنيا .

الثاني : الناس جميعاً .

الثالث : الإحياء والأموات .

الرابع : أفراد الزمان الطولية .

الأولى : الحياة الدنيا .

الثانية : عالم البرزخ .

الثالثة : يوم الحشر ومواطن الحساب بالآخرة .

الرابعة : الجزاء في الآخرة .

وتبين الآية أن الحياة الأبدية في الآخرة والتي تتصف بأنها دار جزاء ليس فيها عمل ولا تدارك ، وفي التنزيل ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمُ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ^(٢).

ليكون من صفات ساعة الموت اليأس من الرجوع إلى الحياة الدنيا ، وهل هذا اليأس عام أم يختص بالذين كفروا ، الجواب هو الثاني ، وهو ظاهر الآية أعلاه إذ أن المؤمن تتلقاه الحور العين بالبشارة ولا يرغب بالعودة إلى الحياة الدنيا لأنه اتعظ من مضامين آية البحث ، فبادر إلى الإنفاق في سبيل الله .

(١) الدر المنثور ٢١٢/٧.

(٢) سورة المؤمنون ٩٩-١٠٠.

وهل في قول الجاحدين والمنافقين (إن الله فقير ونحن أغنياء) إيذاء للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين والمسلمات ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق ذم الذين المنافقين في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ يُبَايِعُوهُمْ فَهُمْ غَافُونَ﴾ (١).

ومن الإعجاز في نظم الآيات ذكر الآية أعلاه لعذاب الحريق ، وكذا ذكرته آية البحث .

وفي حديث الإسراء (وسار معه جبرئيل فأتى على قوم يزرعون ويحصدون في يوم واحد ، كلما حصدوا عاد كما كان ،

فقال النبي {صلى الله عليه وآله وسلم} من هؤلاء؟ فقال : هؤلاء المهاجرون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنة سبعمئة ضعف ،

وما انفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين . قال : ثم أتى على قوم يرضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفر عنهم من ذلك شيئاً . قال : ما هؤلاء يا جبرئيل؟ قال : هؤلاء الذين تشاغل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة . ثم أتى على قوم إقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع فيسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع ،

والزقوم قد صف جهنم وحجارتها فقال : ما هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (٢).

(١) سورة البروج ١٠.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٤٥٠/٧.

مما يدل على أن الذين يمتنعون عن دفع الزكاة والحقوق الشرعية يلقون الشدة والعذاب في عالم البرزخ وهو من الإعجاز في لفظ ونقول ذوقوا وشموله لعالم البرزخ والآخرة .

وفي آل فرعون ورد قوله تعالى ﴿النَّارُ يُرْضَوْنَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾^(١) .
فيقال لهم لأن فرعون مدة عالم البرزخ يا آل فرعون دار الإقامة التي تنتظركم .

ليبان أن عالم البرزخ دار التبكيت والتوبيخ للذين كفروا رؤساء الكفر والضلالة الذين حاربوا الأنبياء ، وأن هذا البلاء والتبكيت في عالم البرزخ لا يتعارض مع قانون (أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)

الآية لطف

من معاني اللطف لغة الرفق ، ومنه اللطف في العمل أي الرفق فيه ومنه اللين والظرافة والصغر والدقة ضد الضخامة .

يقال (لَطْفَ الشيء يَلْطِفُ لَطَافَةً، أي صَغُرَ، فهو لَطِيفٌ)^(٢) .
(وَاللَّطِيفُ: اسم من أسماء الله العظيم، ومعناه والله أعلم: الرفيق بعباده.

عمرو عن أبيه أنه قال: اللَّطِيفُ: الذي يوصل إليك أربك في رفق.

أبو العباس عن ابن الأعرابي يقال: لَطَفَ فلان لفلان يَلْطِفُ: إذا رَفَقَ لُطْفًا؛ ويقال: لَطَفَ الله لك. أي أوصل إليك ما تُحب برفق.

(١) سورة غافر ٤٦.

(٢) الصحاح في اللغة ١٤١/٢.

قال: ولطف الشيء يلطف: إذا صغُر. قال: وجارية لطيفة الخصر: إذا كانت ضامرة البطن.
وقال الليث: اللَّطْفُ: البرُّ والتَّكْرِمَةُ. وأمُّ لطيفة بولدها تلطف إطفافاً. واللَّطْفُ أيضاً: من طرف التُّحَفِ ما أَلْطَفْتَهُ أَخا ليعرف به بِرَّكَ. وفلان لطيف بهذا الأمر: أي رفيق. قال: واللطيف من الكلام: ما غَمَضَ معناه وخَفِيَ لِحْ (١).

وليس من حصر لمعاني اللطف الإلهي ، إذ يقرب الله عز وجل الناس إلى طاعته ، والعمل بأوامره من غير إلجاء ، ويبيدهم عن المعاصي والسيئات بفضلِهِ ليشيهم على ذات اللطف الذي تفضل به عليهم واستجابتهم له من مقامات التكليف في الحياة الدنيا . ومضامين آية البحث من لطف الله عز وجل بالناس لما فيها من الزجر عن التلبس بالكفر ومفاهيمه .
لقد أكرم الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بأن أنزل بواسطته آية البحث لإبعاد الناس عن عذاب النار في الآخرة وصرفهم عن الأسباب والمقدمات الدنيوية لهذا العذاب .
ومن لطف الله عز وجل بالناس تفضله بالنفخ من روحه في آدم ، قال تعالى ﴿وَفَخَّ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ (٢).

يتلقى عامة الناس إنذارات القرآن بالقبول ، والنفرة من فعل السيئات .

لقد ذكرت آية البحث ما قدمته أيدي الكافرين والمنافقين من فعل السيئات ، إذ بعثوا به أمامهم إلى عالم الآخرة ، لتتضمن الآية في مفهومها الدعوة إلى التوبة والإنابة .

(١) تهذيب اللغة ٤/٤٠٥.

(٢) سورة السجدة ٩.

وتبين آية البحث في ظاهرها أن الأفعال تتقدم إلى عالم الآخرة قبل أصحابها ، سواء من أيام الدنيا أو عالم البرزخ إذ يعجز الإنسان عن العمل عند الموت .

وتتقدم الصالحات من حين فعلها لتبقى وتزكو وتتضاعف وعلى فرض أن السيئات تنتقل إلى مواطن الآخرة حال القيام بها ، فهل تمحو التوبة السيئات وإن كانت قد كتبت ورحلت إلى عالم الآخرة . الجواب نعم ، فليس ثمة مسافة بين السموات والأرض ولا بين عالم الدنيا والآخرة لأن الأمر يتعلق بمشيئة الله عز وجل ، قال سبحانه ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(١)

الآية بشارية

لقد جعل الله عز وجل الأنبياء ينفردون بخصال حميدة تصاحبهم مدة حياتهم ، وبقيت بعد وفاة النبي أو الرسول من جهات :

الأولى : نصوص الوحي الذي نزل على النبي .

الثانية : الآيات التي قام النبي بتبليغها .

الثالثة : سيرة النبي القولية .

الرابعة : سيرة النبي الفعلية .

الخامسة : جهاد النبي في سبيل الله .

السادسة : اقتداء أصحاب وأنصار النبي به وبسيرته .

السابعة : قصة مجئ كل نبي بالبشارة بالجنة ثواباً على العمل الصالح ، والإنذار للذين كفروا على قبيح ما يفعلون ، قال تعالى ﴿ وَمَا نُرْسِلُ

الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَتَنْ أَمْنٌ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾.

(عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين) (٢).
لقد أقر الناس وهم في عالم الذر بالعبودية لله عز وجل ، وأخذوا على أنفسهم عهداً بالتقيد بعبقيدة التوحيد ، وعدم العدول عن الإسلام ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (٣).

ويصدق على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه مبشر ونذير من جهات :

الأولى : قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالبشارة والإنذار ، ويمكن انشاء قانون من وجوه :

الأول : قانون البشارة في القرآن .

الثاني : قانون ماهية البشارة في القرآن .

الثالث : قانون أفراد البشارة في القرآن .

الرابع : قانون آيات البشارة في القرآن .

الخامس : قانون البشارة الدنيوية العامة والخاصة ، قال تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا

لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

(١) سورة الأنعام ٤٨

(٢) الدر المنثور ٣/٣٠١ .

(٣) سورة البقرة ٢١٣ .

السادس : قانون البشارات الآخروية في القرآن ، قال تعالى ﴿إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَهْرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ^(٢) قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسِرَّنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنَذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ ^(٣).

السابعة : قانون جمع آية القرآنية للبشارة الدنيوية والآخروية ، قال

تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ^(٤).

الآية إنذار

لقد وثقت الآية السابقة قولاً وإفترأً للذين كفروا يتضمن التعدي على مقام الربوبية المطلقة لله ، ويدل على العناء والإستكبار وإظهار الكفر والجحود من أجل الإمتناع عن دفع الزكاة وعن الإنفاق في سبيل الله الذي دعاهم إليه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن وأختتمت بالوعيد لهم بالحريق بنار الآخرة التي تتصف بأنها لا تنطفئ أبداً .

وهل هي موجودة الآن أم أنها تستحدث يوم القيامة ، وفي التنزيل ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٥) المشهور والمختار أن الجنة والنار موجودتان الآن .

لقد تكررت مادة (قال) أربع مرات في الآية السابقة لبيان موضوعية اللسان في الحساب والجزاء ، وفيه دعوة للمؤمنين والناس جميعاً للتنزه عن

(١) سورة الفتح ١-٣ .

(٢) سورة القمر ٥٤-٥٥ .

(٣) سورة مريم ٩٧ .

(٤) سورة يونس ٦٣-٦٤ .

(٥) سورة يس ٨٢ .

قبيح القول وما فيه الضلالة ، قال تعالى ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(١) .

وتخص ثلاثة من مادة (قول) في الآية السابقة ما تفوه به الذين كفروا ، أما الأخير فيتعلق بخطاب الله عز وجل لهم بخصوص العقوبة الأليمة على قولهم بأن الله فقير ، وأخبرت عنه وعن كتابة الله عز وجل له ، لبيان قانون وهو : كتابة الله لأفعال العبد لن تمحى أو تترك إنما تكون مادة للحساب والجزاء إلا أن يشاء الله ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢) .

الآية رحمة

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار رحمة وتشهد الخلائق عظيم فضله على الناس ، وما احتجاج الملائكة حينما خلق الله عز وجل آدم وأخبرهم عن جعله خليفة في الأرض وقولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٣) إلا لبيان تسليمهم بعظيم رحمته للناس ، فمع وجود من يفسد فيها ، ومن يقتل ويسفك الدماء بغير حق فإن الله عز وجل يرحمهم ويديم عليهم رزقه ولو شاء لاستئصل وأهلك الذين يقومون بالفساد ويحول بينهم وبين سفكهم الدماء .

ليكون رد الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) وتفضله بتعليم آدم الأسماء كلها وعرضها على الملائكة وعجزهم عن معرفتها وعداً من الله عز وجل بأنه سيتغشى الناس برحمته .

(١) سورة الحج ٣٠.

(٢) سورة الرعد ٣٩.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

وإن قيام شطر منهم بالفساد لا يضر بأصل الخلافة وعمارة المؤمنين الأرض بالذكر ، وتفضل سبحانه وفتح باب التوبة للإنسان إلى آخر دقيقة يغادر بها الدنيا وهو سبحانه ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١) ، قال تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢).

لتصيب رحمة الله البر والفاجر ، ويتفضل الله عزوجل ، ويحجب عن الناس إستدامة التماذي في الشر والظلم والجور .
وقيل (لَمَّا نَزَلَتْ: " وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ " ، قَالَ إبليسُ: يَا رَبِّ ، وَأَنَا مِنَ الشَّيْءِ ؟ فَنَزَلَتْ: " فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ " فَتَزَعَهَا اللَّهُ مِنْ إِبْلِيسَ)^(٣).
وتتصف آية البحث بأمور :

الأول : إنها خطاب تبكيت للذين كفروا ، وهو رحمة بهم وبالناس لما فيه من الندب إلى الإصلاح .

الثاني : تذكير الذين كفروا يوم القيامة بالذنوب والسيئات التي ارتكبوها ، وهل يقترن هذا التذكير باقامة الحجة عليهم الجواب نعم ، فمن خصائص خلافة الإنسان في الأرض ملازمته لحجة الله عليه في الدنيا والآخرة ، قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران ٩٧.

(٢) سورة الأعراف ١٥٦.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٢١٢/١.

(٤) سورة الحديد ٢٥.

وقال (ابن عباس : نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من الحديد :
السندان،

والكلبتان،

والمنقعة،

والمطرقة،

والأبرة.)^(١)

الثالث : من رحمة الله بالناس في آية البحث إنذارهم وزجرهم عن فعل السيئات ، ودعوة كل إنسان ألا يحاكي الذي يرتكب المعاصي والذنوب ، فاذا لم يتبرأ ويتعد عنه في الحياة الدنيا ، فانه يضطر للتبرأ منه في الآخرة ﴿وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ﴾^(٢).

الصلة بين أول وآخر الآية

ابتدأت آية البحث باسم الإشارة (ذلك) ويحتمل وجوهاً :
الأول: إرادة البعد الزمني والمكاني ، إذ تتحدث الآية عن وقائع يوم القيامة مع بعد مكان أهل النار عن أهل الإيمان .

الثاني : في الآية لطف لإرادة إبعاد النار وحريقها عن أذهان المؤمنين خاصة وأنها وردت في ذم الذين قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٣).

الثالث : إتصاف تذوق حريق النار بالشدة والألم ، فيكون التذوق في الدنيا على أقسام كالحلاوة والمرارة والملوحة ونحوها ، ولا يتعدى اللسان وفضاء الحلق ، أما تذوق حريق النار ، فتلقاه بالألم والأذى كل الحواس.

(١) سورة الحديد ٢٥

(٢) سورة ص ٣.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ١٤٩/١٣.

ترى ماهي الصلة بين اسم الإشارة (ذلك) وبين أيديكم ،
الجواب إنها نسبة العموم والخصوص المطلق ، فما يعفو عنه الله أكبر ،
وللإشارة أطراف :

الأول : أداة الإشارة .

الثاني : المؤشر إليه .

الثالث : موضوع الإشارة .

أما ما قدمته الآية فهو علة موضوع اسم الإشارة ، أي أن علة
العذاب وموضوع اسم الإشارة ما فعله الذين كفروا ، ويحتمل الكلام
والتبكيك الصادر من الله عز وجل والموارد في خاتمة الآية السابقة
وآية البحث ، وهو (وَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ) وجوهاً
:

الأول : إنه كلام متصل لإتحاد الموضوع والبيان .

الثاني : كل واحد منها مستقل في أوانه .

الثالث : التعدد مرة يأتیان معاً ، وأخرى كل واحد منها منفصل
عن الآخر ، والمختار هو الأخير لتعدد ضروب الإحتجاج على الذين
كفروا وهم في النار ، وهذا الإحتجاج نوع توبيخ وذم لهم .
فجاءت آية البحث رحمة بهم وبالناس جميعاً في الدنيا لنجاتهم
في الآخرة .

وليكون عدم إصغائهم واستماعهم للإنذار الوارد في آية البحث ،
مما قدمت أيدي الذين كفروا والمنافقين .

ويكون تقدير الآية ذلك بما قدمت أيديكم بعدم الإنصات إلى
قول (إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ) ولإعراضكم عن الإنذار الوارد في آية البحث .

ثم جاءت آية البحث بقانون من الإرادة التكوينية وهو تنزه الله عز وجل عن ظلم العباد مجتمعين ومتفرقين لبيان قانون وهو : أن العذاب الذين يلقاه الذين كفروا والمنافقون إنما هو استحقاق .

لقد خلق الله عز وجل الناس ليرزقهم ويرحمهم ، ويجعل المؤمنين يقيمون في دار النعيم ، ولا يعلم عدد الذين انتفعوا وينتفعون من مضامين آية البحث إلا الله عز وجل من جهة كثرتهم .

وهل يطلع الناس على مثل هذه الإحصائيات يوم القيامة ، المختار نعم ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾^(١).

من غايات الآية

في الآية مسائل :

الأولى : بيان قانون وهو أن الله عز وجل لم يخلق الناس للحياة الدنيا فقط ، قال تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾^(٢).

الثانية : لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار عمل وكسب ، وفيها زرع وثمار وحصاد ، قال تعالى ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾^(٣).

(١) سورة ق ٢٢ .

(٢) سورة القيامة ٣٦ .

(٣) سورة الكهف ٤٥-٤٦ .

الثالثة : تأكيد عالم الحساب والجزاء ، فصحيح أن الآية تخبر عن جزاء الذين قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾^(١) ، وامتنعوا عن دفع الزكاة إلا أنها تدل على أمور :

الأول : إحصاء أعمال الناس في الحياة الدنيا .

الثاني : ترتب الثواب والأجر على الإيمان .

الرابعة : وجود أمة يستجيبون للأوامر الإلهية ويحسنون إلى الناس ، والأقربين وغيرهم .

و(عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو مَذْكُورٍ أَعْتَقَ غُلَامًا لَهُ عَنْ دَبْرٍ يُقَالُ لَهُ يَعْقُوبُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ غَيْرُهُ فَدَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ مَنْ يَشْتَرِيهِ . فَاشْتَرَاهُ نَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِثَمَانِمِائَةِ دِرْهَمٍ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ وَقَالَ إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فَقِيرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ فَإِنْ كَانَ فَضْلًا فَعَلَى عِيَالِهِ فَإِنْ كَانَ فَضْلًا فَعَلَى قَرَابَتِهِ أَوْ عَلَى ذِي رَحِمِهِ فَإِنْ كَانَ فَضْلًا فَهَذَا هُنَا وَهَذَا هُنَا)^(٢).

الخامسة : يمكن تسمية يوم القيامة ، يوم الحجة ، إذ يقيم الله عز وجل الحجة على الناس وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٣).

(عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يلقي العبد ربه فيقول الله : أي قل ألم أكرمك ، وأسودك ، وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والابل ، وأذرك ترأس وتربع ؟ .

فيقول : بلى أي رب فيقول : أفطنت أنك ملاقي؟ فيقول : لا . فيقول : فإني أنساك كما نسيتني . ثم يلقي الثاني ، فيقول : مثل ذلك . ثم يلقي الثالث فيقول له : مثل ذلك فيقول : آمنت بك ، وبكتابك ، وبرسولك ،

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) سنن النسائي ٣٤٥/١٤.

(٣) سورة الأنعام ١٤٩.

وصليت ، وصمت ، وتصدقت ، ويشني بخير ما استطاع ، فيقول : ألا نبعث شاهداً عليك ؟ .

فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليّ ، فيختم على فيه ، ويقال لفخذه : انطقي . فتنطق فخذه ، ولحمه ، وعظامه . بعمله ما كان ذلك يعذر من نفسه ، وذلك بسخط الله علي) ^(١) .

ومن الحجة يوم القيامة شهادة أعضاء الإنسان عليه فيما قاله وفعله في أيام حياته ، قال تعالى ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ^(٢) .

وسيأتي في قانون الشهداء يوم القيامة في الجزء التالي إن شاء الله .
إذ يشهد الله عز وجل على الناس وهو سبحانه خير الشاهدين كما تشهد على الإنسان الخلائق :

الأول : الملائكة الحافظون .

الثاني : الأنبياء والرسل .

الثالث : الكتب السماوية .

وهل تشهد آية البحث على الناس الجواب نعم .

إذ تشهد على ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ فَاقْبَرُؤُنَا﴾ ^(٣) .

الرابع : شهادة المؤمنين قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ^(٤) .

الخامس : شهادة الناس بعضهم على بعض .

(١) الدر المنثور ٣١٣/٨ .

(٢) سورة الاسراء ١٣١-١٤ .

(٣) سورة آل عمران ١٨١ .

(٤) سورة البقرة ١٤٣ .

السادس : شهادة الأرض .

السابع : شهادة أعضاء الإنسان عليه (عن عقبة بن عامر ؛ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه . فخذ من الرجل الشمال) ^(١).

السادسة : قانون تذكير الناس يوم القيامة بأعمالهم ، وهذا التذكير من ضروب الحساب ، وهو مقدمة للجزاء .

وهل يسبق هذا التذكير استلام الناس لصحائف أعمالهم أم أنه لاحق له ، الجواب إنه يبدأ من عالم البرزخ .

السابعة : إنذار الذين كفروا ودعوتهم والناس جميعاً للتوبة والإنابة .

الثامنة : بيان مصداق للقانون الوارد في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ﴾ ^(٢) ففي الإخبار عن أهوال يوم القيامة رحمة بالناس لما فيه من الزجر عن فعل السيئات .

التاسعة : تأكيد قانون عائدة الملك يوم القيامة لله عز وجل ، وأن حساب الناس جميعاً بيده .

العاشرة : تنزه الله عز وجل عن الظلم في الدنيا والآخرة .

التفسير

تفسير ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾

ذلك اسم إشارة ، وهو الذي وضع ليدل على معين بواسطة الإشارة الحسية بإليه ونحوها ، سواء كان المشار إليه ذاتاً حاضرة أو أمراً معنوياً كما في قوله تعالى ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ ^(٣).

(١) الدر المنثور ٨/ ٣١٣ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة النساء ١٤٣ .

فهؤلاء : اسم إشارة ذات حاضرة ومعلومة .

ذلك : اسم إشارة معنوي .

وفي موضوع الإشارة أطراف :

الأول : المشير الذي يقوم بالإشارة .

الثاني : أداة الإشارة .

الثالث : موضوع الإشارة .

الرابع : المشار إليه .

ويتألف (ذلك) من ثلاثة حروف ومعاني .

الأول : اسم الإشارة (ذا) .

الثاني : لام البعد .

الثالث : كاف الخطاب .

إذ تتوسط لام البعد بين اسم الإشارة وكاف الخطاب ، ولا تأتي لام البعد في أسماء الإشارة بدون كاف الخطاب .

وأصل (ذا) هذا ، والهاء للتنبيه ، ولكنها حذفت في (ذلك) إجتناّب كثرة الزوائد ثلاثة .

وللتباين بين (هـ) للتنبيه ، ولام البعد ، إذ تدل (الهاء) على قرب المشار إليه أما اللام فتدل على بعد المشار إليه ، فلا يجتمع المتضادان في كل وموضوع واحد .

ومن إعجاز القرآن تعدد معاني أسماء الإشارة فيه فلا يختص معناها بالقرب والبعد المكانيين ، إنما يشمل أحوال الناس والتنزيل ، وأمور الدنيا والآخرة .

لقد كان الكفار يمتنعون عن الإقرار بالأمور العقلية والغيب فتفضل الله عز وجل وقرب لهم الأمور بالحس ، وجعلهم والناس جميعاً يستحضرون عالم الآخرة بواسطة الحواس ، ومنها الآية السابقة التي تذكر إحاطة

الحريق بالذين كفروا يوم يعجزون فيه عن الفرار ، قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّعِيمٌ﴾^(١) . ويشمل اسم الإشارة في آية البحث ذات أفعال الكافرين الجواب لا ، لإفادة المغايرة بينه وبين الأيدي .

وهل في مجئ ذلك في أول البحث تنمية للملكة التدبر والتفكير الجواب نعم ، وهي خطاب لأولى العقول لأنها تدعوهم لإستقراء المراد من اسم الإشارة في المقام بلحاظ الآيات السابقة ، وما تتضمنه من وجوه الإحتجاج على الذين كفروا في الدنيا والآخرة وفيها دعوة لأستحضار أعم النار وشدة الحريق فيها ، ولزوم إجتنب ذوق ألم ووطأة الحريق بالتوبة والإنباة .

بحث كلامي في (ذلك)

ابتدأت آية البحث باسم الإشارة (ذلك) ولا بأس بالإحصاء في آيات القرآن من وجوه :

الأول : عدد أسماء الإشارة في القرآن .

الثاني : عدد كل اسم من أسماء الإشارة في القرآن مثل : هذا ، وهذه ، ذلك ، هؤلاء ، ولدلالة التمايز في العدد بين هذه الأسماء ودلالاته . ومن وجوه تقدير قولهم في آية السياق ان الله فقير محتاج لنا ونحن أغنياء عنه ، لبيان تعديهم على مقام الربوبية ، وإصرارهم على ظلم النفس .

الثالث : عدد الآيات التي تبدأ باسم الإشارة ، كما في آية البحث .

الرابع : عدد الآيات التي يتكرر فيها اسم الإشارة كما في قوله تعالى ﴿كَلَّا نَبْدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(١) .

- الخامس : معاني البلاغة في أسماء الإشارة .
- السادس : حفظ القرآن لأسماء الإشارة ، وتعدد استعمالها ودلالات هذا التعدد وموضوعيته في التفسير من جهات :
- الأولى : استعمال أسماء الإشارة للعاقل وغير العاقل .
- الثانية : مجئ أسماء الإشارة للمذكر والمؤنث .
- الثالثة : أسماء الإشارة للمفرد والجمع .
- الرابعة : مجئ اسم الإشارة في القرآن للقريب والبعيد .
- الخامسة : أسرار استبدال بعض أسماء الإشارة بدل بعضها ، كما ورد حكاية عن لوط وخطابه لقومه ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾^(١) .
- ولابد من معاني ودلالات خاصة في هذا الاستبدال منه ما تذكره تلك الآية بالنص ، ومنه ما يستقرأ منها ، إذ ذكرت الآية أعلاه طهارة بنات لوط وأن الزواج منهن أنفع وأصلح لهم في الدنيا والآخرة من وجوه :
- أولاً : النكاح طريق للهداية .
- ثانياً : النكاح علة للإنجاب ، وعمارة الأرض والإنقطاع إلى العناية بالأسرة ومعيشتها وتربيتها .
- ثالثاً : من معاني استعمال (هؤلاء) للبعد أن لوطاً يعلم بأنهم ليسوا أكفاء لبنات نبي ، ولكنه أراد الإصلاح .
- رابعاً : التضحية لدفع الفتنة ، والإنصراف عن الفعل القبيح والعادة المذمومة من اللواط وإكفاء الذكور بالذكور ، وهل هذه التضحية من جهاد الأنبياء وأهلبيهم ، الجواب نعم .
- خامساً : ذكر أنهم كانوا يطلبونهن ، فيأبى عليهم لسوء فعلهم ، وتخلفهم عن الكفاءة .

(١) الصحاح في اللغة ١٨٢/٢ .

(٢) سورة هود ٧٨ .

سادساً : استعمال (هؤلاء) في الآية لجمع المؤنث ترغيب لهم بنكاحهن.

سابعاً : بيان رافة لوط بقومه وسعيه لنجاتهم من البلاء والهلاك الذي ينتظرهم .

ثامناً : وقاية لوط لضيوفه ، وتعاهد سلامتهم وعدم التعدي عليهم ، إذ كان قومه يرومون اللواط ، ولم يعلموا أن الضيوف ملائكة .

(عن السدي في قوله { هؤلاء بناتي } ^(١) قال : عرض عليهم نساء أمته كل نبي فهو أب أمته ، وفي قراءة عبد الله { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم } ^(٢)) ^(٣) .

فالمراد بنات لوط ، وقد وردت بهذا المعنى نصوص عديدة (عن ابن عباس قال : لما سمعت الفسقة باضياف لوط جاءت إلى باب لوط ، فاغلق لوط عليهم الباب دونهم ثم اطلع عليهم فقال : هؤلاء بناتي .

فعرض عليهم بناته بالنكاح والتزويج ولم يعرضهن عليهم للفاحشة ، وكانوا كفاراً وبناته مسلمات .

فلما رأى البلاء وخاف الفضيحة عرض عليهم التزويج .
وكان اسم ابنتيه إحداهما : رغوثة والأخرى رميثة ^(٤) ، ويقال : ديونا واختلف في عدد بنات لوط بين الاثنين والثلاثة والأربعة منهن ريثة وهي الكبرى وزغورا ^(٥) .

(١) سورة هود ٧٨ .

(٢) سورة الأحزاب ٦ .

(٣) الدر المنثور ٣٢٨/٥ .

(٤) الدر المنثور ٣٢٨/٥ .

(٥) السمرقندي / بحر العلوم ٣٤٨/٢ .

(عن السدي في قوله { ومن قبل كانوا يعملون السيئات }^(١)) قال :
ينكحون الرجال .

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله { قال يا قوم هؤلاء بناتي }^(٢)
قال : ما عرض لوط عليه السلام بناته على قومه لا سفاحاً ولا نكاحاً إنما
قال : هؤلاء بناتي نساؤكم ، لأن النبي إذا كان بين ظهري قوم فهو أبوهم ،
قال الله في القرآن { وأزواجه أمهاتهم }^(٣) (٤).

قوله { أليس منكم رجل رشيد }^(٥) أي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
المنكر ، فلما لم يتناهوا ولم يردهم قوله ولم يقبلوا شيئاً مما عرض عليهم
من أمر بناته قال { لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد }^(٦) يعني
عشيرة أو شيعة تنصرني لحلت بينكم وبين هذا ، فكسروا الباب ودخلوا
عليه ، وتحول جبريل في صورته التي يكون فيها في السماء .
ثم قال : يا لوط لا تخف نحن الملائكة لن يصلوا إليك ، وأمرنا بعذابهم

فقال لوط : يا جبريل الآن تعذبهم - وهو شديد الأسف عليهم .
قال جبريل : موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب . قال ابن عباس :
إن الله يعبي العذاب في أول الليل إذا أراد أن يعذب قوماً ثم يعذبهم في
وجه الصبح .

(١) سورة هود ٧٨ .

(٢) سورة هود ٧٨ .

(٣) سورة الأحزاب ٦ .

(٤) الدر المنثور ٣٢٨/٥ .

(٥) سورة هود .

(٦) سورة هود ٧٨ .

قال : فهبثت الحجارة لقوم لوط في أول الليل لترسل عليهم غدوة الحجارة ، وكذلك عذبت الأمم عاد وثمود بالغداة ، فلما كان عند وجه الصبح عمد جبريل إلى قرى لوط بما فيها من رجالها ونسائها وثمارها وطيرها فحواها وطواها ثم قلعها من تخوم الثرى ، ثم احتملها من تحت جناحه .

ثم رفعها إلى السماء الدنيا فسمع سكان سماء الدنيا أصوات الكلاب والطير والنساء والرجال من تحت جناح جبريل ، ثم أرسلها منكوسة ، ثم أتبعها بالحجارة وكانت الحجارة للرعاة والتجار ومن كان خارجاً عن مدائنهم .

وأخرج ابن أبي حاتم عن حذيفة بن اليمان قال : عرض عليهم بناته تزويجاً ، وأراد أن يقي أضيافه بتزويج بناته^(١).

(وقال السدي خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قوم لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقى من الماء لأهلها وكانت له ابنتان اسم الكبرى ريثا والصغرى ذعرتا فقالوا لها يا جارية هل من منزل.

فقالت لهم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فرقت عليهم من قومها. فأت أباه فقالت يا أبتاه أراك فتیان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط هي أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحهم وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلاً فجاء بهم فلم يعلم أحداً إلا أهل البيت فخرجت امرأته فأخبرت قومها فقالت إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط فجاءه قومه يهرعون إليه)^(٢).

(١) الدر المنثور ٣٢٨/٥.

(٢) البداية والنهاية ١٧٩/١.

ومن مفردات علم الكلام في قوله تعالى (ذلك) الذي ابتدأت به آية البحث البعد الزمني ، والتعدد في العوالم الطولية إذ يتعلق اسم الإشارة (ذلك) بعذاب الحريق الذي أختتمت به آية السياق والمراد منه مقدمات دخول الكافرين النار يوم القيامة وذات الدخول .

ليكون من أسرار ابتداء آية البحث باسم الإشارة (ذلك) أمور :
الأول : استحضر الناس ليوم القيامة وأهواله .

الثاني : تأكيد وقائع يوم القيامة ، وحال الحساب والجزاء يومئذ .
الثالث : بيان شدة العذاب ، وصعوبة تصور الناس له ، إذ أنه يفوق التصور الذهني .

معاني الكتاب في القرآن

إن ورود لفظ الكتاب في القرآن في معاني متعددة معجزة تبين عظمة سلطان الله عز وجل ، وبديع خلقه ، ودقة أنظمة الكون ، وضبط حياة الناس وسنن الشرائع ، وإحاطة الله عز وجل بكل شئ ، وتفضله على الناس والخلائق .

فذاً لفظ (الكتاب) رحمة بالناس ، وكذا موارده وإنتفاع الناس منه في أمور الدين والدنيا .

ومن إعجاز اتحاد اللفظ وتعدد المعنى من غير أن تصل النوبة إلى التقسيم في علم البيان إلى الحقيقة والمجاز ، فكل هذه المعاني المتعددة من الحقيقة ، وكأن هذا اللفظ وضع لها جميعاً مع تعدد النسبة بين معاني الكتاب ، فقد تكون النسبة بين اثنين منهما هي العموم والخصوص المطلق ، كما في النسبة بين أحكام القرآن وأحكام الإنجيل ، وكل واحد منهما ورد باسم الكتاب .

أو تكون النسبة بينهما هي العموم والخصوص من وجه ، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ وقوله تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (٢) فهناك مادة للإلتقاء وأخرى للإفتراق في الموضوع بينهما ، ويأتي الكتاب بمعنى الاسم وبمعنى المصدر .

(والكتابُ والكتابةُ: مصدرُ كَتَبْتُ. واستَكْتَبْتُ فلاناً: إذا أمرته أن يكتبَ لك أو اتَّخَذْتَهُ كاتباً.

والكتابُ والمكتَبُ: للصَّيَّان. والمكتَبُ: المُعَلِّمُ.
والكتبةُ والاكْتِتَابُ: في الفرض والرِّزْق. واكْتَتَبَ فلانٌ: كَتَبَ اسْمَهُ في الفرض.

والمكاتبُ: العبدُ يَكاتبُ على نفسه بثمنه.
وَكَتَبْتُ الشَّيْءَ وأَخَصَيْتُهُ: بمعنى واحد.
والكتيبةُ - معروفة - : جماعةٌ من الخيل مُسْتَحِيْزةٌ ، تَكْتَبُوا: أي اجتمعوا. وَكَتَبْتُ الكُتَّابَ: هيَّأتها.
واكْتَتَبَ بَطْنُ فلانٍ: إذا أَمْسَكَ فلم يُحْدِثْ. وَرَجُلٌ مُكْتَتِبٌ ومُكْتَتَبٌ عليه. وَكُتِبَ عليه: إذا لم يَلِ.

واستَكْتَبَ السَّقاءُ: أَمْسَكَ سَيُّورَهُ الماءَ فلا يَسْرِبُ منه.
والمُكْتَوَّبُ: المُتَفَخُّ المُمْتَلِىءُ مما كانَ.
وَبَطْنُهُ مُكْتَوَّبٌ: أي مُمْتَلِىءٌ عداوةً.
والتَّكْتَبُ: التَّحْزَمُ والتَّجْمَعُ، والتَّكْتِيبُ: مثله. (٣).
(وقد كتب الكتابُ يكتبه كُتْباً، إذا جمع حروفه. وأصل الكتب ضمُّكَ الشيء إلى الشيء.

(١) سورة الأنعام ٥٩.

(٢) سورة هود ٦.

(٣) سورة هود ٦.

وكتبَت المَزَادَةَ وَغَيْرَهَا أَكْتُبَهَا كَتَبًا، إِذَا خَرَزَتْهَا. وَالْخَرَزَةُ: الْكُتْبَةُ، وَالْجَمْعُ الْكُتُبُ.

وكتبَتُ الْبَغْلَةَ أَكْتُبُهَا وَأَكْتُبُهَا، إِذَا ضَمَمْتَ أَشْعَرِيهَا بِحَلَقَةٍ. قَالَ الشَّاعِرُ:
لَا تَأْمَنْ فِزَارِيَا خَلَوْتَ بِهِ ... عَلَى قُلُوصِكَ وَأَكْتُبُهَا بِأَسْيَارِ
وَكُتِبَتِ الْكُتَيْبَةُ، إِذَا ضَمَمْتَ بَعْضَ أَهْلِهَا إِلَى بَعْضٍ. وَيُقَالُ: رَجُلٌ
حَسَنُ الْكُتَيْبَةِ وَالْكِتَابَةِ. وَالْمُكْتَبُ: الَّذِي يَعْلَمُ الْكِتَابَةَ. وَالْمُكَاتِبُ: الَّذِي
يَشْتَرِي نَفْسَهُ وَيَكَاتِبُ عَلَيْهَا.

وَبَنُو كُتُبٍ: حَيٌّ مِنَ الْعَرَبِ. وَالْكِتَابُ: سَهْمٌ صَغِيرٌ يَعْلَمُ بِهِ الصَّبِيَّانُ.
قَالَ: وَالْكِتَابُ بِالتَّاءِ وَالثَّاءِ ^(١).

مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْمَاءِ فِي الْقُرْآنِ بَعْدَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى اسْمُ الْكِتَابِ وَنَزُولُهُ ،
وَإِلَيْهِ تَمِيلُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَجْذِبُ النَّاسَ إِلَيْهِ جَمِيعًا بِالْفَطْرَةِ ، وَهُوَ مِنْ
مُصَادِيقِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ^(٢).

وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ الْكِتَابِ فِي الْقُرْآنِ بَعْدَ أَلْفَاظٍ :

الأول : الْكِتَابُ إِذْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مَائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ مَرَّةً بِلَفْظِ الْكِتَابِ .

الثاني : اِثْنَتِي مَرَّةً بِلَفْظِ ﴿كِتَابًا﴾ بِالطَّلَبِ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ

أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ ^(٣).

الثالث : جَاءَ لَفْظُ ﴿كِتَابَكَ﴾ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْقُرْآنِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿اقْرَأْ

كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ^(٤).

(١) جمهرة اللغة ١/١٠٠.

(٢) سورة البقرة ٣١.

(٣) سورة الزمر ٢٣.

(٤) سورة الإسراء ١٤.

الرابع : نزل لفظ ﴿بِكِتَابِكُمْ﴾ مرة واحدة في القرآن ، قال تعالى ﴿فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) .

الخامس : جاء لفظ (كتابنا) مرة واحدة في القرآن ، قال تعالى ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢) .

السادس : نزل قوله تعالى ﴿كِتَابُهُ﴾ خمس مرات في القرآن ، قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^(٣) وقال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ شِمَالَهُ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِي﴾^(٤) .

ليان مسألة وهي أن ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا اللَّهُ فَقِيرٌ وَخُنُوعٌ﴾^(٥) وبخلوا بما آتاهم الله من فضله ، ولم يخرجوا الزكاة منه ، ولم يساعدوا الفقراء والمساكين هم الذين يؤتون كتبهم في شمالهم لبيان قانون وهو أن ذات لفظ ﴿الكتاب﴾ يكون على جهات :
الأولى : إنه إنذار للكافرين .

الثانية : إنه بشارة للمؤمنين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦) .

(١) سورة الصافات ١٥٧.

(٢) سورة الجاثية ٢٩.

(٣) سورة الإنشقاق ٧-٨.

(٤) سورة الحاقة ٢٤.

(٥) سورة آل عمران ١٨١.

(٦) سورة الأنعام ٤٨.

الثالثة : فيه دعوة للتوبة والإنابة .

الرابعة : بعث الناس على العمل الصالح رحمة من الله ، ولينالوا كتبهم في إيمانهم .

السابع : نزل لفظ ﴿كُتِبَ﴾ مرة واحدة في القرآن بقوله تعالى ﴿فَنَزَّلْنَا أُوتِي كِتَابَهُ بِإِيمَانِهِ فَأُولَئِكَ يُقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ﴾^(١) .

(عن أبي أمامة : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، فأخذ أهل اليمين يمينه وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى - وكلتا يدي الرحمن يمين - فقال : يا أصحاب اليمين .

فاستجابوا له ، فقالوا : لبيك ربنا وسعديك . قال { أأست بربكم قالوا بلى }^(٢)

قال : يا أصحاب الشمال . فاستجابوا له ، فقالوا : لبيك ربنا وسعديك . قال { أأست بربكم قالوا بلى }^(٣) فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم : رب لم خلطت بيننا؟ قال { ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون }^(٤) . { أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين }^(٥) ثم ردهم في صلب آدم ، فأهل الجنة أهلها ، وأهل النار أهلها ، فقال قائل : يا رسول الله فما الأعمال؟ قال : يعمل كل قوم لمنازلهم)^(٦) .

(١) سورة الإسراء ٧١ .

(٢) سورة الأعراف ١٧٢ .

(٣) سورة الأعراف ١٧٢ .

(٤) سورة المؤمنون ٦٣ .

(٥) سورة البقرة ١٠ .

(٦) الدر المنثور ٤/٣٦٤ .

الثامن : لفظ ﴿كَتَابَهَا﴾ في القرآن مرة واحدة بقوله تعالى ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾^(١).

التاسع : ورد لفظ ﴿كِتَابِي﴾ بخصوص قصة سليمان وبلقيس والهدهد ، وفي التنزيل ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

(وروى قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تقتلوا الهدهد فإنه كان دليل سليمان على قرب الماء وبعده ، وأحب أن يعبد الله في الأرض حيث يقول {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ} إني وجدت امرأة {٣} الآية.)^(٤).

العاشر : جاء لفظ ﴿كِتَابِيهِ﴾ مرة واحدة في القرآن (عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجداً ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في أيدي فأخذ يمينه وأخذ بشماله)^(٥).

وتدل الآية أعلاه على غبطة وسعادة الذي يأخذ كتابه يمينه وإخباره الآخرين ويتفاخر بفضل الله عز وجل عليه ، ولم ينسبه إلى عمله ، ولم يقل : أني أخذت كتابي يميني ، إنما نسب النجاة والفضل إلى الله فهو الذي أعطاه كتابه يمينه .

(١) سورة الجاثية ٢٨.

(٢) سورة النمل ٢٨.

(٣) سورة النمل ٢٢-٢٣.

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٤٧١/٩.

(٥) الدر المنثور ٩٣/١٠.

الحادي عشر : ورد لفظ ﴿كُتِبُ﴾ جمع كتاب ثلاث مرات في القرآن ، قال تعالى ﴿كُتِبَ قِيمَةٌ﴾.

(عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله أمرني أن أقرأ عليك فقراً عليّ { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة } ^(١) إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ، ومن يفعل خيراً فلن يكفره) ^(٢).

وورد في القرآن اسم ﴿كَاتِبٌ﴾ ثلاث مرات منها ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ ^(٣).

وورد اسم الكتاب في القرآن تارة للمعنى الأعم بمعاني متعددة عامة وخاصة منها :

الثاني عشر : الوعد من الله عز وجل بالرحمة والإمهال والعفو ، قال تعالى ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٤).

الثالث عشر : يراد الكتاب بمعنى الشرائع السماوية ، قال تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ^(٥).

(١) سورة البينة ٤.

(٢) الدر المنثور ٣١٧/١٠.

(٣) سورة البقرة ٢٨٢.

(٤) سورة الأنفال ٦٨.

(٥) سورة البقرة ٢١٣.

الخامس عشر: قد يأتي الكتاب في القرآن ، ويكون المراد به التوراة كما في مواطن متعددة من القرآن منها ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذِبْتُمْ وَفَرِيقًا نَقْتُلُوهٗ﴾ (٢).

وهذه مسألة كلامية واستدلال يذكر لأول مرة ، إذ أن القرآن جامع للأحكام الشرعية ، ويدل قوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ

(۱) سورة آل عمران ۷.

(٢) سورة البقرة ٨٧.

(۳) سورة مريم ۳۰.

(٤) سورة آل عمران ٣.

يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿١﴾ .

السابع عشر : يرد لفظ الكتابة في التشريع في النظم الإجتماعية والأسرية وصيانة الفروج ، قال تعالى ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ (٢) أي فيما حرم الله عز وجل عليكم من جهة القرابة والمصاهرة والرضاعة .

الثامن عشر : بيان أحكام الطلاق والعدة ، إذ ورد لفظ ﴿الْكِتَابُ﴾ في المقام لبيان لزوم تقيد الرجال والنساء في العدة وضبط مدتها ، قال تعالى ﴿وَلَا تَعْرَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٣) .

التاسع عشر : ضبط الشهور وعدد السنين ، وأنه يجري بحكمة من الله عز وجل وإعجاز في بدائع الخلق .

العشرون : إرادة المكاتبة مع العبيد ، وهي نوع طريق لعتقهم وجعلهم أحراراً ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ (٤) .

(١) سورة المائدة ٤٨.

(٢) سورة النساء ٢٤.

(٣) سورة البقرة ٢٣٥.

(٤) سورة النور ٣٣.

الحادي والعشرون : إتخاذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين الكتاب من الله حجة وآلة ومادة للاحتجاج ، وهل تدل الآية أعلاه على أن القرآن كتاب نازل من عند الله ، الجواب نعم .

وورد مرة بصيغة الجمع والرفع ﴿كَاتِبُونَ﴾ بقوله تعالى ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾^(١) وأخرى بصيغة النصب (كاتبين) بقوله تعالى ﴿كَرَّامًا كَاتِبِينَ﴾^(٢).

وجاء الفعل (كتب) ثمان مرات في القرآن ، والفعل ﴿كُتِبَ﴾ على البناء للمجهول ثلاث عشرة مرة ، قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

و﴿كُتِبَ﴾ هنا بمعنى فرض ووجب ، وقد تفضل الله عز وجل وجعل هذا الحكم وامثاله مكتوبة في القرآن وباقية إلى يوم القيامة ، فمن إعجاز اللفظ القرآني أن يأتي بمعنى ، وترشح معاني عديدة من ذات اللفظ والموضوع والحكم .

الثاني والعشرون : نسبة اليهود والنصارى إلى الكتاب إذ ذكرهم الله مجتمعين ومتفرقين باسم (أهل الكتاب) قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا

(١) سورة الأنبياء ٩٤.

(٢) سورة الإنفطار ١١.

(٣) سورة البقرة ١٨٠.

إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آرِبًا بآبَا
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾

من غير أن يتعارض هذا المعنى مع تسميتهم في آيات أخرى باليهود
وبني إسرائيل والذين هادوا والنصارى ، كما في قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى﴾ (٢) .

الثالث والعشرون : إرادة عدد من الكتب السماوية المنزلة كما في قوله
تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
يُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ
وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
وَالنَّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (٣) .

وتحتمل الألف واللام في ﴿الكتاب﴾ في الآية أعلاه وجوهاً :

الأول : إرادة الإستغراق والمتعدد من الكتب السماوية التي أنزلت
على الأنبياء من ذرية إبراهيم ، ومنها نزول التوراة على موسى ، والإنجيل
على عيسى عليه السلام والقرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله
وسلم .

(١) سورة آل عمران ٦٤ .

(٢) سورة المائدة ١٨ .

(٣) سورة الأنعام ٨٤-٨٩ .

الثاني : إفادة الجنس ، والمراد مجموع جنس الكتاب السماوي .
 وهل يدخل فيه الوحي إلى الأنبياء من ذرية إبراهيم ، المختار لا ، وبين
 الوحي والكتاب عموم وخصوص مطلق ، فكل كتاب سماوي هو من
 الوحي وليس العكس .
الثالث : المراد لام العهد ، وأن المقصود كتب سماوية معدودة في
 الذكر والبيان .

الرابع : لام الإجمال وهو اصطلاح جديد نقترحه هنا ، وأنه لم يثبت
 الإستغراق ، وهو أكثر من لام العهد ، ولكنه لم يتبين المعنى من جهات :
الأولى : الكم .

الثانية : الكيف .

الثالثة : العدد .

الرابعة : الخصائص .

الخامسة : الموضوع .

الخامس : إرادة البرزخ والوسط بين الإستغراق وبين العهد وهو أيضاً
 قسيم جديد ذكرناه في هذا الجزء .

المسألة السابعة : من إعجاز القرآن أن كل كلمة من فضل الله عز وجل
 ، وكذا الجملة الواحدة ، والفعل والفاعل ، وصيغة الفعل وهل هي
 بالماضي أم إلى الحاضر أم الأمر ، ولكل منها أسرار وذخائر مع إمكان
 دلالة ذات الفعل بصيغته القرآنية على إرادة الصيغ الأخرى منه .
 إذ نزل القرآن لكل زمان ، ومن خصائصه إلى الإحاطة باللامحدود من
 الوقائع والأحداث .

لقد أختتمت آية السياق بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١).

وفيه بشارة وإنذار ، وترغيب وترهيب ، وبعث لعمل الصالحات ، وزجر عن فعل السيئات .

لتأتي آية البحث وتخير عن عالم الجزاء للذين كفروا ، فتكون من وجوه الإنذار والترهيب والزجر عن المنكر وما حرمه الله عز وجل ، ومنه الشح والبخل بفضل الله عز وجل ، والإمتناع عن دفع الزكاة وإعانة الفقراء .

لتدل الآية ومن باب الأولوية القطعية على الوعيد على إنفاق المال في محاربة الإسلام .

المجمل والمبين

والمجمل هو ما جمع ، وجملة الشئ ومجموع الشئ أما في الإصطلاح فهو ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجيح أحدهما على الآخر . وقد تقدم الكلام في العام والخاص .

ومباحث المجمل والمبين بلحاظ أبواب العلم والإختصاص على وجوه :

الأول : المجمل والمبين في اللغة .

الثاني : المجمل والمبين في علم الأصول .

الثالث : المجمل والمبين في علم التفسير .

ففي القرآن وجوه :

الأول : الناسخ والمنسوخ .

وقد تقدم قول بعضهم أن آية السيف نسخت أكثر من مائة آية ولا أصل لهذا القول .

الثاني : العام والخاص .

الثالث : المجمل والمبين .

الرابع : الأمر والنهي .

الخامس : الوعد والوعيد .

السادس : المطلق والمقيد .

السابع : المحكم والمتشابه .

الثامن : العموم والخصوص .

التاسع : الظاهر والمضمر ، ومعنى الظاهر هنا غير معناه عند القسمة في علم الأصول إلى جهات :

الأولى : النص .

الثانية : الظاهر.

الثالثة : المجمل وبين الظاهر هنا والظاهر في تقسيم علم الأصول عموم وخصوص مطلق ، فالظاهر هنا أعم يشمل النص والظاهر .

العاشر : الحقيقة والمجاز .

الحادي عشر : الحلال والحرام .

الثاني عشر : الثواب والعقاب .

الثالث عشر : أمور الدنيا والآخرة .

ومن المجمل في القرآن وجوب إقامة الصلاة بقوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾

(١) إذ جاءت السنة النبوية ببيان أوان كل فريضة وأدائها .

وتخصيص ظاهر القرآن كما في قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا

جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ رَبِّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢) إذ جاءت السنة النبوية

وأحاديث الأئمة بانه لا قطع بأقل من ربع دينار ذهب .

وقلنا في الديات جواز أن تكون بالدرهم فهل يكون هذا أيضاً في قطع

السارق ، الجواب لا ، فإذا كان قيمة ربع دينار ذهب هو درهمان ونصف

، أي نحو سبعة غرامات فضة تعادل مائة دينار ، فلا بد من الحكم بالمبلغ

الأكثر من جهات :

(١) سورة البقرة ٤٣.

(٢) سورة المائدة ٣٨.

الأولى : ورود النص عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ربع دينار فان قلت قد وردت بعض الأخبار بخمسة دراهم وعشرة دراهم بخصوص القطع بالمجن أي الترس من الجلد ونحوه . وكذا بالنسبة لحد الحرمة في الرضاعة وعدد الرضعات التي تنشر الحرمة كما في قوله تعالى ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعَةِ﴾^(١).

الثانية : قاعدة درء الحدود بالشبهات .

الثالثة : إطلاق الرأفة والرحمة ، وعمومات قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وكان داود بن علي بن الظاهري متعصباً للشافعي ، وهو أول من صنف كتاباً في مناقبه ، ثم اتجه إلى نفي القياس ونحوه ، وعن أبي حاتم قال في داود : ضال مضل لا يلتفت إلى وساوسه وخطواته .

واراد داود الدخول على أحمد بن حنبل فمنعه ، وقال : كتب إلى محمد بن يحيى الذهلي في أمره وأنه زعم أن القرآن محدث .

وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(٣) حجة لظواهر القرآن ، وفيه وجوه :

الأول : في القرآن الظاهر والمضمر ، وفي القرآن المجمل والمبين ، وقد يكون الظاهر مبيناً وقد يكون مجملاً من جهة مثلاً قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١).

(١) سورة النساء ٢٣.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة ابراهيم ٤.

والآية نص ظاهر في وجوب حج بيت الله الحرام مع الإستطاعة ولكنها مجملة من جهة المرة ومرات الوجوب.

وعن الإمام عليه عليه السلام (قال : لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾^(١) قال المؤمنون: يا رسول الله صلى الله عليه واله أفى كل عام ، فسكت فأعادوا عليه مرتين فقال : لا ، ولو قال : نعم لوجبت ، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنِّ أَشْيَاءَ إِنِ بُدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(٢) (٣).^(٤)

و(عن ابن عباس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج . فقام الأقرع بن حابس فقال : أفى كل عام يا رسول الله ؟ قال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها . الحج مرة فمن زاد فتطوع)^(٥).

أما أقيموا الصلاة فهو مبين من جهة الأمر وسنخية الفعل العبادي ، ومجمل من جهة عدد الركعات والأوقات ، فجاءت السنة النبوية ببيانه .

الثاني: الإجزاء في البيان .

الثالث : فهم وفقه الناس للمبين ، وما من مجمل في القرآن إلا وقد بين في آية أخرى .

ويمكن تقسيم المبين إلى قسمين :

الأول : المبين التام .

(١) سورة آل عمران ٩٧.

(٢) سورة آل عمران ٩٧.

(٣) سورة المائدة ١٠١.

(٤) البحار ٢٢/٩٦.

(٥) الدر المنثور ٣٩٠/٢ .

الثاني : المبين الجهتي ، الذي يتبين من جهة ويلزم البيان من جهة أو جهات أخرى ، وقد يلحق بالمجمل لكنه قسم مستقل أحياناً (فالقري) مجمل لأنه كلمة واحدة تحتمل معنيين .

ولكن قد يأتي الكلام مبيناً من جهة ومجماً من جهة أخرى .
ويمكن إنشاء قانون جديد في باب المجمل والمبين في القرآن وهو تلاوة المسلم للمجمل وتفويض المصدق والتفصيل إلى الله عز وجل .
فمن خصائص الإنسان أنه محتاج للمجمل والمبين ، فتفضل الله عز وجل وفتح له باب الدعاء .

لنتجلى فيه مصاديق البيان في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) وسيأتي مزيد بيان في الجزء التالي وهو الثامن والتسعون بعد المائة .

العام والخاص

لابد للمجتهد من الإحاطة بعلم العام والخاص ، واستنباطه من القرآن والسنة ، وإتخاذه منهجاً في التفسير وبيان الأحكام ، وهناك علوم مستقلة هي :

الأول : العام والخاص .

الثاني : المطلق والمقيد .

الثالث : التعميم والتخصيص .

وهل يمكن القول انها مما إذا اجتمع افترق ، وإذا افترق اجتمع ، الجواب نعم ، ومنه شواهد كثيرة ، كما سيأتي بيان التباين .
وفي اللغة يقال خصصه واختصه أي أفرده من بين الأشياء ، أما في اصطلاح الأصوليين فهو قصر العام على بعض أفرادهِ وإخراج عدد آخر من الأفراد بدليل متصل أو منفصل ولا بد أن يكون دليل التخصيص جلياً في الشرع .

فمثلاً قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١) فوردت بصفة العموم في حكم القطع ، ولكن جاءت السنة النبوية بالتخصيص .

وتخصيص القطع بربع دينار فما زاد تخفيف ورحمة (عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يقطع في ربع دينار فصاعداً . وروى أبو بكر بن محمد عن عمر عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً .

وقال بعضهم : يقطع سارق القليل والكثير ، ولو سرق دائق ، وهو قول ابن عباس ،

قال : لأن الآية عامة ليس خاصة^(٢) .

وعن (محمد بن يعقوب ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب عن أبي أيوب ، عن محمد بن مسلم ، قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : في كم يقطع السارق ؟ قال : في ربع دينار ، قلت له : في درهمين ؟ قال : في ربع دينار بلغ الدينار ما بلغ ، قلت له : أريت من سرق أقل من ربع دينار هل يقع عليه حين سرق اسم السارق ؟ وهل هو عند الله سارق ؟

فقال : كل من سرق من مسلم شيئاً قد حواه وأحرزه فهو يقع عليه اسم السارق ، وهو عند الله سارق ، ولكن لا يقطع إلا في ربع دينار أو

(١) سورة المائدة ٣٨ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٨٢/٥ .

أكثر ، ولو قطعت أيدي السارق فيما أقل هو من ربع دينار لألغيت عامة الناس مقطعين .^(١)

ويلاحظ أن الإمام عليه السلام أكد على الربع دينار وحده ، أي عندما يرتفع سعر الذهب لا يؤخذ بقيمة الدرهم ، كما في هذا الزمان فقد كانت قيمة الدينار أيام النبوة والتابعين عشر دراهم أما في هذا الزمان فربما صارت قيمه الدينار مائة درهم أو أكثر .

(فقال قوم : يقطع إذا سرق عشر دراهم فصاعداً ،

ولا يقطع فيما دون ذلك .

وليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه واحتجوا بما روى عطاء ومجاهد عن أيمن بن أم أيمن قال : يقطع السارق في ثمن المجن وكان ثمن المجن على عهد رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} ديناراً أو عشرة دراهم .

وروى أيوب بن موسى عن عطاء عن ابن عباس قال : كان ثمن المجن^(٢) على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرة دراهم .

وروى عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال : أدنى قيمة عن المجن هو ثمن المجن عشرة دراهم .

قال سليمان بن يسار : لا يقطع الخمس إلا بالخمس .

واستدل بما روى سفیان عن عبد الله أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قطع في قيمة خمسة دراهم .

وروى سفیان عن عيسى عن الشعبي عن عبد الله أن النبي {صلى الله عليه وآله وسلم} قطع في خمسة دراهم .

وروى شعبة عن داود بن (فرايج) قال : سمعت أبا هريرة وأبا سعيد الخدري قالا : تقطع الكف في أربعة دراهم فصاعداً ،

(١) الوسائل ٢٨/٢٣١ .

(٢) والمجن : الترس .

ولا تقطع في ثلاثة دراهم فصاعداً.

واحتج بما روى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قطع سارقاً في مجن ثمنه ثلاثة دراهم فقال : بعضهم يقطع في ربع دينار فصاعداً،

وهو قول الأوزاعي، والشافعي وإسحاق الحنظلي وأبو ثور. واحتجوا بما روى سفيان عن الزهري عن حمزة عن أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال : يقطع في ربع دينار فصاعداً.

وروى أبو بكر بن محمد عن عمر عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً.^(١)

ونسب إلى المعري بيتان من الشعر في الإشكال على هذا الحكم الشرعي ، ولم يردا في ديوانه (سقط الزند) و(اللزوميات) وهما :
(يدٌ بخمس مئين عسجد)^(٢) ودَيْتُ ما بالها قُطِعَتْ في رُبْع دينار ...
تَنَاقُض ما لنا إلا السكوت له ... وأن نَعُوذُ بِمَوْلانا من النارِ
ولما قال ذلك واشتهر عنه تَطَلَّبه الفقهاء فهرب منهم)^(٣).

انما هذا التباين من الإعجاز في حكم الشريعة فاذا جني على اليد وقطعت كانت الدية كبيرة للزجر عن التعدي والظلم ولفوات المنافع بقطع اليد .

أما اذا سرقت اليد فلانها صارت متعديّة على حقوق الغير ، ولأن في حكم القطع مانع من السرقات فاذا تغير الموضوع والفعل تبدل الحكم .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٨٢/٥.

(٢) العسجد : الذهب أي خمسمائة دينار ذهباً وقيل الجوهر كله كالدر والياقوت ، والأول أنسب في المقام .

(٣) تفسير ابن كثير ١١٠/٣.

، فكذا السارق فرط بيده ، قال الحموي (كان المعري حماراً، لا يفقه شيئاً، وإلا فالمراد بهذا بين، لو كانت اليد لا تقطع إلا في سرقة خمسمائة دينار، لكثير سرقة ما دونها، طمعاً في النجاة، ولو كانت اليد تفدى بربع دينار، لكثير من يقطعها، ويؤدي ربع دينار دية عنها، نعوذ بالله من الضلال) (١).

(وقضى الإمام علي عليه السلام في رجل كندي: أمر بقطع يده، وذلك أنه

سرق، وكان الرجل من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثوباً، فقال علي عليه السلام: ما أرى من

حسن وجهك ونظافة ثوبك ومكانك من العرب تفعل مثل هذا الفعل فنكس الكندي ثم قال: الله

الله في أمري يا أمير المؤمنين، فلا والله ما سرقت شيئاً قط غير هذه الدفعة، فقال له

ويحك قد عسى أن الله العلي الكريم لا يؤاخذك بذنب واحد أذنبته إن شاء، فبكى الكندي

فأطرق أمير المؤمنين عليه السلام ملياً ثم رفع رأسه وقال: ما أجد يسعني إلا قطعك،

فاقطعوه فبكى الكندي وتعلق بثوبه وقال: الله الله في عيالي، فإنك إن قطعت يدي هلكت

وهلك عيالي، وإنني أعول ثلاثة عشر عيالا ما لهم غيري، فأطرق ملياً ينكت الأرض بيده، ثم

قال: ما أجد يسعني إلا قطعك، أخرجوه فاقطعوا يده، فلما وقعت يده المقطوعة بين يدي

أمير المؤمنين عليه السلام قال الكندي، والله لقد سرقت تسعة وتسعين مرة، وإن هذه

تمام المائة، كل ذلك يستر الله علي، قال: فقال الناس له: فما كان لك في طول هذه المدة زاجر؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد فرج عني، قد كنت مغموما بمقاتلك

الاولى، وأن الله حلیم كريم لا يعجل عليك إن شاء في أول ذنب، فوثب الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: وفقك الله، فما أبقاك لنا فنحن بخير ونعمة^(١).

لام الجزء قسيم جديد في اللام

ويمكن أن نسمي هذا القسيم الجديد (لام) الجزء، والجزء ما يتركب الشئ منه ومن غيره.

(اسم الكل للجزء كالعام للخاص)^(٢).

(الجزء: واحد الأجزاء.

وجزأت الشيء جَزَأً قَسَمْتُهُ وجعلته أجزاء، وكذلك التجزئة.

وجزأت بالشيء جَزَأً: أي اكتفيت به، وجزئت الإبل بالرطب عن الماء جَزَأً بالضم.

وأجزأتها أنا، وجزأتها أيضاً تجزئة)^(٣).

(الجزء : البعض)^(٤).

(١) البحار ٤٠ / ٢٨٧.

(٢) المزهر ١١٠ / ١.

(٣) الصحاح في اللغة ١ / ٩٠.

(٤) القاموس المحيط ١ / ٤.

والزكاة : الجزء القليل من المال الذي يجب اخراجه على سبيل الصدقة ، والخمس الجزء من المال الذي يجب اخراجه .

واستحداث قسيم الجزء هذا يتناسب مع قول الفلاسفة والأصوليين ما من عام إلا وقد خص ، مع ما تقدم منا بان هذا القول ليس مطلقاً إذ ينخرم بقدرة الله عز وجل على كل شئ ، وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١) وغيرها .

ليشمل هذا القسيم الخاص والموجبة الجزئية والسالبة الجزئية عما يكون أعم من العهد ولا يرقى إلى ألف ولام الإستغراق أو الجنس . وهناك تقسيم للام العام إلى قسمين :

الأول : لام الإستغراق .

الثاني : لام الجنس .

أي ليس كل واحد منهما قسماً على نحو مستقل دائماً ، إنما هما فرعان للعام ، وذكر قسم آخر للام وهو لام تعريف الماهية وتسمى (لام الماهية) و(لام) الحقيقة .

ومن خصائصها أن لا تخلفها (كل) لا حقيقة ولا مجازاً ، أو عرفاً ولا تعني الشمول لكل الأفراد ، إنما ينطبق على الكثير والقليل واستدل عليه بقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٢) ، مع وجود حرف التبعية (من) الذي يمنع من الإستشهاد بالآية في الموضوع خاصة وقد ورد قوله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٣) .

(١) سورة النساء ١٢٦.

(٢) سورة الأنبياء ٣٠.

(٣) سورة هود ٧.

ولم يرد لفظ (عرشه) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، ومن خصائص هذا القسم أن مدخول اللام اشبه بالنكرة في معناها ، إذ أنها لا تستغرق كل أفراد العام ، ولا تكون داخلة في الحكم ، ويمكن الاستدلال عليه بقوله تعالى ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(١).

وبين كلمتي العذاب في الآية أعلاه عموم وخصوص مطلق ، فالأولى وعيد وتخويف وإخبار عن مقدمات العذاب ، فالذين ظلموا لم يروا يوم القيامة العذاب الشديد إنما رأوا صنفاً وضروباً من العذاب ، ويصح هنا قسم البرزخ في تقسيم اللام وتأسيس قسم جديد ، كما في قوله تعالى ﴿وَكَايَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾^(٢) ، وكأين اسم كناية عن عدد قلّ أو كثر ولكنه لا يرقى إلى العموم نعم ليس فيه لام التعريف .

ونضيف لها وجهاً آخر ، وهو قد تكون اللام للجنس أو الإستغراق أو العهد أو تكون قسماً مستقلاً بحسب الموضوع والحكم.

ومن وجوه التفسير ما يسمى التفسير الإشاري ، وفيه مزية أقدام وقد يكون من مصاديق ﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٣) ، إلا أن يكون موافقاً لظاهر القرآن ، وغير مناف لمعاني كلماته ويشترط فيه أن يكون له شاهد من الكتاب والسنة يعضده وأن لا يخرمه دليل معارض سواء كان نقلياً أو عقلياً.

(١) سورة البقرة ٢٦٥.

(٢) سورة آل عمران ١٤٦.

(٣) سورة النساء ٤٦.

ومما لا يقل منه ضررا التقطيع الذي لا أصل له في قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١).

يفسر (من ذا الذي) إلى : من ذل (ذي) أي يقطع اللام ، من الاسم الموصول (الذي) ويجعلها مع اسم الإشارة ذا ويبقى كلمة (ذي) من الاسم الموصول اشارة إلى النفس .

ومع أن (يشفع) مع الاسم الموصول اشارة إلى الشفيع فان هذا المفسر يقطع كلمة (يشفع) إلى كلمتين هما : يشف : من الشفاء .

ع : الأمر للمخاطب بالوعي .

إذ هناك أفعال أمر من حرف واحد منها :

الأول : فعل الأمر (رَ) من رأى .

الثاني : فعل الأمر (شَ) من (وش) .

الثالث : فعل الأمر (ف) من وفى .

الرابع : فعل الأمر (ق) من وقى .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إِذَا سَمِعْتُمْ أَصْوَاتَ الدِّيَكَةِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا فَاسْأَلُوا اللَّهَ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهَاقَ الْحَمِيرِ فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا فَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا رَأَتْ^(٢).

واتخذ أحد أعداء التنزيل هذا الحديث للطعن بنزول القرآن مع التباين بين القرآن والحديث ، إذ قال لو كان صياح الديك لرؤيته للملائكة فكان بالاحرى للديك أن يصيح في كل مرة يرى فيها انسان لأنه بحسب الإسلام فان لكل انسان ملاك على يمينه يسجل حسناته وملاك إلى يساره يسجل سيئاته.

(١) سورة البقرة ٢٥٥.

(٢) مسند أحمد ٤٦٢/١٦.

ولكن المراد من الحديث ليس كل ملك ، فمن الملائكة ما لا تراها الديكة وعامة الحيوانات ، وهم الملائكة الموكلون بكتابة أفعال الإنسان وهو من ضروب الإبتلاء والإختبار في الحياة الدنيا للناس .

ولا تتعارض مضامين الأحاديث مع ما ذكره من تفسير علمي لصياح الديك ومنه إنذار للحيوانات من خطر ما .

كما أنه ذكر في ذات التشكيك الحديث النبوي : لا تبشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها^(١) .

ثم قال المفتري الواهم أن هذا يعني أن السحاق محلل بشرط أن تصف المرأة المرأة الأخرى لزوجها بدقة ثم تمارس القبيح معها ، ومع لزوم تنزه كتابنا عن هذه الألفاظ والفرية إلا أنه يفسر الحديث بالمغالطة خاصة وأن الحديث يدل على النهي عن إطلاع المرأة على مفاتن المرأة الأخرى خشية أن تكون صورتها حاضرة في الوجود الذهني عند الزوج ومما قد يكون مقدمة لإفتتان الزوج بها ، مما يدل على أن الإسلام يمنع من مقدمات هذا الإفتتان حتى وإن كان طريقاً لأمر حلال وهو إقدام الزوج على الزواج من تلك المرأة التي وصفت له .

وقد ذكر أن بعض النحويين خرج هو وتلامذته في موسم جني التمور فسألوه عن قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(٢) ، عن فعل الأمر (قوا) والواو التي فيه ، فقال أن موقعها رفع فهو أمر للجماعة من الرجال ، قالوا كيف يقال للواحد من الرجال ، قال : ق . قالوا والاثنين ، قال : قيا ، قالوا ، والواحد من النساء ، قال : قي ، والاثنين قال : قيا .

(١) صحيح ابن حبان ٣١٥/١٧ .

(٢) سورة التحريم ٦ .

قالوا : وجماعة من النساء ، قال : قين ، ثم سأله أن يأتي بهن مجتمعات فقال : ق قيا قوا قين.

وكان بالقرب منهم جماعة من الكراة أي العمال المستأجرين فلما سمعوا ذلك استهجنوا وأنكروا ، وقالوا : يا زنادقة انتم تقرؤون القرآن بحروف الدجاج .

وعدوا على الأستاذ ومن كان معه من تلامذته فصنعوا بعضهم ، وما تخلصوا منهم إلا بعد كد وعناء.

ويدخل في الخاص القضية الجزئية الموجبة كما في قولك : المؤمنون شطر الناس ، قال تعالى ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، إذ يشمل المحمول بعض أفراد الموضوع وهم (الناس).

وكذا القضية الجزئية السالبة مثل ليس بعض الناس غنياً والمراد من الموضوع هو (الناس) أما المحمول فهو الغني فكما الإستغراق من اللغة وفي الأصول فانه يتجلى في المنطق إذ أن الإستغراق هو شمول الاسم الكلي في القضية لكل أفرادها مثل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾^(٢).

منه (كل نبي يوحى اليه) .

ومثل (كل مسكر حرام).

وتأتي أداة الحصر لتفيد الإستغراق أو الجزئية والنسبة بين الحصر والإستثناء هي العموم والخصوص المطلق ، فكل استثناء هو حصر وليس العكس .

(١) سورة يوسف ١٠٣.

(٢) سورة فاطر ١٥.

وللتمييز بينهما فاذا بقي المعنى تاماً ولم يتغير فهي أداة حصر وإذا كان الكلام الباقي لم يتم به المعنى فهو استثناء كما في قوله تعالى ﴿إِنْ أُولَآئِهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(١)، وتقديرها : أولياؤه المتقون ، فهي أداة حصر .
ولم يرد لفظ (الا المتقون) في القرآن إلا في الآية أعلاه أما قوله تعالى ﴿فَسَجِدُوا لِلْإِلَهِ﴾ فاذا رفعت أداة النفي يكون الباقي فسجدوا إبليس ، فالمعنى لا يتم فالجمله على الإستثناء ، والمعنى ظاهر من غير هذا التقدير .
فمن خصائص لغة القرآن وأسرار نزوله باللغة العربية وضوح المعنى بالتبادر الذهني من غير حاجة إلى وسائط بالإضافة إلى مسألة وهي يشترط في الحصر وجود النفي وشبهه ، أما بالنسبة للإستثناء تكون الجملة مثبتة ، ويعرب الاسم بعد الحصر بحسب موقعه في الجملة ، أما في الإستثناء فيعرب مستثنى أو بدلاً .

اصطلاح جديد الإجمال المحصور

المجمل لغة هو ما جمع ، وجملة الشئ وأجزاء المجموع ، وعرف بأنه المبهم ، ولكن المختار أن النسبة بينهما هي العموم والخصوص المطلق ، فكل مبهم هو مجمل وليس العكس ، وجملة الشئ عامته ومجموعه .
ويقال أجمل الحساب إذا جمع وجعل جملة واحدة أما في الإصطلاح فهو ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجيح لأحدهما على الآخر إلا مع القرينة أو الدليل .

والمجمل هو اللفظ يقصد منه أمر متحد ولكنه ينطبق على مصداقين أو أكثر فهو متعين في نفسه ، ولكن هذا التعريف لا ينطبق على المجمل في القرآن إذ أنه يتضمن الإشارة والدلالة على البيان ، كما أن مضمون الآية القرآنية التي فيها اللفظ المجمل عون على فهم معناه ، كما تجد التفصيل

والبيان في آيات قرآنية أخرى ، وهو من إعجاز القرآن ، فما من مجمل في موضع من القرآن إلا وهو مبين في موضع آخر وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١).
ويقابل المجمل المبين والمفصل .

ويأتي الإجمال في آية وتجد التفصيل والبيان في آية أخرى وقد يكون التفصيل على نحو الموجبة الجزئية الذي يدل على العموم واتحاد السخية ، كما بالنسبة للإجمال في ذكر عدد وأسماء الرسل في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢) ليأتي التفصيل بذكر عدد من الأنبياء والرسل .

ومنه قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٤) .

وفي النبي صالح عليه السلام وقومه ورد قوله تعالى ﴿وَالِىٰ ثُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيهِ أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾^(٥) .

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة الأنبياء ٢٥.

(٣) سورة الأعراف ٥٩.

(٤) سورة الأعراف ٦٥.

(٥) سورة الأعراف ٧٣.

وفي إبراهيم وقومه ورد قوله تعالى ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾^(١) وقوله تعالى ﴿والى مدین آحاهم شعيباً فقال یا قوم اعبدوا الله وأرجوا اليوم الآخر ولا تعفوا فی الأرض مفسدین﴾^(٢).

وفي عيسى عليه السلام ورد في التنزيل من ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾^(٣).

وجاءت آيات تتضمن دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للتوحيد ، وقد أمره الله عز وجل أن يلتقي بأهل الكتاب ، ويكون ملاك هذا اللقاء هو التوحيد والإجماع عليه ، قال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾^(٤).

وهل يشمل لفظ (الرسول) في الآية أعلاه من سورة الأنبياء أيضاً أم أنها خاصة بالرسول أولي الشرائع ، الجواب هو الأول ، لذا جاءت خاتمة الآية بالخطاب العام ﴿فاعبدون﴾.

ولا ينحصر صدور الأمر بالتوحيد بالأنبياء ، إنما هو أمر من عند الله عز وجل من يوم خلق الناس في عالم الذر ، ويوم نفخ في آدم الروح ، وبه نزلت الكتب السماوية ، وقد ذم الله عز وجل المشركين الذين عبدوا

(١) سورة العنكبوت ١٦.

(٢) سورة العنكبوت ٣٦.

(٣) سورة المائدة ١١٧.

(٤) سورة آل عمران ٦٤.

الأوثان ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(١).

والمبين بالفتح هو البين الجلي فلا يحتاج إلى ما يوضح معناه ، ولا البيان من الخارج ، ويسمى البيان أيضاً ، وذكر من المجمل قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَرْبِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٢).

والقروء جمع قرء ، وأختلف فيه على قولين :

الأول : إرادة الطهر .

الثاني : المقصود الحيض .

والمختار هو الأول .

وقيل من الإجمال في الاسم (العين) فهو يطلق على الآلة الباصرة ، وهو المتبادر وعلى النقد وعلى عين الشمس ، وعلى الجاسوس ، وعلى البئر والماء المتفجر من الأرض ، والأصل أن هذا اللفظ من المشترك اللفظي إلا أن يرد في موضوع وكل يحتمل فيه معنيين أو أكثر ، وقد يكون المشترك معنوياً مثل لفظ إنسان .

وذكر من الإجمال في الحرف الباء التيمم في قوله تعالى ﴿فَامْسَحُوا

بُيُوتِهِمْ وَأَيْدِيَهُمْ مِنْهُ﴾^(٣) ، وأختلف في الحرف (الباء) في الآية هل هو للتبعيض أو لإبتداء الغاية ، والمختار هو الأول .

(١) سورة الزمر ٣.

(٢) سورة البقرة ٢٢٨.

(٣) سورة المائدة ٦.

وتفيد الباء في قوله تعالى ﴿وَأَسْحُوا بُرُؤُسَكُمْ﴾^(١) التبعية ، أي أنها بمعنى حرف الجر (من) ومنه قوله تعالى ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾^(٢) وهناك أقوال أخرى في باء ﴿بُرُؤُسَكُمْ﴾ هي :

الأول : التوكيد .

الثاني : زائدة .

الثالث : الوصل .

مسح الرأس في الوضوء

وفي مسح الرأس في الوضوء في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٣) قال الشافعي بأن القدر المتيقن هو أقل ما يقع عليه اسم المسح ، وقال أبو حنيفة بمسح ربع الرأس بمقدار الناصية فوق الأذنين ولو باصابة مطر أو بلل باق بعد غسل لم يؤخذ من عضو آخر (والمشهور من مذهب الشافعي : وجوب أدنى ما ينطلق عليه اسم المسح ، ومشهور أبي حنيفة والشافعي : أن الأفضل استيعاب الجميع)^(٤).

وذهب مالك إلى الإحتياط فأوجب استيعاب الرأس أو أكثره . وكذا الحنابلة الذين أوجبوا الإستيعاب للرجل أما بالنسبة للمرأة فيجزئها مسح مقدم رأسها ، لأن عائشة كانت تمسح مقدم رأسها ، ويجب عندهم مسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما لأنهما من الرأس .

(١) سورة المائدة ٦.

(٢) سورة الإنسان ٦.

(٣) سورة المائدة ٦.

(٤) تفسير البحر المحيط ٣٧٠/٤.

وعن أبي معقل عن أنس (عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يتوضأ وعليه عمامة قطرية^(١) ، فأدخل يده من تحت العمامة ، فمسح مقدم رأسه ، ولم ينقض^(٢) العمامة)^(٣) .

وعن الإمام الباقر عليه السلام : المسح ببعض الرأس ، لمكان الباء .

ومن المجمل ما بينته السنة النبوية كما في قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤) .

فلم يذكر الحد من اليد الذي يكون في القطع ولا مقدار مبلغ وماهية السرقة التي يكون فيها القطع .

فجاءت السنة بياناً وتفسيراً للآية القرآنية ، وبيان السنة النبوية لحد السرقة من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٥) .

ومن الرحمة حصر هذا القطع ومقدار المبلغ .

(وعن عائشة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً)^(٦) .

والدينار مثقال ذهب عيار ثمانين عشرة حبة ، فإذا كان مائة دينار بالعملة الورقية ، فإن ربع الدينار خمسة وعشرون ديناراً .

(١) القطرية : ضرب من البرود من غليظ القطن كانت تحمل من قطر لها أعلام وفيها حمرة وبعض الخشونة ، وحينما اسلم أهل قطر صنعوا عباءة للنبي محمد صل الله عليه وآله وسلم ، وكانوا مشهورين بنسج الثياب .

(٢) ينقض : يفك ، أي اكفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم برفع العمامة ومسح ما تحتها .

(٣) المستدرك على الصحيحين ١٠٣/٢ .

(٤) سورة المائدة ٣٨ .

(٥) سورة المائدة ٣٨ .

(٦) الدر المنثور ٨٢/٥ .

وقد يكون الإجمال في آية البحث في ذنوب الكفار العامة والخاصة في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾^(١).

لتكون الآية السابقة وآية السياق مما تقدمت به الأيدي فيكون مما قدمت أيدي الذين كفروا والمنافقين وجوه :

الأول : البخل والإمتناع عن دفع الزكاة والحقوق الشرعية .

الثاني : حبس فضل الله عن عباد الله الفقراء .

الثالث : علم الناس جميعاً بقانون الله ميراث السموات والأرض ، وجحود الذين كفروا مع إدراك هذه الحقيقة فإذا كان كل ميراث السموات والأرض لله عز وجل فلماذا يبخل بعض الناس بما وجب عليه من الزكاة والحقوق الشرعية .

ومن الإعجاز في الشريعة الإسلامية أنها لا تأمر الأغنياء بإتفاق أموالهم كلها أو شطر منها ، إنما تكون الزكاة الواجبة مقداراً قليلاً .

فإن قلت ورد قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

والجواب ذكر أن هذه الآية في الصدقات المستحبة وهي مقيدة ببيان مقدار الزكاة في الكتاب والسنة والتبويض في قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)، ونزلت قبل أن تفرض الزكاة .

(١) سورة آل عمران ١٨٢.

(٢) سورة البقرة ٢٧٤.

(٣) سورة التوبة ١٠٣.

عن ابن عباس في الآية قال : كان هذا يعمل به قبل أن تنزل براءة ، فلما نزلت براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها انتهت الصدقات إليها^(١) .
ولفظ (الأموال) مطلق يقيد بمقدار الزكاة .

وذكر أن الآية (نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام عنه كان عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها ، فتصدق بدرهم سرّاً ، ودرهم علانية ، ودرهم ليلاً ، ودرهم نهاراً)^(٢) .

وقد يقع الإجمال في كل من :

الأول : الاسم المفرد .

الثاني : الفعل .

الثالث : الحرف .

الرابع : الإجمال في المركب .

والإجمال في القرآن رحمة ونعمة ومندوحة وتيسير فهو لا يجعل الناس في حيرة بل هو ضياء في فروع متعددة .

لفظ ملاك

ويقراً ملاك بالفتح والكسور وملاك الأمر بالكسر الذي يتقوم به الشئ (والقلب: ملاك الجسد)^(٣) .

ويقال ملاك بالهمز ، وهو لغة في ملك واحد الملائكة ، (فأما الملك فأصله ملاك فأجمعوا على تخفيف الهمزة ولم يلفظوا به على أصله إلا في الشعر فأما قولهم أكنني فأصله عند بعضهم أكنني وإذا كان كذلك فليس

(١) الدر المنثور ٢/٢٣٧ .

(٢) الوجيز للواحد ١/٧٥ .

(٣) العين ١/٤٤٥ .

على لفظ ما تقدم لكنه مقلوب عنه ثم مخفف والألوك - الرسالة كالمألكة^(١).

(فلست لإنسي ولكن لملاك ... تنزل من جو السماء يصبو
واشتقاق ذلك من المألكة، وهي الرسالة، والجمع مآلك. قال الشاعر:
أبلغ النعمان عني مآلكاً ... أنه قد طال حبسي وانتظاري)^(٢).
وملاً الله حبيبك .

(يقال: ملاك الله حبيبك، أي متعك به وأعاشك معه طويلاً. قال
الشاعر:

وقد كنت أرجو أن أملاك حقة ... فحال قضاء الله دون رجائيا)^(٣).
عن ابو عمرو بن مرار الشيباني (شهدنا ملاك فلان. وقد ملك فلان أي
تزوج، يملك)^(٤).

(التواخذه ملاك سفن البحر، أو وكلاؤهم، معربة، الواحدة ناخذة،
اشتقوا منها الفعل، وقالوا تنخذ، كترأس)^(٥).

وتمالك نفسه : أي ملك نفسه ، وحبسها عن الغضب وجوارحه عن
الفعل ذي صبغة التعدي كالشتم باللسان والضرب باليد .
(وليس له ملاك كسحاب أي : لا يتمالك)^(٦).

(١) المخصص ٦٣/٣ .

(٢) جمهرة اللغة ٥٣/٢ .

(٣) المخصص ٦٣/٣ .

(٤) الجيم ٢٣٠/١ .

(٥) القاموس المحيط ٣٤٣/١ .

(٦) تاج العروس ٦٧٩١/١ .

وفي قوله تعالى ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ﴾^{(١)(٢)} ورد عن ابن عباس قال (قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد . ما كظم عبد الله إلا ملأ الله جوفه إيماناً)^(٣).
(مَلَأَ الْقَوْمَ: سيدهم. تقول: لَيْسَ لَهُمْ مَلَأٌ. وَمَلَأَ هَذِهِ الْإِبِلَ جَمَلَ كَذَا وَكَذَا أَيِ هُوَ قَائِدُ لَهَا.)^(٤).

(عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فضل العلم أفضل من العبادة ، و ملاك الدين الورع)^(٥).
(ومن أمثالهم الماء مَلَكُ أمره أي أن الماء مَلَأَ الأشياء يضرب للشيء الذي به كمال الأمر وقال ثعلب يقال ليس لهم مَلِكٌ ولا مَلَكٌ ولا مَلِكٌ إذا لم يكن لهم ماء)^(٦).
(وجمع المالك : مُلَاكٌ)^(٧).

(كَذَاكَ أدبت حتى صار من خلقي . . أني وجدت ملاك الشيمة الأدب)^(٨).

والشيمة : الخلق .

واختلف في ملاك في البيت أعلاه على وجوه :

الأول : فتح الميم .

(١) سورة آل عمران ١٣٤.

(٢) أنظر الجزء **الخامس والتسعين** الذي اختص بتفسير الآية أعلاه .

(٣) الدر المنثور ٢/٤٣٠.

(٤) الجيم ١/٣٣٢.

(٥) لسان العرب ١٠/٤٩١ .

(٦) الدر المنثور ٢/٣٠٩.

(٧) تاج العروس ١/٦٧٩٧ .

(٨) شرح ابن عقيل ٢/٤٩.

الثاني : كسر الميم.

الثالث : جواز فتح الميم وكسرها.

الرابع : التباين بحسب المعنى ، فمرة يلزم الفتح ، وأخرى يكسر وتارة يجوز الجمع بين الاثنين .
والمختار هو الأخير .

قانون لزوم القراءة في الاسلام

ومع تعدد ذكر الكتاب ومعانيه في القرآن ، فقد نزلت أول آية من القرآن بالقراءة كما في قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١) ، لبيان أن الدنيا تتقوم بالقراءة والكتابة والكتاب فلا بد في معرفة آيات الكتاب من قراءتها .

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن أهل زمانه يتصفون بقوة الحافظة وشدة الذاكرة ، وكان أحدهم يحفظ القصيدة الطويلة وعندما نزل القرآن إنجذبوا إليه بالفطرة ، وهذا الحفظ لا يتعارض مع الحاجة إلى القراءة وتدوين الآيات والسور القرآنية ، وما فيه من التوثيق.

وقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فداء لعدد من أسرى بدر وهو تعليم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة ، مما يدل على كثرة المتعلمين من أهل مكة ، خاصة وأنهم كانوا أهل تجارة ، وفيه شاهد على أن القرآن نزل في عصر كتابة وتدوين ، وهو من الشواهد على التحدي في القرآن .

ولم يحصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفداء بالمال وإن كان لا يستلم منه شيئاً إنما يكون للذي قام بتأسير الأسير .

لقد أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيان قانون وهو أن الأولوية للعلم وليس للمال ، ويأتي العلم بالإيمان والجاه والمال ، كما يحتاج المسلمون قراءة القرآن لأنه خطاب سماوي إلى الأجيال المتعاقبة ، قال تعالى ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(١).

و(عن الزهري قال : أخبرني عروة عن عائشة أنها قالت : أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حُبَّ (الله) إليه الخلاء ، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه ، وهو التعبد (في) الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده بمثلها ، حتى فجأه الحق ، وهو في غار حراء .

قال : فجاءه الملك وقال : اقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : ما أنا بقارئ قال : فأخذني .

فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ .

فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق)^(٢) ، حتى بلغ ، ما لم يعلم .

فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : زملوني زملوني ، فزملوه^(٣) حتى ذهب عنه الروع فقال : يا خديجة مالي ، وأخبرها الخبر وقال : قد خشيت علي ، قالت له : كلا أبشر ، فوالله لا يحزنك الله ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ،

(١) سورة المزمل ٢٠.

(٢) سورة العلق ١

(٣) زملوني : أي غطوني ودثروني ، يقال قد تزل أي تدر .

وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي بن قصي ، وهو ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي .

فقال خديجة : أي ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة بن نوفل : يا بن أخي ما ترى ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى .

فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، يا ليتني فيها جذع ، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أومخرجي هم ، فقال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وأوذي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً .

ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتّر الوحي فترة ، حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منها تبدى له جبرائيل عليه السلام .

فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا بمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبرائيل فقال له مثل ذلك^(١) .

وفيه دعوة للإيمان ، وضبط للأفعال ، وتدل الآية أعلاه على أن الإسلام دين العلم والمعرفة وأنه يبعث الناس على التعلم ليكون هذا العلم نوع طريق للتصديق بآيات التنزيل ، ومصاديق الإعجاز فيها .

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) تزيين خلافة الإنسان في الأرض بالعلم والمعرفة .

ومن أبهى مصاديق العلم التنزيل والوحي من عند الله سيرة الأنبياء ،
واقترء الناس بهم ، قال تعالى ﴿فَبَهْدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾^(٢).

جوائز قريش يوم الهجرة

بعد أن علمت قريش بهجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم صباح ليلة
المبيت جعلت الجوائز لمن يأتي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حياً أو ميتاً
، فحالما علمت قريش في الصباح بمغادرته مكة أرسلوا إلى أهل مكة
وحواليها يدعونهم للقبض على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو
قتله.

(قال سراقه بن جعشم: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما مائة ناقة من
الابل لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني
مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا (ونحن جلوس) فقال: يا سراقه إني
قد رأيت أنفاً أسودة بالساحل - وفي لفظ: ركبة ثلاثة - أراها محمداً
وأصحابه.

قال سراقه: فعرفت أنهم هم، فأومأت إليه بعيني أن أسكت، فسكت،
ثم قلت له: إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا يبتغون ضالة
لهم)^(٣).

لقد أراد سراقه التورية عن الآخرين كي يفوز بالجائزة بقتل النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبه وبقي سراقه في مجلسه قليلاً ، كيلا يثير
التساؤل والريب .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الأنعام ٩٠.

(٣) سبل الرشاد ٢٤٨/٣.

ثم نهض فدخل بيته وأمر الجارية أن تهيئ فرسه وتخرج فرسه إلى خلف أكمة وشجيرات خلف البيت وتمسكها ريشما يحضر.

ثم خرج من ظهر البيت ، والجهة الخلفية له ، وحرص على أن لا يرفع رمحاً حتى لا يراه أحد ، فجعل زجه يخط^(١) في الأرض وأمال طرفه الأعلى إلى أن وصل إلى فرسه وراء الأكمة لا يراها قومه وأصحابه وأفراد من قومه بني مدلج الذين كان يجلس معهم قريباً من بيته .

فركب فرسه ولم يأخذ أحداً معه لشجاعته وطمعاً بجائزة الجائزة بمفرده ، ثم أسرع على جواده في الجهة التي ذكرت له بأن الثلاثة انطلقوا يسرون فيها .

وهل يستطيع إدراكهم أم أن الفارق الزمني بينهم كثير، الجواب هو الأول ، لأنهم يسرون على النوق التي تبلغ سرعتها نحو سبعة إلى عشرة كيلو متر في الساعة ، خاصة وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن في حال خوف ووجل من المشركين ، وبخصوص طريق الهجرة نزل قوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا لِلَّهِ مَعًا﴾^(٢) .

أما فرس سراقه فقد تقطع خمسين كيلو متراً في الساعة خاصة وأنه في أرض صحراء جرداء منبسطة وكانوا يقتنون الجياد الأصيلة التي تتواصل مع الفارس لمراحل عديدة من غير تعب أو ظهور إجهاد عليها . وتتصف الخيول العربية بأنها أسرع من غيرها في المسافات الطويلة فأخذ سراقه بحث فرسه على العدو السريع حتى رأى من بعيد سد فهم وسوادهم^(٣) .

(١) الزج : الحديدية التي في أسفل الرمح ، كما يسمى طرف المرفق : الزج .

(٢) سورة التوبة ٤٠ .

(٣) السدف : سواد الشخص تراه من بعيد والسدف : ظلمة الليل (والسُدفة: الباب، وأنشد لامرأة من قيس تهجو زوجها: لا يرتدي مرادي الحرير ولا

ففرح سراقة واستعد للقبض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه أو قتالهم ، حتى إذا دنا منهم عثرت فرسه ، فخر منها إلى الأرض ، وكادت أضلاعه تتكسر .

فاستحضر في الحال قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه رسول من عند الله ، والمعجزات التي جرت على يديه ، ونجاته من القتل بعد أن عزم كبار رجال قريش على قتله في فراشه ، فلا بد أن النبي علم بأنهم يريدون قتله في ذات الليلة فخرج مهاجراً ويحتمل هذا العلم أحد طرق :

الأول : إخبار رجال قريش النبي محمداً عن نيتهم قتله .

الثاني : إفشاء بعضهم خطة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : لقد كان عدد من أبناء رؤساء قريش مسلمين ، يخفون إسلامهم فعلموا بالمكيذة .

الرابع : علم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي أن القوم يريدون قتله .

والصحيح هو الأخير ، إذ نزل جبرئيل فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عزمهم على قتله ، وأمره بالهجرة إلى المدينة ، وفي نصرة موسى عليه السلام ورد قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^(١) .

(عن السدي قال : ذهب القبطي فافشى عليه : أن موسى هو الذي قتل الرجل فطلبه فرعون وقال : خذوه فإنه الذي قتل صاحبنا وقال الذين يطلبونه : اطلبوه في ثنيات الطريق ، فإن موسى غلام لا يهتدي للطريق .

يُرَى بِسُدَّةِ الْأَمِيرِ الْعَيْنِ ٥٨/٢ .

(١) سورة القصص ٢٠ .

وأخذ موسى عليه السلام في ثنيات الطريق ، وقد جاءه الرجل فأخبره
 { إن الملائكة يأتون بك ليقتلوك فاخرج . . . } ، فخرج منها خائفاً يترقب ()
 قال رب نجني من القوم الظالمين { (١) .

فلما أخذ في ثنيات الطريق جاءه ملك على فرس بيده عنزة ، فلما رآه
 موسى عليه السلام سجد له من الفرق . فقال : لا تسجد لي ، ولكن
 اتبعني ، فتبعه وهداه نحو مدين .

فانطلق الملك حتى انتهى به إلى المدين ، فلما أتى الشيخ ، وقص عليه
 القصص { قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين } (٢) فأمر احدى ابنتيه أن
 تأتية بعصا .

وكانت تلك العصا عصا استودعه إياها ملك في صورة رجل فدفعها
 إليه ، فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها ، فلما رآها الشيخ قال لابنته
 : اتئيه بغيرها .

فألقته وأخذت تريد غيرها ، فلا يقع في يدها إلهي ، وجعل يرددها
 وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها ، فلما رأى ذلك عهد إليه فأخرجها معه
 فرعى بها .

ثم إن الشيخ ندم وقال : كانت وديعة فخرج يتلقى موسى عليه السلام
 فلما رآه قال : أعطني العصا . فقال موسى عليه السلام : هي عصاي ! فأبى
 أن يعطيه ، فاختمها ، فرضيا أن يجعل بينهما أول رجل يلقيهما .

فاتاهما ملك يمشي ، فقضى بينهما فقال : ضعوها في الأرض فمن
 حملها فهي له . فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذها موسى عليه السلام
 بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعى له عشر سنين . (٣)

(١) سورة القصص ٢١ .

(٢) سورة القصص ٢٥ .

(٣) سورة القصص ٢٠ .

لقد خرج موسى عليه السلام هارباً من فرعون مهاجراً فأنجاه الله ، وجعله يصل إلى النبي شعيب ويزوجه إحدى ابنتيه ، وقد أنعم الله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمره بالهجرة ليأوى إلى صحابة أنصار وبلدة يشرع فيها حكم الإسلام من حيث دخوله إليها ببناء المساجد وإقامة الصلاة ، وتوالي نزول آيات القرآن .

ومن خصائص الرسل الخمسة أولي العزم إرادة قومهم قتلهم والنجاة من القتل ، وهم :

الأول : نوح عليه السلام .

الثاني : الرسول إبراهيم عليه السلام .

الثالث : الرسول موسى عليه السلام .

الرابع : الرسول عيسى عليه السلام .

الخامس : الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان سراقه وغيره يعلمون أن قريشاً تحيم المكر والكيد ، خاصة وأنه ليس من فترة بين إتفاقهم على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في النهار وبين إرادة الشروع بالتنفيذ في ذات الليلة ، لذا سمى الله عز وجل تدبيرهم وتنجزه مكرأ ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (١) .

لقد بقي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أكثر سني نبوته في مكة يدعو الناس للإسلام ، ويخبر عن الآيات التي نزلت عليه ، ويطوف على وفود القبائل في الحج يدعوهم إلى الإسلام .

ومن الإعجاز في هذا البقاء سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة من القتل ، وخشية كفار قريش سخط الناس عليهم إن

اعتدوا عليه بالنهار، ولأن توالي نزول آيات القرآن يشغلهم عن إيذائه والإضرار به.

وبعد أن خرّ سراقاً من فرسه وكاد يهلك قام ، وعنه (فأهويت يدي إلى كنانتي^(١)) فاستخرجت منها الازلام، فاستقسمت بها أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره.

فركبت فرسى وعصيت الازلام.

فجعل فرسي يقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين.

فخررت عنها فأهويت، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها. فلما استوت قائمة إذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت الازلام فخرج الذي أكره^(٢).

والكنانة جعبة صغيرة من الجلد ونحوه توضع فيها السهام والنبال^(٣).

(١) لا موضوعية للأزلام ولا تطاع ولا تعصى.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢/٢٤٧.

(٣) وأطلق على مصر اسم أرض الكنانة قيل لأن الله حفظها في قلب أو لأن أرضها صحراوية قاحلة يتعذر على الغزاة قطعها إلا بمشقة ، وكلمة كنانة مشتقة من لفظ المكنون والمحفوظ والمحصن ، وفي التنزيل ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿ الواقعة ٧٧-٧٨.

وفي القاهرة قال ابن الوردي (وهي مدينة عظيمة أجمع المسافرون غرباً وشرقاً وبراً وبحراً على أنه لم يكن في المعمورة أحسن منها منظراً ولا أكثر ناساً ولا أصح هواء ولا أعذب ماء ولا أوسع فناء، وإليها يجلب من أقطار الأرض وسائر الأقاليم من كل شيء غريب، ونساؤها في غاية الحسن والظرف، وملكها عظيم ذوهية وصيت كثير الجيوش حسن الرأي لا يماثله ملك في زيه وترتيبه، تعظمه ملوك الأرض وتحشى بأسه وترغب في مودته وترضاه وهو سلطان

وكان أهل الجاهلية يلجأون إلى الإستقسام بالأزلام ، وهي سهام صغيرة توضع في كنانة أو جعبة صغيرة ويلجأون إليها عند الحيرة ، وكل سهم مكتوب عليه أمر وغالباً ما تكون ثلاثة :

الأول : إفعل .

الثاني : لا تفعل .

الثالث : غفل متروك ليس عليه كتابة .

فاذا خرج عندما يسحب بيده قدح فعل قام بالفعل أو السفر ونحوه ، وأما إذا خرج قدح النهي عن الفعل امتنع ، وان سحب بيده الفارغ أعاد الإستقسام أو أرجأه ، ومعنى الإستقسام أي يطلب القسم والفعل من الألزام .

وهو من استقراء الغيب ومن الطيرة التي لا أصل لها ، وقد حرم الإسلام الإستقسام بالازلام .

وهي جمع زلم وقد حرمه الله عز وجل ، وقد ورد ذكر الإزلام مرتين في القرآن كما في قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ

الحرمين الزاهرين والحاكم على البحرين الزاخرين؛ وهي مدينة يعبر عنها بالدنيا، وناهيك من إقليم يحكم سلطانه على مواطن العبادة في الأرض المشرفة والمدينة الشريفة وبيت المقدس؛ ومواطن الأنبياء ومستقر الأولياء وأهل هذه المدينة في غاية الرفاهية والعيشة الهنية والهيئة البهية، وقد ورد في الخبر: مصر كنانة الله ما رماها أحد بسوء إلا أخرج من كنانته سهماً فرماه به وأهلكه) خريدة العجائب وفريدة الغرائب/سراج الدين ابن الوردي ت ٨٥٢ هجرية وهو غير القاضي عمر بن الوردي البكري .

والمختار أن من معاني تسمية أرض الكنانة أن الإيمان محفوظ فيها ، فهي كنانة ووعاء **لحفظه** يتعاهد أهلها الإيمان إلى يوم القيامة .

وَأَنْ تَسْتَغْفِرُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقُ الْيَوْمِ بَئِيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ
وَإِخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا
فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ وقال تعالى
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢﴾.

وهناك فرق بين القرعة والخيرة من جهة ، وبين الإستسقام بالأزلام .
لأن القرعة نوع طريق لتمييز الحقوق بعد العجز عن الدليل الواقعي
والظاهري ، فهي أمانة على كشف حكم قطعاً للخصومة ، ومنعاً للنزاع .
وجاء العلم الحديث ومسألة التحليل والمختبر ونحوه ليغني عن القرعة
في مسائل عديدة منها ثبوت النسب عند الخصومة في مولود مثلاً .
أما الأزلام فهي نوع قرعة يطلب فيها علم الغيب وقراءة المستقبل من
منزل الوثنية والجهالة وعبادة الأوثان ، وقد حرمها الله عز وجل .
أما الخيرة فهي استخارة ولجوء إلى الله ، وقد تكون من مصاديق
الدعاء ويقترن بها الدعاء ، وهي عند الخيرة من غير أن تتعارض مع
تسخير العقل والحواس ، والإستخارة نوع رجاء لفضل الله ، ومحو ودفع
الضرر المحتمل ، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣﴾ .

وهناك صلاة تسمى صلاة الإستخارة وعن محمد بن المنكدر عن جابر
قال (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة ، في

(١) سورة المائدة ٧.

(٢) سورة المائدة ٩٠.

(٣) سورة النور ١٩.

الامر كما يعلمنا السورة من القرآن يقول لنا إذا همّ أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول :

اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تعلم ولا اعلم وتقدر ولا اقدر وانت علام الغيوب اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر يسميه ويعينه الذي يريد خيراً لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة امري فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه .

اللهم وان كنت تعلمه شراً لي مثل الاول فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به أو قال في عاجل أمري وآجله^(١) وهل يصح التفاوض بالقرآن المختار نعم مع كبرى كلية وهي ﴿يَسْأَلُكَ اللَّهُ مَا

يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢) مع لزوم الصدقة والإستغفار .

إلى جانب الاستشارة كما ورد الخطاب في القرآن إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٣).

وبعد أن رأى سراقعة المعجزة أخرج الأزام واستقسم على أمور :
الأول : أضر النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه وأرميهم بالسهام .

الثاني : أتركهم وشأنهم يسيرون نحو المدينة .

الثالث : سهم الغفل الذين ليس فيه كتابة .

فخرج له السهم الثاني أعلاه ، ولكنه لم يتعظ ولم يعتبر طمعاً بالجائزة التي جعلتها قریش لمن يأتي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وصاحبه أو

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٥٢/٣.

(٢) سورة الرعد ٣٩.

(٣) سورة آل عمران ١٥٩.

يقتلها خاصة وأنه أدرك أنهم لا يملكون نبألاً وسهاماً ، وبإمكانه رميهم عن بعد قبل الوصول إليهم .

ومن التخفيف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسباب حفظه أن الذي يخير بين أسره وقتله يفضل القيام بأسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعصى الله عز وجل من الأسر والقتل .

(عن ابن عباس في قوله { وإذ يكرركم الذين كفروا ليثبتوك } قال : تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق - يريدون النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : بل أخرجوه .

فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك ، فبات علي عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحق بالغار .

وبات المشركون يحرسون علياً عليه السلام يحسبونه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوه علياً عليه السلام رد الله مكرهم .

فقالوا : أين صاحبك هذا؟ قال : لا أدري . . . ! .

فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا : لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال .^(١)

نعم قال سراقه فيما بعد (وكننت أرجو أن أردّه فأخذ المائة ناقة، فركبت فرسي وعصيت الازلام فرفعتها تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات)^(٢).

(١) الدر المنثور ٤/٤٤١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٣/٢٤٨.

إذ كان سراقه على الكفر ، وإذا امتنع النبي وصاحبه عن الرجوع مع سراقه فماذا يفعل هل يتركهم ، خاصة وأنهم ثلاثة وهو شخص واحد .
لقد لجأ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى القرآن وأخذ يتلو آياته في ساعة شدة وخرج ، ومع أنه لا يلتفت وصوته يتوجه إلى الأمام فقد سمعه سراقه وهو خلفهم مما يدل على أنه ليس بعيداً عنهم ، وأن سهامه لا تخطوهم .

ففضل الله عز وجل بأن ساخت يدا فرسه مرة أخرى في الأرض ، وأكثر وأعظم من المرة الأولى بأن غاصت ركبتي الفرس وهو إنذار له ، فنزل عنها قهراً ، ولم تكن مسرعة ساعته فزجرها ، ونهضت وبعد عناء استوت قائمة (إذا لاثريديها عثان^(١) ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسم بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان فوقفوا)^(٢).

لقد أدرك سراقه أن الأمر خارق للعادة وأن المعجزة جلية في المقام ، وعلم أن الله عز وجل يظهر أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
وهل هذا الإدراك حصل عنده ابتداء من هذه الواقعة أم لآيات القرآن ونزولها موضوعية في المقام ، الجواب هو الثاني ، وهو من أسرار إجهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في إظهار نبوته ، ودلالات معجزته بين أهل مكة والوافدين إليها في موسم الحج وطيلة أيام السنة .

(عن أنس قال لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر التفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال يا نبي الله هذا فارس قد لحق بنا . فقال اللهم اصصره فصرع عن فرسه .

فقال يا نبي الله مرني بما شئت .

قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا .

(١) العثان – بضم العين : الدخان والغبار .

(٢) عيون الأثر ١/٢٤٤ .

فكان أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 وآخر النهار مسلحة له وفي ذلك يقول سراقة مخاطبا لأبي جهل
 أبا حكم والله لو كنت شاهدا
 لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
 علمت ولم تشكك بأن محمدا
 رسول ببرهان فمن ذا يقاومه^(١).

ترى لماذا جعلت قريش مائة ناقة لمن يأتي بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حياً أو ميتاً ، الجواب من جهات :
الأولى : إصرار قريش على البقاء على الوثنية وعبادة الأصنام .
الثانية : إدراك قريش لقبول الناس لدعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام .
الثالثة : خشية قريش من فقد زعامتها وعظيم شأنها بين القبائل العربية.

الرابعة : خوف قريش على تجارتها بين مكة والشام ، خاصة وأن
 أذاهم اشتد على كل من :
أولاً : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
ثانياً : التنزيل إذ قالوا ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(٢).
 وقد أخبر الله عن نعتهم القرآن بأنه سحر ونزل الإخبار بصيغة الإنذار
 والوعيد في ذم المشرك الذي قال ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ* إِنْ هَذَا إِلَّا
 قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(٣) .

(١) الخصائص الكبرى ٣١٨/١.

(٢) سورة المدثر ٢٥.

(٣) سورة المدثر ٢٤-٢٥.

وقد ورد ذات القول من الرؤساء من الكافرين كما في فرعون وحربه على موسى وإنكاره لرسالته ، وفي التنزيل ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَٰمَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ ^(١) .

ثالثاً : إيذاء قريش لأهل البيت مع انهم طائفة وعشيرة منهم ، إذ ضربوا عليهم الحصار في شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات . ولم ينحصر أذاهم بهذا الحصار ، إنما سبقه وتأخر عليه أذى قريش لهم .

رابعاً : قيام قريش بتعذيب عدد من الصحابة ، وقد مات بعضهم تحت التعذيب ، منهم سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر ، ليكون هذا الموت تحت التعذيب من مصاديق قوله تعالى ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ ^(٢) إلى جانب رواية الصحابة بعد الهجرة لما كانوا يلاقونه من قريش كما في بلال وخباب والمقداد وسعد بن أبي وقاص ممن ليس لهم منعة من قومهم تدفع أذى قريش .

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن كل جيل من المسلمين يعلم بقول بلال بن رباح (أحد أحد) عندما يشتد تعذيب أمية بن خلف له .

(وَكَانَ بَلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ ، لِبَعْضِ بَنِي جُمَحٍ مُوَلَّدًا مِنْ مُوَلَدِيهِمْ وَهُوَ بَلَالُ بْنُ رِبَاحٍ ، وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ حَمَامَةَ وَكَانَ صَادِقَ الْإِسْلَامِ طَاهِرَ الْقَلْبِ وَكَانَ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ بْنُ وَهَبٍ بْنُ حَذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ يُخْرِجُهُ إِذَا مَكَّةَ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فُتُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ (لَا وَاللَّهِ) لَا تَزَالُ

(١) سورة غافر ٣٦-٣٧ .

(٢) سورة الأنعام ١٤٩ .

هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، فَيَقُولُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ أَحَدٌ أَحَدٌ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ بِهِ وَهُوَ يُعَذِّبُ بِذَلِكَ وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ ؛ فَيَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ وَاللَّهِ يَا بَلَاءُ ثُمَّ يَقْبَلُ عَلَى أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، وَمَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِهِ مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَيَقُولُ أَحْلَفَ بِاللَّهِ لَنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا^(١) .

أَي لَأَتَمْسَحَنَّ بِقَبْرِهِ وَأَتَّخِذَهُ سَبِيًّا لِلْإِسْتِشْفَاءِ .

خامساً : محاربة المسلمين في أرزاقهم ، والتضييق عليهم في الكسب ، فما لحق خديجة من نفاذ ماله لم يكن بسبب الحصار وحده ، إنما كان أيضاً من تضييق قريش على تجارتها وكسبها .

سادساً : إستيلاء قريش على أموال ودور الصحابة الذين هاجروا ، وقام أبو سفيان بالتصرف ببعضها ، وباع عقيل عدداً من بيوت بني هاشم . (عن أسامة بن زيد ، أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله أين تنزل غدا ؟ فقال : " وهل ترك لنا عقيل من رباع)^(٢) .

سابعاً : صدّ قريش الناس عن دخول الإسلام وإدراكهم ولإنحسار هذا الحصار بهجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة .

فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطوف على وفود الحاج في منى يدعوهم إلى الإسلام ، وقريش تجعل الرجال على مداخلها تحذرهم من الإنصات له ، وتنعت القرآن بأنه سحر .

ويقوم أبو لهب بالمشي خلف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول للناس إنه مجنون ، ولكن الناس لا يسمعون منه إلا كلمة التوحيد (لا إله إلا الله تفلحوا) ويتلو القرآن إذ يقوم أفراد القبائل بنقلها إلى

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٧/١ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٥٦١/٣ .

ديارهم ليكون هذا النقل تحفه ومنحة يرجعون بها إلى ديارهم وأهليهم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(١).

ومن معاني لفظ العموم الإستغراقي ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الآية أعلاه قيام وفود الحج والذين يأتون إلى مكة بنقل آيات القرآن وإن كانوا كافرين ، ومن معاني البركة الواردة في الآية أعلاه بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ، وتلاوته آيات القرآن فيها ، وقيام الناس بنقلها إلى الأمصار والقرى. ثامناً : لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتوعد بعض رجال قريش عندما يشتد إيذاؤهم له ولأصحابه ، ويتقوم هذا الوعيد بالتخويف من الله عز وجل وبطشه ، ومن نصرته للمؤمنين ، وهذه النصرة من الأمور التي تتسالم عليها الأجيال ، وفي التنزيل ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢).

وفي قوله تعالى ﴿الْأَمْسَ أُكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٣) (قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في عمار وذلك ، أن المشركين أخذوه وأباه ياسر وأمه سمية وصهيياً وبلالاً وخباباً وسالماً فعذبوهم ،

فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجيء قلبها بحربة ، وقيل : لما أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر ،

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) سورة سبأ ٢٤.

(٣) سورة النحل ١٠٦.

وهما أول قتيلين في الاسلام رحمة الله ورضوانه عليهما،
وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً^(١).
لقد أدرك سراقه المعجزة الحسية في طريق الهجرة وأنه محبوس عن
النبي ولا يستطيع الوصول إليه فنادى ليسمع النبي صلى الله عليه وآله
وسلم: إن قومك قد جعلوا فيك الدية .
ثم اقترب منهم وأخبرهم حال الناس وما يريدون من قتلهم وعرض
عليهم الزاد والمتاع ، وذكر لهم إبله في طريقهم ، فلم يسألاه إنما قال له
(أخف عنا)^(٢).
ليبان مسألة وهي أن الحذر والحيلة لا يتعارضان مع المعجزة الحسية أو
العقلية ، فأكثر النبي من توصيته بعدم الإخبار عنه وستر أمره ، ليكون هذا
الستر من رشحات ذات المعجزة .
حينئذ سأل سراقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتب له كتاباً
(فأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عامر بن فهيرة فكتب له رقعة
بن آدم)^(٣).
وقد (روى محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبدالرحمن بن مالك
بن جعشم، عن أبيه، عن عمه سراقه فذكر هذه القصة، إلا أنه ذكر أنه
استقسم بالأزلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره: لا
يضره، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات، وكل ذلك يستقسم بالأزلام
ويخرج الذي يكره: لا يضره.
حتى ناداهم بالامان.

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٤٣١/٧.

(٢) الدر المنثور ٨١/٥ أي أحجب موضعنا عن الناس .

(٣) أنظر ابن كثير / السيرة النبوية ٢٤٨/٢.

وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمانة ما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال سراقه : فكتب لي كتابا في عظم ، أو رقعة أو خرقة ، وذكر أنه جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة مرجعه من الطائف ، فقال له " يوم وفاء وبر ، ادنه " فدنوت منه وأسلمت. ^(١).

وأسلم سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي بعد غزوة حنين وحسن اسلامه ، وتوفي سنة أربع وعشرين للهجرة ، وفي طلب سراقه في كتاب الأمان مسائل :

الأولى : يصاحب القلم والقرطاس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى في طريق الهجرة ، مع أنه خرج من مكة خائفاً وعلى عجل .
الثانية : وجود مصاحب للنبي يقرأ ويكتب .

الثالثة : لم يمتنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من إعطاء سراقه كتاب الأمان ، ولم يشترط عليه الإسلام أو يجعل قيداً في كتاب الأمان ، بل جاء مطلقاً من غير تقييد ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ^(٢) فجعل سراقه الكتاب في كنانته مع السهام ولم يحدث بالأمر ، وهذا اللقاء أحداً ^(٣).

الرابعة : لقد قال سراقه للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : أكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك ، مما استلزم وقوف النبي وحضور سراقه بين يديه ، وهو معجزة حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فبينما كان سراقه يلاحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقتله صار بطرفة عين ينادي : أنا سراقه بن جعشم أنظروني أكلمكم .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣٤٨/٢.

(٢) سورة ن ٤.

(٣) أنظر الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الواقدي رسول الله ص ٢٦٨/١.

فقالوا له : وما تبتغي منا ، خاطب سراقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً أنه يريد كتاب أمن ، ليكون هذا الطلب من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

ليكون هذا الكتاب أعظم من مائة ناقة التي جعلتها قريش لمن يأتي بالنبي ، فقد حفظت السنة النبوية هذا العمل لسراقه ووثق التأريخ هذه الواقعة .

الخامسة : لم ينصرف ذهن سراقه إلى السحر واحتمال أن يدي فرسه غاصت بالرمل من السحر ، ليكون من مصاديق المعجزة الحسية تسليم الفرد أو الجماعة الذين تتوجه إليهم بصدقها وأنها من علامات النبوة ، لتضاف هذه المعجزة الحسية إلى معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الغيرية .

وقد خصصنا في تفسير كل آية من القرآن بابين :

الأول : إعجاز الآية الذاتي .

الثاني : إعجاز الآية الغيري .

ويمكن تقسيم معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى

قسمين :

الأول : المعجزات العقلية وتنقسم إلى شعبتين :

الأولى : المعجزات العقلية الغيرية .

الثاني : المعجزات الحسية ، وتنقسم إلى شعبتين :

الأولى : المعجزات الحسية الذاتية .

الثانية : المعجزات الحسية الغيرية .

وغوص يدي فرس سراقه في الأرض من الشعبة الثانية من القسم الثاني أعلاه .

ولا يضر في المعجزة ونفعها العام استكبار رؤساء الضلالة وما يثونه من الشبهات الواهية ، كما في قصة عصا موسى عليه السلام وإقرار السحرة بأنها معجزة ، وإعلانهم الإسلام بينما أنكرها فرعون ، وقام بقتل السحرة ، وفي التنزيل ﴿ قَالَ آمَنُ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا تَصْلَبْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَتَعْلَمْنَ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ فَاغْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

(عن ابن عباس ، قال : " كَانَتْ السَّحَرَةُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَصْبَحُوا سَحَرَةً ، وَأَمْسُوا شُهَدَاءَ " . قَوْلُهُ تَعَالَى : " لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ") (٢) (٣) .

لذا نعت أبو جهل بأنه فرعون هذه الأمة لإصراره على الإفتاء ثم القتال يوم بدر ، لتصبح الأجيال المتعاقبة مستغربة لجحود هؤلاء الرؤساء وإنكارهم للمعجزات مع أن الإيمان بها وسيلة مباركة لبقائهم في منازلهم وسلطانهم .

فلو أسلم فرعون وصدق بما جاء به موسى ل بقي في ملكه وحافظ على عرشه ، ولما هلك هو وجنوده في البحر الأحمر عند إصراره على تعقب موسى وبني إسرائيل .

(١) سورة طه ٧١-٧٢ .

(٢) سورة طه ٧١ .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٨/٩ .

السادسة : لقد أعطى سراقة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعداً بأنه يعمي على من خلفه إذ كان يقول للذين يسعون في تتبع أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد عرفتم بصري بالطريق والأثر وقد استبرأت لكم ، ولم أجد شيئاً ويرجع الطلب الذين يلاقونه .
ليذهبوا في طريق آخر حول مكة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي أنه مع إعطائه كتاب الأمان دعا الله له ، لتدركه الرحمة ويسلم فيما بعد .

السابعة : قدم سراقة عرضاً فقال هذه كنائتي فخذ منها سهماً علامة لرعاة إبله وغنمه في الطريق ليأخذ منها حاجته .
(فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا حاجة لي في إبلك ودعا له فانطلق راجعاً إلى أصحابه) ^(١).

ليان قانون وهو ان الله عز وجل الذي انقذهم من سراقة في طريق الهجرة هو معهم طول الطريق ، وهو من مصاديق ما ورد في حديث الغار وإظهار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توكله على الله ، ووثاقته بحضور فضله ، قال تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَظُنُّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ^(٢) .

واستمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسير نحو المدينة ، وانطلق سراقة راجعاً إلى مكة ، ورآى بعضاً من أهلها خرج لإقتفاء أثر النبي صلى

(١) الإكتفاء بما تضمنته من مغازي الواقدي ٢٦٧/١ .

(٢) سورة التوبة ٤٠ .

الله عليه وآله وسلم طمعاً بجائزة قریش فأخذ يردهم ويقول لهم (قد كفيتم ما هنا) ^(١).

أي أنني قطعت مسافات طويلة في هذا الاتجاه وطريق المدينة فلم أجد أحداً ، فلا تتبعوا أنفسكم ، فيرجعون معه ، خاصة وأنهم يثقون به فهو فارس شجاع وكان على ملتهم .

قانون الموعظة في اسم القيامة في القرآن

من إعجاز القرآن تعدد أسماء يوم القيامة الذي يجمع الله عز وجل فيه الناس للحساب والجزاء إذ تنقطع الحياة الدنيا ويبدأ عالم النشور والحساب والحكم والجزاء للناس جميعاً ، وفي التنزيل ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ ^(٢).

وتتعدد أسماء يوم القيامة والموضوع متحد ، ولكن لكل اسم دلالاته ومنافعه ويصح القول بتعدد أسماء الآخرة ، وهكذا ، وكل اسم من هذه الأسماء له معانيه ، ودلالاته ، وما فيها من المنافع في إصلاح الناس لسبيل الهداية .

لقد أمر الله عز وجل المؤمنين في الملل المتعاقبة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعل عندهم مقدمات وأدوات هذا الأمر والنهي ، وقبض لهم أسباب الفلاح فيهما مجتمعين ومتفرقين بفتح القاف ، قال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤَقِّمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ^(٣).

(١) صحيح مسلم ٢٣٠٨/٤.

(٢) سورة الأنعام ٦٢.

(٣) سورة التوبة ٧١.

ولم يأت الخطاب بالأمر بالمعروف في القرآن بصيغة الخطاب العام للمسلمين فليس في القرآن (أَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) نعم ورد في لقمان ووصيته لابنه في التنزيل ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١) .

ويحتمل التذكير بيوم القيامة وأحواله وجوهاً :

الأول : إنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الثاني : إنه من مقدمات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الثالث : ليس من إتحاد موضوعي بين التذكير بيوم القيامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرابع : إنه من رشحات ونتائج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الثاني : إنه من مقدمات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الثالث : ليس من إتحاد موضوعي بين التذكير بيوم القيامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرابع : إنه من رشحات ونتائج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وباستثناء الوجه الثالث أعلاه فإن الوجوه الأخرى شاملة للمقام .

ومن الإعجاز اللفظي في المقام أنه لم يرد لفظ القيامة في القرآن إلا ويلزمه لفظ يوم ، وهو من أسباب إختيارنا لعنوان هذا القانون ، ولم نسمه (أسماء اليوم الآخر) أو الآخرة .

ومن أسماء يوم القيامة :

الأول : يوم القيامة : لقد ورد لفظ (يوم القيامة) سبعين مرة في القرآن

، وكل اسم له دلالاته من جهات :

الأولى : لحاظ نظم الآية التي جاء بها .

الثانية : موضوع الآية .

الثالثة : سياق الآيات المجاورة .

الرابعة : استقراء الغايات من ذكر يوم القيامة في الآية .

الخامسة : الأحكام التي تترشح عن ذكر يوم القيامة في ذات الآية .

والقيامة مصدر قام يقوم قياماً ، وصيغة وتاء التأنيث فيه للمبالغة وسمي اليوم الآخر يوم القيامة لجهات :

الأولى : قيام الناس لله عز وجل وعرضهم قائمين من شدة الفزع ، قال تعالى ﴿الْأَيُّظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) .

الثانية : وقوف الناس بين يدي الله لعظمة سلطانه والرهبة والجلال والآيات القدسية العظيمة ، قال تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢) .

الثالثة : ما يقع في اليوم الآخر من الأمور العظيمة ، وشدة الأهوال .

الرابعة : قيام الملائكة والخلائق يومئذ ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٣) .

الخامسة : ليس للخلائق ملك أو شغل عن القيام لحكم الله ، وفي التنزيل ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤) .

(١) سورة المطففين ٤-٦ .

(٢) سورة ق ٢٢ .

(٣) سورة النبأ ٣٨ .

(٤) سورة غافر ١٦ .

السادسة: في الآخرة يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين للشهادة على الناس والأمم والطوائف والأفراد ، قال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١) ، وهل يحتاجون إلى إعادة إحصاء أعمال الناس أو مراجعتها وتدقيقها ، الجواب لا ، لعصمته من الخطأ ، وهو من مصاديق خاتمة آية البحث ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ بَظْلًا لِلْعَبِيدِ﴾^(٢).

السابعة: في تسمية يوم القيامة ومعناه حذف من وجوه عديدة منها يوم القيامة لقيام الناس وقوفاً على أقدامهم خوفاً ورهباً .

الثامنة: يوم يقوم جبرئيل مرعوباً خائفاً (عن ابن عباس قال : إن جبريل يوم القيامة القائم بين يدي الجبار ترعد فرائضه فرقا من عذاب الله يقول : سبحانك لا إله إلا أنت ، ما عبدناك حق عبادتك إن ما بين منكبيه كما بين المشرق إلى المغرب ، أما سمعت قول الله : { يوم يقوم الروح والملائكة صفاً }^(٣) .)^(٤).

التاسعة: يوم يتحقق البعث ويثبت الحساب كما في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(٥).

ويقال قامت الحرب على ساقها إذ نشبت واشتدت أعاذ الله الناس منها ، خاصة في هذا الزمان ، وتطور الأسلحة الفتاكة التي يتغش الفرع القلوب بذكرها والتسابق فيها بين الدول .

(١) سورة غافر ٥١.

(٢) سورة آل عمران ١٨٢.

(٣) سورة النبأ ٣٨.

(٤) سورة الدر المنثور ١٠/١٨٧.

(٥) سورة ابراهيم ٤١.

العاشرة : يوم يقوم الناس لاستلام صحائفهم ، إذ هم في وجل وخوف ورعب ، وكل واحد يخشى أن يتلقى صحيفته في شماله ، ويرجو أن يقبضه في يمينه ، قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مَا أقرءُوا كِتَابِي * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِي * وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِي * يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴾ ^(١) .

الحادية عشرة : يوم يقوم الناس من قبورهم بعد اللبث الطويل في عالم البرزخ (عن ابن عمر قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية { يوم يقوم الناس لرب العالمين } ^(٢) قال : كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم) ^(٣) .

الثانية عشرة : طول الإقامة في موطن يوم القيامة وقبل الحساب (عن ابن مسعود إذا حشر الناس قاموا أربعين عاماً) ^(٤) .

الثالثة عشرة : قيام وإقامة الناس رجاء الشفاعة وإدراك الحاجة إليها ، واللهفة للفوز بها ، قال تعالى ﴿ وَكَمْ مِنْ مُلْكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يُأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ ^(٥) .

(١) سورة الحاقة ١٩-٢٨ .

(٢) سورة المطففين ٦ .

(٣) الدر المنثور ١٠/٢١٤ .

(٤) الدر المنثور ١٠/٢١٤ .

(٥) سورة الملك ٢٦ .

الرابعة عشرة : من خصائص الإنسان في الدنيا أنه يقوم ويقعد وينام ويستيقظ ، وجعل الله عز وجل الليل للراحة من عناء النهار ، وللتدبر في الخلق والإستغفار ، ومراجعة الإنسان لقوله وعمله في النهار ، قال سبحانه ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾^(١).

وليس في آية البحث ذكر اسم (يوم القيامة) ولكنها تدل عليه من وجوه :

الأول : ابتداء الآية باسم الإشارة للبعيد .
الثاني : استحضار أفعال العباد جميعاً ، وليس من يوم تحضر فيه الأعمال كلها مع أصحابها إلى في يوم القيامة .

الثالث : تنجز التخويف والوعيد الذي ورد في القرآن والكتب السماوية ، وجاء على السنة الأنبياء ، فمن خصائص الحياة الدنيا أنها تذكير بالآخرة وتخويف بأهوال يوم القيامة ، ووعد كريم للمؤمنين بالجزاء الحسن بل جاء الوعد والوعيد لآدم وحواء قبل هبوطهما إلى الأرض .
وهل يمكن القول أن المراد من قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾^(٢) المعنى الغالب لهيئة الناس من القيام ، وأنهم يجلسون وينامون في موطن العرض بانتظار الحساب ، المختار لا .

نعم ورد في التنزيل ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ * فَازِلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا رَبِّعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا

(١) سورة الأنعام ٩٦.

(٢) سورة المطففين ٦

جَمِيعًا فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَنَنْتَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾.

ومن معاني الجمع بين آية البحث وقوله تعالى ﴿فَنَنْتَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) أن المؤمنين أيضاً يقومون ويقفون للحساب ، ولكن مع التباين في الحال والهيئة بينهم وبين الذين كفروا .

ومن معاني اسم (يوم القيامة) حث الناس على القيام بين يدي الله في الصلاة ليكون هذا القيام في الآخرة على وجوه :

الأول : التخفيف عن وطأة الوقوف الطويل يوم القيامة .

الثاني : صيرورة القيام في الصلاة واقية من الأذى والجزع من الوقوف بين يدي الله عز وجل .

الثالثة : دلالة القيام في الصلاة على التصديق بيوم القيامة .

الرابعة : إرادة الأجر والثواب بلحاظ التسليم بوقوع يوم القيامة والإستعداد له .

الخامسة : لقد ذكرت آية البحث سبق الأعمال لأصحابها يوم القيامة أو حضورها معهم .

السادسة : القيام بين يدي الله عز وجل في الصلاة عمل وحسنة ، وهو واقية من قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ﴾^(٢) .

السابعة : في القيام شهادة على إتباع الأنبياء ، والذي يدل بالدلالة الإلتزامية على التنزه عن التعدي عليهم أو قتلهم ، ليكون من معاني

(١) سورة البقرة ٣٥-٣٩ .

(٢) سورة البقرة ٣٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٨١ .

خطاب الله عز وجل للمسلمين والمسلمات ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(١) حثهم على عدم إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدم السعي لقتله ، لذا لم يجد المتأفقون سبيلاً للتعدي عليه .

وهل فرض الصلاة والصيام والزكاة والخمس وحج البيت من أسباب ومصاديق سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل وعمومات قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢) الجواب نعم كما أن آية البحث من أسباب هذه العصمة كما تقدم في باب الإعجاز الغيري

مسائل يوم الوفاء

لقد مرت الأيام سريعة حتى إذا تم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، ثم فرغ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من معركة حنين وحصار الطائف خرج سراقة يطلب النبي محمدا ، لذكرى طريق الهجرة .

قال سراقة (فكتب لي كتابا في عظم أو في رقعة أو في خرقة ثم ألقاه إلي فأخذه فجعلته في كنانتي ثم رجعت فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حنين والطائف خرجت ومعني الكتاب لألقاه فلقيته بالجعرانة^(٤) فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون إليك إليك ماذا تريد

فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على ناقته والله لكأني أنظر إلى ساقه في غرزه كأنها جمارة فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابك لي أنا سراقة بن جعشم .

(١) سورة البقرة ٤٣.

(٢) سورة المائدة ٦٧.

(٣) أنظر ٩٩ من هذا الجزء .

(٤) تبعد الجعرانة عن مكة نحو (٢٤) كم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبر ادن فدنوت فأسلمت ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره إلا أنني قلت يا رسول الله الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لأبلي هل لي من أجر في أن أسقيها قال نعم في كل ذات كبد حرى أجر.

ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتي^(١).

لقد رأى سراقه النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وهو منحدر من الطائف محاطاً بمحافل من الأنصار ، وأدرك صعوبة الوصول إليه ، وذات القول اليوم يوم وفاء .

قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان بن طلحة حين رد عليه مفتاح الكعبة ، وفي قوله تعالى ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَنْزًا آمِنًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢).

قال محمد بن كعب : إن العباس وعلياً وعثمان بن طلحة تفاخروا فقال العباس أنا ساقى الحاج وقال عثمان أنا عامر البيت ولو شئت بت فيه وقال علي أنا صاحب جهاد الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم والذي آمنت وهاجرت قديماً ، فنزلت الآية في ذلك^(٣).

لقد سعى سراقه لشق طريقه نحو النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كثرة ويقظة الأنصار الذي يحيطون به على نحو الحلقات والخطوط الدفاعية

(١) الإكتفاء بما تضمنته من مغازي الواقدي ٢٦٧/١.

(٢) سورة التوبة ١٩.

(٣) المحرر الوجيز ٢٣٣/٣.

، وحرص على أن لا يكون عنده سلاح كي لا يثير الريب ، وأخذ يخترق صفوف الأنصار .

قال سراقة (فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك، ما أنت ؟ وأنكروني، حتى إذا دنوت وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع صوتي أخذت الكتاب الذي كتبه لي أبو بكر فجعلته بين إصبعين من أصابعي، ثم رفعت يدي به وناديت: أنا سراقة بن جعشم، وهذا كتابي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا يوم وفاء وبر، ادنوه فادنيت منه، فكاني أنظر إلى ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرزه كأنها الجمارة، فلما انتهيت إليه سلمت وسقت الصدقة إليه)^(١).

لقد أكرمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأدناه منه ، وفيه مسائل :
الأولى : بيان فضل الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢).

الثانية : تأكيد مسألة وهي أن يوم دخول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة هو يوم الفتح ، وزوال سلطان الذين كفروا ، وبداية نشر السلم المجتمعي ، ونبذ الإرهاب في الأرض.
الثالثة : أدنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سراقة منه لتثبيت مسألة وهي صحة إعطائه عهد موادة.

الرابعة : تجديد ذكر معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في طريق الهجرة ، وحضور شاهد عليها ، ويروي تفاصيلها ، وكيف أنه أراد قتل أو أسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرماه الله بأن غاصت يدا فرسه في الرمال ، وكاد يهلك هو وفرسه.

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٨٩/٥.

(٢) سورة التوبة ٣٣.

الخامسة : بيان نعمة على سراقه ، وكيف أن كفه عن ملاحقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أدى إلى نجاته وسلامته حتى حضر فتح مكة ودخل الإسلام ، قال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١).

السادسة : من بركات إذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسراقه بالدنو منه ذكر الواقعة في كل من :

الأول : كتب التفسير.

الثاني : كتب السنة النبوية .

الثالث : كتب التاريخ .

لقد أحيى حضور سراقه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث طريق الهجرة ، ولم يكن أغلب الأنصار الذين يحيطون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلمون تفاصيل هذا الحديث فتجلى قانون نصر الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في طريق الهجرة بآية من الله سبحانه.

السابعة : زيادة إيمان المسلمين بالإنصات لواقعة ملاحقة سراقه للنبي في طريق الهجرة ، فلم يكن طريق لنجاته يومئذ إلا فضل الله عز وجل ، فكانت الهجرة حاضرة بجلاء ووضوح ، ولو لم يتعظ سراقه من غوص يدي فرسه بالرمل لابتلي بأشد منه ، وفي التنزيل ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢).

ويحتمل غوص وسيخ^(٣)، يدي فرسه في الرمل وجوهاً :

(١) سورة الفرقان ٧٠.

(٢) سورة فصلت ٥٣.

(٣) يقال ساخ الشيء يسوخ سيخاً أي رسب وساخ في الأرض : دخل فيها ،

الأول : إنه آية في الآفاق .

الثاني : إنه آية وبرهان في النفوس والذوات.

الثالث : إنه موعظة وحجة في عالم الحيوان .

الرابع : عدم ثبوت أن سيخ يدي الفرس من مصاديق الآيات التي تذكرها الآية أعلاه.

الخامس : إنه ملحق بالآيات التي في النفوس .

والمختار هو الثاني والثالث والخامس أعلاه ، وتقدير الآية أعلاه من

سورة فصلت ﴿سُنُّهُمْ آيَاتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(١) وما يتعلق بها.

ليبان مسألة وهي أن هذه الآيات رحمة دائمة ومتصلة من عند الله عز وجل تبعث على الإيمان ، وتزيد من الهدى.

الثامنة : تجلي مصداق حاضر من عمومات قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) ، فبعد أن خرج النبي صلى عليه وآله وسلم من مكة

مستضعفاً خائفاً ليس بينه وبين القتل في الفراش إلا ساعات لولا نزول جبرئيل عليه السلام وأمره بالرحيل .

وسعى سراقة وعدد من أهل مكة لملاحقته في طريق الهجرة ، ولو شاء

الله لعمى على قريش أخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حين

خروجه من مكة ، ولطوى له الأرض ، ولكن شاء أن يلحق به سراقة ،

وهو يطمع في جائزة قريش لتكون حجة في نصر الله عز وجل للنبي محمد

صلى الله عليه وآله وسلم وفي لحوق الخزي بكفار قريش .

وقال في تاج العروس ٨١٨/١ (رسخ مثل يسوخ) ولكن بينهما عموم

وخصوص من وجه .

(١) سورة فصلت ٥٣.

(٢) سورة المنافقون ٨.

وفي التنزيل ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ...﴾^(١) وليكون لحوق سراقه بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجة على قريش ، ومن مصاديق آية البحث وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾^(٢) إذ ييؤء بأثمه كل من جعل جعلاً للقبض على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل من حاول شد وثاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا من تاب ومنهم سراقه .

ليبان قانون وهو شواهد آية البحث من السنة النبوية .
ورفع سراقه أيام الفتح بفخر كتاب موادة بيده وهو يشق صفوف الأنصار التي تحيط بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جميع الجهات ليتودد إليه ويذكره بعهده .

التاسعة : مجئ سراقه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد فتح مكة من الشواهد على قوله تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٣) .

فبينما قام سراقه بمطاردة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبه في طريق الهجرة إلى المدينة ، وهما هاربان من مكة ، احتفظ سراقه بكتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم له ثمان سنوات حتى قدمه له في فتح مكة . وهل أخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه ، الجواب لا ، لأن العهد مطلق لم ينحصر بيوم مخصوص كيوم فتح مكة ، ودخول سراقه الإسلام .

العاشرة : واقعة حضور سراقه بكتابه بعد فتح مكة تعليم وهداية لأهل مكة وحجة عليهم ، فقد أخفى سراقه يوم الهجرة موضوع الكتاب

(١) سورة يوسف ٢١ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٢ .

(٣) سورة القصص ٥ .

وحاجته إليه ، ولم يخبرهم بأنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما كان يرد الناس عن اللهث والمطاردة في ذات الطريق.

الحادية عشرة : بيان قانون وهو استئصال المعجزة للإرهاب.

الثانية عشرة : تأكيد قانون لم يغز النبي (ص) أحداً ، إنما كفاه الله عز

وجل شر سراقه وأمثاله بالمعجزة ، قال تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

قانون دعاء النبي لأولاد الأنصار

لقد كان كتاب سراقه وعرضه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتلقيه منه وسط كتائب الأنصار آية لتأديب أولاد الأنصار والمهاجرين ووراثتهم الإيمان ، وكان الناس حديثي عهد بالرسالة والتزليل ، وعن ابن عباس قال : كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد ، لتهودنه فإذا عاش جعلته في اليهود فجاء الإسلام وفيهم منهم .

فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم وقالوا هم أبناءنا وإخواننا فنزلت الآية {لا إكراه في الدين}^(٢) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قد خير أصحابكم فأن اختاروكم فهم منكم ، وإن اختاروهم فأجلوهم معهم^(٣).

ومن الآيات أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرص على أمور فيما يخص أولاد الأنصار منها :

(١) سورة البقرة ١٧٣.

(٢) سورة البقرة ٢٥٦.

(٣) تفسير الخازن ٢٨١/١.

الأول : تعليم أولاد الأنصار القراءة والكتابة لبيان أن الإسلام دين العلم ، وأن القرآن حجة عقلية .

و(عن ابن عباس قال : كان ناس من الاسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال : فجاء غلام يوما يبكي إلى أمه فقالت : ما شأنك ، فقال : ضربني معلمي .

فقالت : الخبيث يطلب بذحل بدر ، والله لا تأتيه أبدا^(١) .

وفيه أن أم الصبي الأنصارية لم تعاقب الأسير ، ولم تحرض عليه ، ولم تذهب الى رسول الله للشكوى ، إنما اكتفت بمنع ابنها من الدراسة والتعلم عند هذا الأسير ، ولو دار الأمر بين ذهابه إلى معلم آخر وبين جلوسه في البيت ، فالصحيح هو الأول .

ويمكن أن يستدل بهذه الواقعة على جواز طلب المال والعوض على القيام بالتعليم .

الثاني : ثناء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أولاد الأنصار ودعاؤه لهم .

وأخرج أحمد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار .

وأخرج أحمد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأزواج الأنصار ولذراري الأنصار الأنصار كرشي وعييتي ، ولو أن الناس أخذوا شعباً وأخذت الأنصار شعباً لأخذت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة كنت امراً من الأنصار^(٢) .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٥١٢/٢ .

(٢) الدر المنثور ١٤٦/٥ .

وعن قيس بن عباد قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم دار سعد فقام على بابها فسلم فرد سعد وخافت ، ثم سلم فرد سعد وخافت ، ثم سلم فرد سعد وخافت ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك انصرف راجعاً ، وخرج سعد يسعى في أثره ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما منعني أن أرد عليك إلا لتكثر لنا من السلام .

فأدخل يا رسول الله فدخل فوضع له ماء يستبرد به ، فاغتسل ، ثم جلس فقال : (اللهم صل على الأنصار ، وعلى ذرية الأنصار ، وعلى ذرية ذرية الأنصار) ^(١) .

فلما أراد أن يرجع أتى بحمار وجعلت عليه قطيفة - ما هي بخز - وقرام عربي فأرسل ابنه معه ليرد الحمار ، قال (احمله بين يدي) فقال : سبحان الله يا نبي الله أحمله بين يديك ؟ قال : (نعم ، هو أحق بصدر حماره) ، قال : هو لك يا رسول الله قال : (احمله إذا خلفي) ^(٢) .

الثالث : دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأنصار وأبنائهم بالمغفرة مع بيان مسألة وهي أن دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستغفاره لهم باب للرزق الكريم الدائم ، وهو الذي تجلّى في تأريخ المدينة المنورة ، وتوافد المسلمين والمسلمات عليها من جميع أنحاء العالم وعلى مدار السنة ، ليلبغ هذا التوافد الذروة في موسم الحج .

ثم أضيف له في هذه الأزمنة وسرعة المواصلات وتعدددها على الأرض وفي الجو والبحر لتشمل أيام العمرة خصوصاً في شهر رمضان وعطف الناس على المدينة بعد أداء المناسك أو قبلها وهذا العطف بأمر وتأکید من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، كما خرج الأنصار أمراء في الأمصار .

(١) الدر المنثور ١٤٦/٥ .

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٨١/٧ .

وعن أنس بن مالك قال : اجتمعت الانصار فقالوا انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسأله أن يجعل ماءنا سيحا فقد اشتد علينا النواضح وإننا لم نسأله شيئا إلا أعطانا ولن يسأل ربه شيئا إلا أعطاه. فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم. فقال مرحبا بالانصار يقولها ثلاثا لا تسألوني اليوم شيئا إلا أعطيتكم ولا أسأل ربي إلا أعطانيه فتركوا مسألتهم التي جاؤوا فيها فقالوا يا رسول الله ادع الله لنا بالمغفرة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الانصار ولأبناء أبناء الانصار^(١).

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار^(٢).

الرابع : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يزور بيوت الأنصار ويسلم على صبيانهم ، ويدعو لهم على نحو الخصوص ، وقد يقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم للدعاء لواحد منهم ، (عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور الانصار فيسلم على صبيانهم ويمسح برؤوسهم ويدعو لهم)^(٣).

مما يدل على أن دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأولاد الأنصار لم ينحصر بدعائه لأبائهم والحقهم بهم كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم اغفر للأنصار وأبناء الأنصار، إنما يقوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء لبعض أبناء الأنصار على نحو التعيين والخصر ، لتتجلى البركات في هذا الدعاء بشخص وتقوى الذي دعا له النبي صلى

(١) النسائي / السنن الكبرى ٨٦/٦.

(٢) الأحاد والمثاني ١٥٣/٥.

(٣) النسائي / السنن الكبرى ٩٢/٥.

الله عليه وآله وسلم ، وتكون سيرته حجة في استجابة الله لدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأزواج الأنصار بدعائه ، ولعامة ذريتهم ذكوراً وأنثاً ، وهو من الثناء والشكر لهم على حضورهم بيعتي العقبة ونصرتهم له .

وعن جابر قال : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : اللهم اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار ، ولأزواجهم ، ولذراريهم^(١) .

السادس : بيان معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي مقابلة طلب وسؤال الأنصار سهاماً من الغنائم بالدعاء لهم ، ورضاهم بهذا الفوز .

وتجلي مصاديق في كل آن كما في واقعة حنين وقيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد الواقعة باعطاء ﴿الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾^(٢) ، من قريش وغيرهم ، ووجد الأنصار في أنفسهم لكثرة العطاء لهؤلاء ، كما نبينه في باب توزيع غنائم حنين وعتب الأنصار .

وعن ابن عباس (ثم اعتمر منها)^(٣) ، وذلك لليلتين بقيتا من شوال^(٤) والمشهور أنه في شهر ذي القعدة ، أي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزع الغنائم وأعاد السبي ، وسمي يوم توزيع حنين (يوم الجعرانة)^(٥) .

(١) الطبراني / المعجم الأوسط ٤٢٣/٨ .

(٢) سورة التوبة ٦٠ .

(٣) أي من الجعرانة بعد تقسيم غنائم حنين .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٦٩٥/٣ .

(٥) وتسمى عمرة الجعرانة وهي عمرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثالثة .

ثم رجع إلى مكة لأداء مناسك العمرة شاكرًا لله عز وجل (عن أنس بن مالك قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته : عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة .

وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة .
وعمرة مع حجته^(١) .

والجعرانة حد الحرم المكي من الجهة الشمالية الشرقية ، وتبعد عن مكة ٢٤ كم وهي في هذا الزمان قرية ، وأقرب أحياء مكة لها هو الشرائع وفيها مسجد يعتمر منه أهل مكة .

لقد تأنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في توزيع الغنائم رجاء أن تأتي هوازن نادمين فيرجعها إليهم ، وقد أوصى لهم بهذا الخصوص .
لقد نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجعرانة بكسر الجيم في شهر من السنة الثامنة للهجرة (لليلتين بقيتا من شوال)^(٢) ، وقسم بها الغنائم .
قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن قائلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أصحابه: يا رسول الله أعطيت عينة والاقرع مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمري ؟ !
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " أما والذي نفس محمد بيده لجعيل خير من طلاع الارض كلهم مثل عينة والاقرع، ولكن تألفتها ليسلما^(٣) .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٦٩٥/٣ .

(٢) الطبراني / المعجم الأوسط ٤٢٣/٨ .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٦٨٢/٣ .

وهل ينجي عطاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا المؤلفه قلوبهم من العذاب ومصاديق قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١) الجواب لا ، إنما المدار على التوبة ودخول الإسلام فتألف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم حجة عليهم ، وترغب لهم بالإسلام ، وقد دخل أغلبهم الإسلام ، وهو من الإعجاز في تفضل الله بجعل سهم للمؤلفه قلوبهم في الزكاة ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

ترى لماذا نزل تعيين سهم للمؤلفه قلوبهم من الصدقات والزكاة من عند الله ، الجواب من جهات :

الأولى : تألف وكسب ود المؤلفه قلوبهم .

الثانية : منعهم من التحريض على النبي والإسلام .

الثالثة : الشأن والأمن للمؤلفه قلوبهم ، وحثهم على دعوة الناس

للإسلام .

الرابعة : زجر الكفار عن طلب النصرة من المؤلفه قلوبهم صفة

الإسلام والنبوة .

الخامسة : إنه من علم الله عز وجل .

السادسة : الرحمة بالمؤلفه قلوبهم ، وإعانتهم على التوبة

والإنابة.

السابعة : بيان قانون وهو أن الإسلام لم يأت للغنائم والمكاسب

، لأداء الفرائض وإقامة الشعائر .

(١) سورة الحج ١٠.

(٢) سورة التوبة ٦٠.

الثامنة : ما أخذه المؤلفه قلوبهم من الغنائم هو من المشركين الذين كانوا إخوانهم قبل شهر أي فتح مكة ، وفيه إغاطة لهوازن وثقيف الذين أصروا على قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

وتدافع الناس ومنهم أعراب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلبون سهاماً من الغنائم (يَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْسِمْ عَلَيْنَا فَيْثًا مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ حَتَّى أَلْجُئُوهُ إِلَى شَجَرَةٍ فَاخْتَطَفَتْ عَنْهُ رِدَاءَهُ) ^(١).

فلم يغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان يوم نصر وإنما توجه إليهم بالموعظة وبيان مسألة وهي أنه لا يطمع بشيء من الغنائم ، ومع أن له الخمس منها فان هذا الخمس يرد عليهم ثم ذكرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجرمة الغلول وشده العذاب عليه .

قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ^(٢).

لقد أخرجت هوازن معها إلى المعركة النساء والذراري والأموال والأنعام فأخزاهم الله بالهزيمة .

وحالما تم فتح مكة انتشر الخبر بين القبائل إذ كان حدثاً عظيماً ، وهو مناسبة للإتعاظ فقد هجم أبرهة الحبشي الأشرم الذي أعلن نفسه ملكاً على اليمن والحجاز ، وذكر أبرهة في المصادر البيزنطية والسريانية ، وقاد حملة إلى مكة لهدم البيت الحرام وحمل العرب على أن يحجوا إلى صنعاء .

وفي سنة (٥٧١) ميلادية وهي ذات السنة التي ولد فيها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتوافق سنة (٥٣) ق.الهجرة ، وتسمى (عام

(١) السيرة لابن هشام ٦٨٢/٢.

(٢) سورة آل عمران ١٦١.

الفيل) وأبرهة من مملكة اكسوم وهي اثيوبيا حالياً ولكنه أعلن نفسه ملكاً على اليمن وحضرموت وما حولها .

وقد نجح أبرهة في حملته على قبائل معد في تربة قرب الطائف ، وأخرى في حلبان وتبعد قرابة ٣٠٠ كيلو متر غرب الرياض ، حيث قدم سكان تلك المناطق أبناءهم رهائن ، لإستدامة ولائهم ، ومنعهم من الثورة وأشكل بعضهم على قصة الفيل وزحف أبرهة بمسائل :

الأولى : يحتاج الفيل إلى شرب الماء الكثير.

الثانية : لا يحتمل الفيل حرارة الصحراء .

الثالثة : ليس من المنطق أن يقطع أبرهة ألف كيلو متر راكباً على فيل .

والجواب أن الفيل يشرب نحو مائتي لتر من الماء ويأكل نحو مائتي كيلو من الأعشاب في اليوم الواحد .

إلا أن توفير الماء والأعشاب للفيل من قبل جيش عظيم لأبرهة وأصحابه ليس بالأمر الشاق أو العسير ، فالظاهر أن الهجوم على مكة وقع في أيام الربيع وفي شهر آذار ونيسان ، والعشب يغطي الأرض ، وليس من حرارة شديدة في الأرض ولا دليل على ركوب أبرهة على الفيل مسافة الطريق ، فعندهم الجياد الأصيلة .

إنما يستحضر الفيل في المعركة لفخامة جسمه وبعث الخوف في قلوب الأعداء ولأنه يتقدم إلى الأمام ، ولا يميل إلى الإلتفات فإذا كان أمامه حاجز فإنه يطأ الحاجز أو يكسره ولا يلتفت حوله ، حتى إذا رأى الفيل أسداً فإنه يتقدم نحوه ويزيحه عن طريقه ويصل ارتفاع الفيل إلى ثلاثة أمتار ونصف ويستعمل خرطومه كأنف وذراع ولحمل الأثقال .

ولا ينظر للفيلة بإستعمالها في هذا الزمان وعيشها في الغابات ، والسعي لقتلها وأخذ الناب منها الذي هو من مادة العاج وهي مادة غالية الثمن .

إنما كانت تدرب على نقل الجنود إلى ساحات المعارك وتقوم بنقل المؤن ، نعم وجود الفيلة في الجزيرة نادر لعدم توفر أسباب المعيشة لها من كثرة الماء والعشب ، ولكنه لا يمنع من جلب الجيوش لعدد قليل من الفيلة إلى الجزيرة لإفزاع أهلها وجعلهم يستسلمون للعدو .

وقد شهدت معارك المسلمين مع الفرس إحضار الفرس للفيلة ، وقد وثق القرآن انكسار أبرهة وجيشه بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَىٰ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾^(١).

ولم تتعظ هوازن وثقيف من المقارنة والتضاد وإنكسار وخيبة أبرهة وعجزهم عن الوصول إلى البيت الحرام ودلالته على أنهم على باطل ، وبين فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة من غير قتال يذكر ، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾^(٢).

لقد أصاب رئاسة هوازن الحسد ، وركبهم العناد ، وبالذات شخص رئيسهم مالك بن عوف النضري فلم يطق فتح المسلمين مكة ، وظن أن قريشاً تخاذلت وأنه يمتلك القوة لهزيمة المسلمين واجتمعت مع مالك بن عوف كل من :

الأولى : قبيلة هوازن ، وهو رئيسها .

الثانية : قبيلة ثقيف .

الثالثة : قبيلة نصر .

الرابعة : قبيلة جشم .

الخامسة : عدد من قبائل سعد بن بكر .

(١) سورة الفيل ١-٢ .

(٢) سورة الفتح ١ .

السادسة : ناس من بني هلال^(١).

ويتحمل مالك بن عوف النضري شطراً كبيراً من المسؤولية والظلم والتعدي في الإعداد لمعركة حنين ، وكان حينئذ شاباً في الثلاثين من عمره وكان معهم دريد بن الصمة وهو من رؤساء (بني جشم)^(٢).

ولكن كبرت سنه وفقد بصره ، ولم يستغنوا عن مشورته ، فحثهم على الرجوع والإمتناع عن القتال ، ووجه اللوم الكثير لمالك بن عوف ، فوبخه على جلبه النساء والصبيان والأنعام معه إلى المعركة .

ولعل هذا الجلب عن شرط أو وعد من مالك بن عوف للقبائل التي تحالفت معه كي لا يخونهم وينهزم عند اشتداد القتال .

لقد سألهم دريد عن أقوام وقبائل مخصوصة من الكفار هل جاءوا معهم فقال: معكم من بني كعب بن ربيعة أحد ؟ .

قالوا : لا .

قال : فهل معكم من بني هلال بن عامر أحد ؟

قالوا : لا .

(قال دريد: لو كان خيراً ما سبقتموهم إليه، ولو كان ذكراً أو شرفاً ما تخلفوا عنه؛ فأطيعوني يا معشر هوزان، وارجعوا وافعلوا ما فعل هؤلاء! فأبوا عليه.

قال: فمن شهدها منكم؟ .

قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر. قال: ذاك الجذعان من

عامر، لا يضران ولا ينفعان)^(٣).

(١) السيرة لابن هشام ٤٣٧/٢.

(٢) السيرة لابن هشام ٤٣٧/٢.

(٣) مغازي الواقدي ٣٥٩/١.

وسياتي التفصيل لبيان أن وقوع سبي هوازن بيد المسلمين بسبب عتو وتجبر رؤساء المشركين ، وفيه مسألة وهي أن قريشاً ليست هي القبيلة الوحيدة التي كانت تحارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل هناك من هو أشد من قريش ، وهؤلاء لم يقفوا مكتوفي الأيدي مدة ثمان سنوات من هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى فتح مكة إنما كانوا يوازنون قريشاً وكانوا يجمعون الجيوش لقتاله ، فكان خروجه لهم في الكتائب ، وبعثه السرايا لتفريقهم حاجة للمسلمين والناس جميعاً ، ومن الشواهد على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يغز أحداً معركة حنين من جهات:

الأولى : أسباب المعركة .

الثانية : مقدمات المعركة .

الثالثة : أوان المعركة بعد فتح مكة مباشرة مع أن الله عز وجل سماها أم القرى ، قال تعالى ﴿لَتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١).

الرابعة : وقائع المعركة ، وكيف أنها بدأت بهجوم مباغت من قبل هوازن وثقيف وفرار الكتائب الأولى للمسلمين .

وثبات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في موضعه ثم تغيرت مجريات المعركة وانهزم المشركون .

وعلى العلماء تأليف مجلدات بخصوص الدراسة المقارنة بين معركة أحد ومعركة حنين من الوجوه أعلاه وغيرها مع لحاظ آيات القرآن من جهات :

الأولى : الآيات الخاصة بمعركة أحد .

الثانية : الآيات الخاصة بمعركة حنين .

الثالثة : الآيات الجامعة لكلا المعركتين .

الرابعة : عامة آيات الدفاع .

الخامسة : السنة النبوية القولية الخاصة بمكان معركة أحد وموضع معركة حنين .

السادسة : السنة النبوية الفعلية بخصوص كل من المعركتين .

(عن الصادق عليه السلام

سبا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين أربعة آلاف رأس واثني عشر ألف ناقة، سوى ما لا يعلم من الغنائم. وقال الزهري: ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن البهائم ما لا يحصى ولا يدرى^(١) .

لقد استأنى وأنتظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد المعركة بضع عشرة ليلة ، فلم يوزع الغنائم مع الحاح المقاتلين وتطلعهم للقسمة ، إذ كان يرجو مجئ هوازن وثقيف ، وجاءوا بعد القسمة ، فلم يعتذر لهم ويبين إقامة الحجة عليهم ، ومع أن الذين جاءوا من هوازن أربعة عشر رجلاً ليس فيهم رئيسهم مالك بن عوف ، وكانت الطائف تستعد مرة أخرى للقتال إذ(وقف مالك بن عوف على ثنية من الثنايا حتى مضى ضعفاء أصحابه وتتام آخرهم ثم هرب فتحصن في قصر يليه ويقال دخل حصن ثقيف)^(٢) .

ومع هذا استجاب لهم النبي بلطف وتيسير .

ويرأس الوفد الذي قدم عليه (زهير بن صرد ، وفيهم أبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فسأله أن يمن عليهم بالسبي والأموال فقال إن معي من ترون ، وإن أحب الحديث إلي أصدقه فأبناؤكم ونسأؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ "

(١) البحار ٢١ / ١٨٣ .

(٢) عيون الأثر ٢ / ٢١٩ .

قَالُوا : مَا كُنَّا نَعْدُلُ بِالْأَحْسَابِ شَيْئًا فَقَالَ إِذَا صَلَّيْتُ الْغَدَاةَ فَقُومُوا فَقُولُوا : إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَنَسْتَشْفِعُ بِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْنَا سَيِّئًا " ، فَلَمَّا صَلَّى الْغَدَاةَ قَامُوا فَقَالُوا ذَلِكَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمَا مَا كَانَ لِي وَلِإِنِّي عَبْدُ الْمُطَّلَبِ ، فَهُوَ لَكُمْ وَسَأَسْأَلُ لَكُمْ النَّاسَ .

فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ : مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ : أَمَا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ ، فَلَا .

وَقَالَ عِيسَى بْنُ حَصْنٍ : أَمَا أَنَا وَبَنُو فِزَارَةَ فَلَا .

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ : أَمَا أَنَا وَبَنُو سُلَيْمٍ ، فَلَا ، فَقَالَتْ بَنُو سُلَيْمٍ : مَا كَانَ لَنَا ، فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ : وَهَتُمُونِي .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ " إِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ جَاءُوا مُسْلِمِينَ وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَأْنِيتُ سَيِّئَهُمْ وَقَدْ خَيْرْتَهُمْ فَلَمْ يَعْدِلُوا بِالْأَبْنَاءِ وَالنِّسَاءِ شَيْئًا .

فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ يَرُدَّهُ فَسَبِيلُ ذَلِكَ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَمْسِكَ بِحَقِّهِ فَلْيَرُدَّ عَلَيْهِمْ وَلَهُ بِكُلِّ فَرِيضَةٍ سِتُّ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ مَا يَفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا .

فَقَالَ النَّاسُ قَدْ طَيَّنَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ إِنَّا لَا نَعْرِفُ مَنْ رَضِيَ مِنْكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَرْضَ فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرْفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُ عِيسَى بْنِ

حَصْنٌ فَإِنَّهُ أَبِي أَنْ يَرُدَّ عَجُوزًا صَارَتْ فِي يَدَيْهِ ثُمَّ رَدَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَكَسَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ السَّبِيَّ قُبْطِيَّةً قُبْطِيَّةً^(١).

وعن ابن اسحاق (وكان السبي ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرون ألفا والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية فضة فاستأنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسبي أن يقدم عليه وفدهم وبدأ بالأموال فقسمها . وأعطى المؤلف قلوبهم أول الناس فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الابل .

قال ابني يزيد أي سأل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطي لابنه يزيد بن أبي سفيان ، وولي يزيد دمشق لعمر بن الخطاب ومات يزيد في طاعون عمواس سنة ثمانية عشرة ، وولي دمشق بعده أخوه معاوية^(٢) ، وأقر عثمان معاوية على الشام^(٣) .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعطوه أربعين أوقية ومائة من الابل قال ابني معاوية قال اعطوه أربعين أوقية ومائة من الابل^(٤) ، واعطى

(١) زاد المعاد ٤١٧/٣.

(٢) أنظر العبر في خبر من غير ٤/١.

(٣) سبط النجوم ٤٨٢/٢.

(٤) النضير بن الحارث من بني عبد مناف بن عبد الدار (وكان النضير بن الحارث يكثر الشكر لله على ما من به عليه من الإسلام ولم يمت على ما مات عليه أخوه وأباؤه وأمر له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين بمائة بعير فأثاءه رجل من بني الدليل يبشره بذلك وقال له : اخذمني منها فقال النضير : ما أريد أخذها لأنني أحسب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعطني ذلك إلا تألفا على الاسلام وما أريد أن أرتشي على الاسلام ثم قال : والله ما طلبتها ولا سألتها وهي عطية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقبضها وأعطى الديلي منها عشرة ثم خرج إلى رسول

حكيم ابن حزام مائة من الابل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه وأعطى النضير بن الحارث ابن كلدة مائة من الابل وأعطى اسيد بن جارية الثقفي مائة من الابل وأعطى العلاء بن جارية الثقفي خمسين بعيرا وأعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعيرا وأعطى الحارث بن هشام^(١) مائة من الابل .

الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس معه في مجلسه وسأله عن فرض الصلاة وتوقيتها . قال : فوالله لقد كان أحب إلي من نفسي وقلت له : يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله قال : " الجهاد والنفقة في سبيل الله " وهاجر النضير إلى المدينة ولم يزل بها حتى خرج إلى الشام وحضر اليرموك وقتل بها شهيدا وذلك في رجب سنة خمس عشرة وكان يعد من حكماء قریش

وأما النضر بن الحارث أخوه فقتله علي بن أبي طالب يوم بدر كافرا) الإستيعاب ٤٨٢/١ .

(١) وهو أخو أبي جهل ، وقد حضر الحارث معركة بدر مع المشركين ، وفر من المعركة ، ونزل على قيس بن صعبصة فحملة (على بعيره حتى أوصله إلى مكة ثم التقيا في الإسلام بالسقيا فحمدا الله على الهداية إلى الإسلام وقالوا طالما أوضعنا في الباطل في هذه الطريق) الإصابة ٤٧٢/٢ ، وابنة الحارث أم حكيم (زوج عكرمة بن أبي جهل).

قال أبو عمر: حضرت يوم أحد وهي كافرة ثم أسلمت في الفتح وكان زوجها فر إلى اليمن فتوجهت إليه بإذن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحضر معها وأسلم ثم خرجت معه إلى غزوة الروم فاستشهد فتزوجها خالد بن سعيد بن العاص فلما كانت وقعة مرج الصفر أراد خالد أن يدخل بها فقالت: لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع! فقال: إن نفسي تحدثني أنني أقتل قالت: فدونك فأعرس بها عند القنطرة فعرفت بها بعد ذلك فقتل لها قنطرة أم حكيم ثم أصبح فأولم عليها فما فرغوا من الطعام حتى وافتهم الروم ووقع القتال فاستشهد خالد وشدت أم حكيم عليها ثيابها وتبدت وإن عليها أثر الخلق. فاقتتلوا على النهر فقاتلت أم حكيم يومئذ) الإصابة ٨٤/٤ ، بعمود الفسطاط الذي أعرس بها خالد ، وهناك شواهد وصور

وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الابل .
 وأعطى صفوان بن أمية مائة من الابل^(١) .
 وأعطى قيس بن عدى^(٢) مائة من الابل .
 وأعطى عثمان بن وهب^(٣) خمسين من الابل .
 وأعطى سهيل بن عمر ومائة من الابل .
 وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الابل وأعطى هشام بن عمرو
 العامري خمسين من الابل وأعطى الاقرع بن حابس التميمي مائة من
 الابل وأعطى عيينة بن حصن مائة من الابل وأعطى مالك بن عوف مائة

تدل على أن عدداً كثيراً من الذين أعطاهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من سهم المؤلفة قلوبهم قاتلوا المسلمين يوم بدر واحد وأذوهم ثم أحسنوا إسلامهم وتفانوا في طاعة الله ورسوله ، قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ سورة آل عمران ١٣٢.

(١) وقال (عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين وإنه لمن أبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى إنه لمن أحب الناس إلي قال محمد بن عمر قيل لصفوان بن أمية إنه لا إسلام لمن لم يهاجر فقدم المدينة فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له عزمت عليك يا أبا وهب لما رجعت إلى أباطح مكة فرجع إلى مكة فلم يزل بها حتى مات أيام خروج الناس من مكة إلى الجمل وذلك في شوال سنة ست وثلاثين وكان يحرض الناس على الخروج إلى الجمل) الطبقات الكبرى ٤٤٩/٥.

(٢) قال ابن حجر (قيس بن عدي بن سعيد بن سهم السهمي ذكره بن الجوزي في الصحابة وتعقبه مغلطي فيما قرأت بخطه بأنه مات في الجاهلية وهو كما قال) الإصابة ٥٦٤/٥.

(٣) ذكره ابن سعد في مسleme الفتح ، الإصابة ٤٦٣/٤.

من الابل^(١) وأعطى العباس ابن مرداس أربعين من الابل فقال في ذلك شعرا فأعطاه مائة من الابل ويقال خمسين.

وإعطاء ذلك كله من الخمس وهو أثبت الاقاويل .

ثم أمر زيد بن ثابت باحصاء الناس والغنائم ثم فضها على الناس فكانت سهمانهم لكل رجل أربعاً من الابل أو أربعين شاة فإن كان فارساً أخذ اثني عشر بعيراً أو عشرين ومائة شاة وإن كان معه أكثر من فرس واحد لم يسهم له^(٢).

وزاد الكلبي : أبا البعائل بن يعكل وجد بن قيس السهمي وعمرو بن مرداس وهشام بن عمرو. قال : أعطى كل واحد منهم خمسين ناقة،

فقال العباس بن مرداس في ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

فأصبح نهبي ونهب العبيد

بين عينة والأقرع

وما كان حصن ولا حابس

(١) كان مالك بن عوف رئيس هوازن وثقيف في معركة حنين ، وفر من المعركة يومئذ ودخل الطائف هو أصحابه وأغلقتوا الحصن عليهم (فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لو أتاني مسلماً لرددت إليه أهله وماله " فبلغه ذلك، فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد خرج من الجعرانة، فأسلم فأعطاه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل كما أعطى سائر المؤلفة قلوبهم وهو أحدهم ومعدود فيهم، وكان مالك بن عوف شاعراً واستعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالك بن عوف النضري على من أسلم من قومه ومن قبائل قيس وأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعاودة ثقيف ففعل وضيق عليهم وحسن إسلامه وقال حين أسلم:

ما إن رأيت ولا سمعت بما أرى ... في الناس كلهم كمثلي محمد

(الإستيعاب ٤٢٢/١ . وله في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) عيون الأثر ٢/٢٢٠.

يفوقان مرداس في المجمع
 وقد كنت في الحرب ذا (قوة)
 فلم أعط شيئاً ولم أمنع
 الا أفائل أعطيتها
 عديد قوائمه الأربع
 وكانت نهاباً تلافيتها
 بكري على المهر في الأجرع
 وايقاظي القوم أن يرقدوا
 إذا هجع الناس لم أهجع
 وما كنت دون أمرئ منهما
 ومن تضع اليوم لا يرفع
 فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة ناقة،
 وأعطى حكيم بن حزام سبعين ناقة فقال : يارسول الله ما كنت أدري
 أن أحداً أحق بعطائك مني فزاده عشرة أبكار،
 ثم زاده عشرة أبكار حتى أتمها له مائة،
 فقال حكيم : يارسول الله أعطيتك التي رغبت عنها خير أم هذه التي
 زادت؟

قال : لا،

بل هذه التي رغبت فيها. فقال : لا آخذ غيرها،
 فأخذ السبعين،
 فمات حكيم وهو أكثر قریش مالاً.
 فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أعطي رجلاً وأترك الآخر،
 والذي أترك أحب إلي من الذي أعطي،
 ولكني أتألف هذا بالعطية،
 وأوكل المؤمن إلى إيمانه.

وقال صفوان بن أمية : لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ.

ثم اختلفوا في وجود المؤلفة اليوم وهل يُعطون من الصدقة وغيرها أم لا؟

فقال الحسن : أما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم،
وقال الشعبي : إنه لم يبقَ في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم،
إنما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما ولي أبو بكر انقطعت الرشى،

وهذا تأويل أهل القرآن،
يدل عليه حديث عمر بن الخطاب حين جاءه عيينة بن حصين،
فقال {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} إن الإسلام
أجلّ من أن يرشى عليه،
أي ليس اليوم مؤلفة.

وروى أبو عوانة عن مهاجر أبي الحسن،
قال : أتيت أبا وائل وأبا بردة بالزكاة وهما على بيت المال فأخذاها،
ثم جئت مرة أخرى فوجدت أبا وائل وحده فقال ردّها فضعها في مواضعها،

قلت : فما أصنع بنصيب المؤلفة قلوبهم؟
فقال ردّه على الآخرين.
وقال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام : (في الناس) اليوم المؤلفة قلوبهم ثابتة^(١).

(١) الكشف والبيان للثعلبي ١٦٤/٦.

والمختار بقاء سهم المؤلفه قلوبهم ، ولكنه من الكلي المشكك الذي قد يتضاءل أحياناً .

علم الأصول

يقسم الكلام في علم الأصول إلى :

الأول : النص ، وهو لغة الكشف والظهور ، وفي الإصطلاح ما دل على معنى واحد ، ولا يحتمل التعدد في المعنى كما في قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(١) ومن النص فيه :

الأول : ذكر شهر رمضان على نحو التعيين .

الثاني : تسمية شهر وهو المحصور بين هلالين .

الثالث : تعيين أوان نزول القرآن .

الرابع : القرآن كتاب نازل من عند الله عز وجل ، ومن النص أسماء العدد لأنها لا تحتمل إلا معنى واحداً .

وكما في قوله تعالى ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾^(٢) على تعيين موضوع

الجلد ومقدار الجلد .

ومن خصائص النص أن دلالة قطعية ، ويجب العمل به ان كان يدل

على العمل به ، ولا يجوز العدول عنه إلا مع ثبوت النهي ، ويلزم الإمتناع

عنه إذا كان في النهي كما في قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ

وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ

الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي

دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ

(١) سورة البقرة ١٥٨ .

(٢) سورة النور ٤ .

مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا^(١).

ويتجلى النص في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^(٢) من وجوه :

الأولى : ذكر (عاد) من النص الذي لا يقبل التعدد في الأقوام ، ولا حتى الأحقاب لأن المراد جيل واحد أهلكوا بآية .

الثاني : هلاك قوم عاد .

الثالث : مجئ عذاب وآفة من السماء لقوم عاد بأمر من الله عز وجل إذ جاءهم غيم كثيف فيه مطر ثم الريح الشديد .

الرابع : العقوبة العاجلة على المعصية العامة وإنعدام ذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا فيها إلا مثل الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض ، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها { قالوا هذا عارض ممطرنا }^(٣) فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة)^(٤).

(١) سورة النساء ٢٣.

(٢) سورة الحاقة ٦-٧.

(٣) سورة الاحقاف ٢٤.

(٤) الدر المنثور ١٦٣/٩.

{عن ابن عباس في قول الله تعالى : {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ} (١) الآية،

قال : لما دنا العارض قاموا فمدّوا أيديهم،
فأول ما عرفوا أنها عذاب رأوا ما كان خارجاً من ديارهم،
من رحالهم،
ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والأرض،
مثل الرشا،
قالوا : فدخلوا بيوتهم،
وأغلقوا أبوابهم،
فجاءت الريح فغلقت أبوابهم وصرعتهم،
وأمر الله تعالى الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع
ليال،

وثمانية أياماً حسوماً لهم أنين،
ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال ثم أمرها فاحتملتهم،
فرمت بهم في البحر. (٢).
والأولى عدم الإكتفاء بتعريف النص والأمثلة عليه من القرآن والسنة
والأمثلة الأخرى ، أنما تستحدث دراسات حول النص من جهات :

الأولى : موضوعية النص .

الثانية : دلالة النص .

الثالثة : لماذا يأتي النص في موضع ، ولا يأتي فيه الظاهر أو المجل ،
وكذا العكس لماذا يأتي الظاهر في موضع ولا يأتي النص أو المجل فيه .

(١) سورة الاحقاف ٢٤.

(٢) الكشف والبيان للثعالبي ١٦٣/١٢.

الرابعة : الإنتفاع العام من النص ، ومنع الاختلاف في تأويله ، وعن عائشة (قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا عصفت الريح قال : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ، فإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سري عنه ، فسأله فقال لا أدري لعله كما قال قوم عاد { هذا عارض ممطرنا }^(١))^(٢) .

الخامسة : الأجر والثواب بالتفسير بالنص ، والعمل بمضامينه ، كما يستحب استحداث دراسة أصولية قرآنية باصطلاحات منها :

الأولى : النص القرآني الذي يؤكد في آية قرآنية أخرى ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٣) ، والباء في قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ﴾ للإلصاق أي يريد الله أن يلصق بكم اليسر ، ويجعله مصاحبا لكم في الفعل وعدمه ، بلحاظ أن العدم هذا أمر وجودي .

الثانية : النص القرآني الذي تؤكد شواهد من السنة النبوية .

الثالثة : الظاهر الذي يرتقي إلى النص بالسنة النبوية .

الرابعة : نسخ النص وأمثلة عليه ، وهذه الأمثلة أعم من أن تختص بالكتاب والسنة إنما هو موضوع أصولي أعم ، وقد لا يثبت نسخ نص قرآني مخصوص وإن ذكره بعض العلماء ، وقد قيل أن آيات السلم والموادعة منسوخة بآية السيف ، ومنهم من قال بتسخها مائة وأربعة وعشرين آية .

(١) سورة الاحقاف ٢٤.

(٢) الدر المنثور ١٥٦/٩.

(٣) سورة البقرة ١٨٥.

والمختار أنها لم تنسخ بآية السيف ، وهي ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ وَأَقْبِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

الثاني : الظاهر ، وهو الذي يحتمل معنيين فأكثر ، أحدها هو الأرجح وأظهر ويسمى الظاهر .

الثالث : المجمل ، وهو اللفظ الذي يحتمل إرادة عدة معاني منه .

قانون الخلافة وعد

من إعجاز القرآن ورود قانون خلافة الإنسان في الأرض في الآيات الأولى منه ، إذ قال تعالى في بدايات سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) وحيث لم يكن آنذاك إنسان ، فقد توجه الله عز وجل بالخطاب في موضوع الخلافة إلى الملائكة ، وهو إكرام خاص لأدم وذريته .

ولم تأت آية الخلافة إلى بعد آية إطلاق العلة الغائية من خلق ما في الأرض وأنها للناس ذكرهم وأنشأهم ، إذ قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

(١) سورة التوبة ٥.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٢٩-٣٠.

والسماء مشتق من السمو وهو الرفعة والعلو ، وتحتل الألف واللام فيه جهات :

الأولى : الإستغراق .

الثانية : الجنس .

الثالثة : العهد .

ولا تعارض بينها في المقام ، وهو من إعجاز اللفظ القرآني وأنه أعم من التقسيمات الإستقرائية لصناعة النحو والأصول والكلام والبيان ونحوها . فاللام في السمااء في قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾^(١) يصح أن يقال أنها للاستغراق وأنها للجنس وأنها للعهد ، وهو من الشواهد على بديع صنع الله عز وجل .

ترى ما هي النسبة بينها وبين الأفلاك العظيمة التي في السمااء ، وما لا يدركه ولم يبلغه العلم حتى الان وجوهاً :

الأول : إرادة التساوي ، وأن السموات السبع هي نفسها الأجرام والأفلاك ومنها الشمس والقمر .

الثاني : نسبة العموم والخصوص المطلق ، وهو على جهتين :

الأولى : السموات السبع أعم من الأفلاك والأجرام .

الثانية : المجرات والأجرام السماوية والفضاء أعم من السموات السبع .

الثالث : نسبة العموم والخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء بينها

وأخرى للإفتراق وقد ذكر الله الكواكب منفردة كما في قوله تعالى ﴿إِنَّا زَيْنًا

السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٢) وقال تعالى ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾^(٣) ومعطوفة

(١) سورة البقرة ٢٩ .

(٢) سورة الصافات ٦ .

(٣) سورة الواقعة ٧٥ .

على السموات كما في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ
مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾^(١).

وورد ذكر ﴿الفلك﴾ في القرآن بقصد السفن والبواخر ولم يرد فيه
لفظ الأفلاك .

الرابع : نسبة التباين ، وأن هناك إختلافاً بين السماء وبين الكواكب .
والمختار هو الشعبة الأولى من الوجه الثاني أعلاه ، فالسموات السبع
أعم ، ولا يعلم حدود كل سماء طولاً وعرضاً وارتفاعاً والفواصل بين
كل سماء وأخرى إلا الله عز وجل إلى جانب بديع التناسق والنظام
الكوني بين الأفلاك وموضع الأرض من الشمس وغيرها بحيث أنها لو
كانت في موضع آخر لتعذرت الحياة عليها .

وتبعد الشمس عن الأرض (١٥٠) مليون كم تقريباً وهي ثماني دقائق
ضوئية .

وذكر أنه لو كانت الأرض أقرب إلى السماء بنسبة ٤٪ من هذه المسافة
أي (١٤٤) مليون كيلو متر بدلاً من (١٥٠) مليون كم لارتفعت درجة
حرارتها حتى تصل (٤٥٠) درجة مئوية ، ولتبخرت مياه الأنهار والبحار
والمحيطات كما في الكوكب فينوس .

ولو كانت الأرض أقرب إلى الشمس بنسبة ١٪ أي تصبح المسافة بينهما
(١٥١,٥) مليون كم لانخفضت درجة حرارتها بالتدريج حتى تصبح (٤٠)
درجة تحت الصفر ، ولتجمدت المياه فيها كما في الكوكب مارس ، قال
تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١﴾.

وهناك مسائل :

الأولى : هل يعلم الملائكة بحدود السموات .

الثانية : هل يأتي يوم على الناس يعلمون بالإكتشافات العلمية والمركبات الفضائية حدود السموات .

الثالثة : هل يقع نزاع وخصومة بين سكان السموات ، وكل منهم ينتمي إلى سمائه ، وللعصية ، وخلافات الحدود .

والمختار هو النفي في كل مسألة من المسائل الثلاثة أعلاه ، وهو من بديع صنع الله عز وجل ، وهذا النفي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (٢).

ولم تقل الآية أعلاه أن ما خلقه الله في السموات وتسويتها هو للناس ، ويحتمل وجوهاً :

الأول : إرادة الإستصحاب وأن تسوية السماء وجعلها سبع سماوات هو من أجل الناس .

الثاني : لقد خلق الله عز وجل السماوات وسواها من أجل الملائكة والناس وعموم خلقه وسلطانه .

الثالث : إنما كان خلق وتسوية السموات لبيان بديع صنع الله عز وجل وعظيم قدرته .

الرابع : لا موضوعية للناس في خلق وتسوية السموات لأن الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ﴾ (١) .

(١) سورة الرعد ٢.

(٢) سورة البقرة ٥٥.

والمختار هو الثاني والثالث أعلاه ، قال تعالى ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

ليكون من معاني خلافة الإنسان في الأرض الإنتفاع الأمثل مما في السماء من أسباب الرزق واستدامة أيام الحياة الدنيا ، والعيش فيها بأمان ، وهل من موضوعية للسماء في انتشار الناس في قارات الأرض .
الجواب نعم ، فترى الناس يسعون وراء الكلا ونزول الأمطار ويسكنون ضفاف الأنهار .

لتكون نعمة الخلافة متعددة الوجوه ، وكل فرد منها يستلزم الشكر لله عز وجل ، وهو مناسبة وآلة لاستدامة تقوى الله والإمتناع عن الكفر ومفاهيم الضلالة .

لتكون كل آية سماوية زاجراً للذين ﴿قَالُوا إِنْ يَأْتِيَنَّكُم مِّنْ بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فَقِيرٌ وَمُتَحَنِّنٌ﴾^(٣) وسبيلاً لنجاة الناس في النشاطين .

فمن مصاديق خلافة الإنسان في الأرض التدبر بالنعم الإلهية ، واتخاذها بلغة لحسن السمات ، والسلامة في الآخرة .

وهذه النعم في المقام على أقسام :

الأول : النعم الأرضية التي تلامس الإنسان كل دقيقة ويغترف منها نهراً وليلاً .

الثاني : النعم السماوية من الكواكب والنجوم .

الثالث : النعم السماوية الأرضية من نزول الغيث ، وآية الشمس ملازمة النهار لها ، وآية القمر وكسره لظلمة الليل بفضل من الله ، قال

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة يونس ٦.

(٣) سورة آل عمران ١٨١.

تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

وهل تنحصر وظيفة الشمس والقمر بالإطالة على الأرض وانتفاع الناس منها ، أم أن النفع منها أعم ويشمل خلائق أخرى ، الجواب هو الثاني ، فلا يعلم نوع وجنس وعدد الخلائق التي تنتفع من الشمس والقمر إلا الله عز وجل ، ومنها ما يكون نفعها من الشمس والقمر أكثر من نفع الناس .

لذا أختتم الآية أعلاه بالقول ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وفي المراد بالخليفة في قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣) وجوه :

الأول : المراد أبونا آدم عليه السلام لأنه أول من هبط إلى الأرض ، وعاش فيها مع زوجته حواء وأنجبا الأولاد ، ولم يغادرا الدنيا إلا بعد أن كثر أبناؤهما وأحفادهما وأبناء الأحفاد .

والخليفة فعيلة بمعنى فاعل .

تري لماذا سمي آدم ﴿خليفة﴾

الجواب إنه يقوم بالعمل بالأوامر والنواهي التي تنزل من عند الله وهو رائد الناس في عمل الصالحات ، لذا لم يهبط آدم إلى الأرض إلا وقد نال مرتبة النبوة والرسالة .

(١) سورة النحل ١٢.

(٢) سورة النحل ١٢.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

ومن فضل الله أن الوحي لم يغادره حينما غادر الجنة ، وهو خير مواساة، نعم أكرمه الله في الجنة إذ كلمه قبلاً من غير واسطة ملك ، كما ورد في التنزيل ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾^(١).

(عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله من كان أولهم؟
يعني الرسل قال : آدم .

قلت : يا رسول الله أنبي مرسل؟

قال : نعم . خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وسواء قبلاً)^(٢).
الثاني : كان جنس من الجن يسكنون الأرض ، وقيل هم النسناس ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ذهب الناس وبقي النسناس.

قيل : هم يأجوج ومأجوج ، وقيل : خلق على صورة الناس أشبهوهم في شئ وخالفوهم في شئ وليسوا من بني آدم ، ومنه الحديث : ان عادا عصوا رسولهم فمسخهم الله نسناسا لكل رجل منهم يد ورجل من شق واحد ينقرون كما ينقر الطائر ويرعون كما ترعى البهائم)^(٣).

الثالث : وراثه الأنبياء بعضهم لبعض بلحاظ أن الوحي نعمة على أهل الأرض ، وفي التنزيل ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٣٣.

(٢) الدر المنثور ١/٧٧.

(٣) البحار ١١/١٠٦.

(٤) سورة ص ٢٦.

الرابع : خلافة الناس بعضهم لبعض ، وتوارث الناس الخلافة جيلا بعد جيل .

ليتوج الوحي بنزول جبرئيل بالقرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (١) .

ولقد احتج الملائكة على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢) وبينوا ماهية احتجاجهم ، ويتألف من أمرين :

الأول : إفساد الإنسان في الأرض .

الثاني : قيام الإنسان بقتل أخيه الإنسان ، وجعل روحه تنفصل عن جسده بغير حق ليغادر الدنيا دفعة واحدة .

تفسير ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي بَظُلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

لقد ورد ذات نص آية البحث في آية أخرى مشابهة وبصيغة الخطاب ، وهي الآية الحادية والخمسون من سورة الأنفال ، وهل من تباين بينهما ، الجواب نعم بلحاظ الآية السابقة لكل منهما ، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي بَظُلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٣) .

إذ تقتزن الآية السابقة بتعذيب الملائكة للذين كفروا عند الوفاة ، وكأن القول : ذوقوا عذاب الحريق من عذاب البرزخ (لبيان قانون وهو مصاحبة التويخ والتبكي للكافر من حين مغادرته الحياة الدنيا ، وهو من مصاديق

(١) سورة النساء ١٦٣ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة الأنفال ٥٠-٥١ .

قول النبي (إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته واعبدوا الله كأنكم ترونه واستغفروه كل ساعة) ^(١) .

وورد مضمون هذه الآية ونفي الظلم عن الله عز وجل بصفة الربوبية المطلقة بدل اسم الجلالة ، قال تعالى ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(٢) .

ليان قانون وهو من فضل الله عز وجل على الناس مجيئ القرآن بالبشارة على العمل الصالح ، وبيان ترتب الثواب والنفع العظيم عليه ، والإنذار على العمل القبيح ، ونزول العذاب بصاحبه .

وورد لفظ ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(٣) خمس مرات في القرآن ، وتتصف بأمور :

الأولى : الذكور والأنثى .

الثانية : في الدنيا وعالم البرزخ .

الثالثة : في مواطن الآخرة .

ومن معاني الآية أن الله عز وجل لا يؤاخذ الإنسان بجريرة وذنب غيره .

وقد يأتي لفظ عباد الله كما في قوله تعالى ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ^(٤) .

(١) جمع الجوامع ١/٣١٣٣ .

(٢) سورة فصلت ٤٦ .

(٣) سورة فصلت ٤٦ .

(٤) سورة الإنسان ٦ .

وهل من معاني لفظ العبيد حث المسلمين على الرأفة بالعبيد ، الجواب نعم ، ففي الآية دعوة للتنزه عن الظلم مطلقاً ، ومن الآيات عصمة الأنبياء عن الظلم والجور والتعدي ، ومع هذا فإن الكفار قاموا بقتل عدد منهم ، وهو الذي تضمنته الآية السابقة لتخبر آية البحث بأن هذا القتل يستحق العذاب بالنار وذوق حرارة حريقها ولهبها .

علم المناسبة

إن ورود آية أخرى في سورة الأنفال بمثل كلمات آية البحث التي هي من آيات سورة آل عمران ، دعوة للناس للتوبة ، وفيه نكتة وهي أن ذنوب الكافرين التي يستحقون عليها ذوق العذاب كثيرة ، وكل فرد أو أفراد منها تستحق النار .

ترى لماذا ذكرت الآية الناس بصفة العبيد ، الجواب لتأكيد رأفة الله عز وجل بالناس ، وأنه سبحانه يلفظ بالناس ويقربهم إلى منازل الطاعة ، فلم يخل بينهم وبين السيئات .

وهل آية البحث برزخ دون فعل السيئات ، الجواب نعم ، وقد ورد قوله تعالى ﴿ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^(١) .

فلا يعذب إنسان يوم القيامة بسوء فعله إلا بعد اقامة الحجة عليه ، ومنها آية البحث .

وأن العقاب أدنى مرتبة مما يستحقه ذلك الذنب نعم ورد ذكر لفظ الناس ففي الظلم ليس من الله عز وجل بقوله تعالى ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^(٢) .

(١) سورة ق ٢٩ .

(٢) سورة يونس ٤٤ .

وفي الآية أعلاه ورد عن (مكحول في قوله { إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون } قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) ^(١).

وورد موضوع الآية بصيغة المفرد وبقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ^(٢).

كما ورد بصيغة النفس لنفي الظلم من الله عز وجل مطلقاً يوم القيامة ، قال تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ^(٣).
ليبان أن الله عز وجل يقيم الحجة على الناس بالحساب والموازن الدقيقة .

قانون ذكر اسم الجلالة في الآية القرآنية

يعني اسم الجلالة الكتاب السماوية ، ويشع على الأرض بتجلياتها فنزل الغيث وتزهر السنابل وتينع الثمار ، وباسم الجلالة يتقرب إلى الله وتنزل شآبيب الرحمة وتكشف الكربات ، ومن هذه التجليات أن الإنسان عمر الأرض بعنوان الخليفة لله ، إذ قال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(٤) وهو سبحانه يعلن أن من الناس من يكفر بربوبيته المطلقة ، ومنهم من يفسد ويقتل .

(١) الدر المنثور ٢٣٩/٥.

(٢) سورة الحج ١٠.

(٣) سورة الأنبياء ٤٧.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

ولفظ الجلالة اسم جامع لمعاني الإلهوية ، وورد في (٨٥) سورة من القرآن .

وأفتحت به ثلاث وثلاثون آية منها قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (١) .

واختلف في لفظ الجلالة على قولين :

الأول : إنه لفظ جامد غير مشتق .

وقيل أنه غير مشتق لدلالة الإشتقاق على وجود مادة يشتق منها ، واسم الله قديم ، وليس للقديم مادة ، ومع قولنا بأن اسم الجلالة غير مشتق فإن الاسم غير المسمى ، وبه قال الخليل وسيبويه والشافعي ، وهو المختار .

الثاني : إنه مشتق ، وذكر القائلون في اشتقاقه وجوهاً عديدة منها :

الأول : إنه مشتق من أله بفتح ياله ألوهة ، أي عبد عبادة وأصل الاسم الإله فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى والثانية وجوبا وقيل الله .

وأستدل عليه بالجمع بين قوله تعالى ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٣) وهو سبحانه المألوه أي المعبود .

الثاني : إنه مشتق من الوله لأنه ياله إليه العباد أي يفزعون إليه في حاجاتهم وأمورهم .

(١) سورة الرعد ٢.

(٢) سورة الأنعام ٣.

(٣) سورة الزخرف ٨٤.

الثالث : مشتق من التأله أي التعبد .

ومع الاختلاف في اشتقاق لفظ الجلالة أو عدمه فإن إجماع المسلمين والمليين على أن الإلهوية لا تنبغي إلا له سبحانه .

وقيل ان اسم الجلالة هو الاسم الأعظم ، وبه قال أبو حنيفة ^(١).

والاسم الأعظم في أسماء الله ، وفي قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ

آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ^(٢).

وفي الذي إنسلخ من الآيات ورد (عن ابن عباس قال : هو بلعم بن باعوراء . وفي لفظ : بلعام بن عامر الذي أوتي الاسم كان في بني إسرائيل

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا . . . } ^(٣) الآية . قال : هو رجل من مدينة الجبارين له بلعم ، تعلم اسم الله الأكبر ، فلما نزل بهم موسى أتاه بنو عمه وقومه فقالوا : إن موسى رجل جديد ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه .

قال : إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه مضت دنيائي وآخرتي ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخ مما كان فيه . وفي قوله { إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث } ^(٤) .

قال : إن حمل الحكمة لم يحملها وإن ترك لم يهتد لخير ، كالكلب إن كان رابضاً لهث وإن طرد لهث ^(٥).

(١) تفسير ابن عبد السلام ١/١.

(٢) سورة الأعراف ١٧٥.

(٣) سورة الأعراف ١٧٥.

(٤) سورة الأعراف ١٧٦.

(٥) الدر المنثور ٤/٣٦٩.

لقد أكرم الله عز وجل القرآن وجعل اسمه (الله) أكثر من أي كلمة تكررت فيه ، وهو من إعجاز القرآن والشواهد على نزوله من عند الله سبحانه .

ولابد من تأليف مجلدات خاصة ذا صبغة الإحصاء تذكر فيها أسماء الله في القرآن من جهات :

الأولى : عدد لفظ الجلالة في القرآن ثم في كل سورة منه .

الثانية : الآيات التي ورد فيها لفظ الجلالة أربع مرات أو ثلاثة أو اثنتين .

الثالثة : عدد أسماء الله الحسنى في القرآن .

الرابعة : عدد مرات ورود كل اسم من أسماء الله الحسنى في القرآن .

الخامسة : الضمائر التي تدل على اسم الله في القرآن مثل قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾^(١).

ومع قلة كلمات هذا الشطر من الآية فقد ورد فيه اسم (رب) وهو من أسماء الاسماء الحسنى واسم (اله) .

كما وردت أربع ضمائر في الآية تعود لله عز وجل .

السادسة : الضمائر المقدرة التي تعود إلى الله عز وجل كما في

قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾^(٢) وفيه ضمير

مستتر تقديره هو يعود إلى الله في كل من :

الأول : فاعل رفع (هو) يعود إلى الله عز وجل .

الثاني : فاعل استوى ، وتقديره : ثم استوى الله .

(١) سورة الرعد ٣٠.

(٢) سورة الرعد ٢.

الثالث : فاعل وسخر الشمس ، وتقديره : وسخر الله الشمس .

الرابع : فاعل يدبر الأمر ، وتقديره : يدبر الله الأمر .

الخامس : فاعل يفصل الآيات ، وتقديره : يفصل هو الآيات أو يفصل

الله الآيات .

وسيتجلى أمر وهو بلوغ أسماء الله الحسنى والضمائر الظاهرة والمستترة التي تعود إليه سبحانه أكثر من عدد آيات القرآن البالغة (٦٢٣٦) آية .

السابعة : مواقع لفظ الجلالة في الجملة ودلالته .

وهناك مسائل احصائية :

الأولى : قد تكرر اسم الله في القرآن نحو (٢٦٩٩) مرة في (١٨٢١) آية أي أنه يتكرر في عدد من الآيات وورد (٩٨٠) مرة مرفوعاً بالضممة .

الثانية : عدد الآيات التي ورد فيها اسم الله سبع مرات آية واحدة

وهي قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثُ

وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ

فَاقْرَءُوا مَا يَسْرَرُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًىٰ وَآخَرُونَ

يَضُرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا يَسْرَرُ مِنْهُ وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدُمُوا

لِلْأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿١﴾ .

الثالثة : الآية التي ورد فيها اسم لفظ الجلالة ست مرات وهي آية

الدين وهي أطول آية من القرآن ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ

بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بَخْسٌ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسَاءَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُقْ بِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(١).

الرابعة : الآية التي ورد فيها لفظ الجلالة خمس مرات ﴿الَّذِينَ

أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبُيُوعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ^(٢).

إحصائية في اسم الجلالة في سور القرآن

الأولى : أكثر سور القرآن التي ورد فيها اسم لفظ الجلالة هي سورة

البقرة إذ ورد فيها (٢٦٢) مرة .

الثانية : تليها سورة النساء وعدد المرات التي ورد فيها لفظ الجلالة

(٢١١) مرة .

(١) سورة البقرة ٢٨٢.

(٢) سورة الحج ٤٠.

الثالثة : تتصف سورة المجادلة بأن لفظ الجلالة ورد في كل آية منها ، وعدد آياتها هو (٢٢) آية وهي مدنية ، ومن آيات المفصل وترتيبها في المصحف هو السورة الثانية والخمسون وعدد حروفها (١٩٩١) حرفاً .
وتبدأ بقوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ (١)(٢)(٣).

ولم يرد لفظ ﴿سَمِعَ اللَّهُ﴾ في القرآن إلا مرتين ، إحداهما في هذه السورة والأخرى في سورة آل عمران بقوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ (٤).

الرابعة : أقل سورة من القرآن التي ورد فيها لفظ الجلالة بلحاظ عدد آيات السورة هي سورة الزخرف إذ ورد فيها لفظ الجلالة مرتين وفيها مسائل :

الأولى : سورة الزخرف مكية ، وقيل فيها آية مدنية وهو قوله تعالى ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٥).

الثانية : عدد آيات السورة (٨٩) .

الثالثة : عدد كلمات السورة (٨٢٥) كلمة (وقال الثعلبي : ثمانمائة وثلاث كلمة) (١).

(١) سورة المجادلة ١.

(٢) قد صدر الجزء السادس والثمانون بعد المائة من هذا السفر في الصلة بين هذه الآية والآية **السابقة** لها.

(٣) وصدر الجزء السابع والثمانون بعد المائة من هذا السفر في تفسير الآية أعلاه ، وهو نعمة أطلت على الأرض والحمد لله .

(٤) سورة المجادلة ١.

(٥) سورة الزخرف ٥٤.

الرابعة : عدد حروف السورة (٣٧٠٣).

إحصاء حروف السور

التسلسل	اسم السورة	عدد الحروف
١	سورة الفاتحة	١٣٩
٢	سورة البقرة	٢٥٦١٣
٣	سورة ال عمران	١٤٦٠٥
٤	سورة النساء	١٥٩٣٧
٥	سورة المائدة	١١٨٩٢
٦	سورة الأنعام	١٢٤١٨
٧	سورة الأعراف	١٤٢٧١
٨	سورة الأنفال	٥٢٩٩
٩	سورة التوبة	١٠٨٧٣
١٠	سورة يونس	٧٤٢٥
١١	سورة هود	٧٦٣٣
١٢	سورة يوسف	٧١٢٥
١٣	سورة الرعد	٣٤٥٠
١٤	سورة إبراهيم	٣٤٦١
١٥	سورة الحجر	٢٧٩٧
١٦	سورة النحل	٧٦٤٢
١٧	سورة الإسراء	٦٤٨٠
١٨	سورة الكهف	٦٤٢٥

١٩	سورة مريم	٣٨٣٥
٢٠	سورة طه	٥٢٨٨
٢١	سورة الأنبياء	٤٩٢٥
٢٢	سورة الحج	٥١٩٦
٢٣	سورة المؤمنون	٤٣٥٤
٢٤	سورة النور	٥٥٩٦
٢٥	سورة الفرقان	٣٧٨٦
٢٦	سورة الشعراء	٥٥١٧
٢٧	سورة النمل	٤٦٧٩
٢٨	سورة القصص	٥٧٩١
٢٩	سورة العنكبوت	٤٢٠٠
٣٠	سورة الروم	٣٣٨٨
٣١	سورة لقمان	٢١٢١
٣٢	سورة السجدة	١٥٢٣
٣٣	سورة الأحزاب	٥٦١٨
٣٤	سورة سبأ	٣٥١٠
٣٥	سورة فاطر	٣١٥٩
٣٦	سورة يس	٢٩٨٨
٣٧	سورة الصافات	٣٧٩٠
٣٨	سورة ص	٢٩٩١
٣٩	سورة الزمر	٤٧٤١
٤٠	سورة غافر	٤٩٨٤
٤١	سورة فصلت	٣٢٨٢
٤٢	سورة الشورى	٣٤٣١

٣٥٠٨	سورة الزخرف	٤٣
١٤٣٩	سورة الدخان	٤٤
٢٠١٤	سورة الجاثية	٤٥
٢٦٠٢	سورة الأحقاف	٤٦
٢٣٦٠	سورة محمد	٤٧
٢٤٥٦	سورة الفتح	٤٨
١٤٩٣	سورة الحجرات	٤٩
١٤٧٣	سورة ق	٥٠
١٥١٠	سورة الذاريات	٥١
١٢٩٣	سورة الطور	٥٢
١٤٠٥	سورة النجم	٥٣
١٤٣٨	سورة القمر	٥٤
١٥٨٥	سورة الرحمن	٥٥
١٦٩٢	سورة الواقعة	٥٦
٢٤٧٥	سورة الحديد	٥٧
١٩٩١	سورة المجادلة	٥٨
١٩١٣	سورة الحشر	٥٩
١٥١٩	سورة الممتحنة	٦٠
٩٣٦	سورة الصف	٦١
٧٤٩	سورة الجمعة	٦٢
٧٨٠	سورة المنافقون	٦٣
١٠٦٦	سورة التغابن	٦٤
١١٧٠	سورة الطلاق	٦٥
١٠٦٧	سورة التحريم	٦٦

١٣١٦	سورة الملك	٦٧
١٢٥٨	سورة القلم	٦٨
١١٠٧	سورة الحاقة	٦٩
٩٤٧	سورة المعارج	٧٠
٩٤٧	سورة نوح	٧١
١٠٨٩	سورة الجن	٧٢
٨٤٠	سورة المزمل	٧٣
١٠١٥	سورة المدثر	٧٤
٦٦٤	سورة القيامة	٧٥
١٠٦٥	سورة الإنسان	٧٦
٨١٥	سورة المرسلات	٧٧
٧٦٦	سورة النبأ	٧٨
٧٦٢	سورة النازعات	٧٩
٥٣٨	سورة عبس	٨٠
٤٢٥	سورة التكويد	٨١
٣٢٦	سورة الإنفطار	٨٢
٧٤٠	سورة المطففين	٨٣
٤٣٦	سورة الإنشقاق	٨٤
٤٥٩	سورة البروج	٨٥
٢٤٩	سورة الطارق	٨٦
٢٩٣	سورة الأعلى	٨٧
٣٧٨	سورة الغاشية	٨٨
٥٧٣	سورة الفجر	٨٩
٣٣٥	سورة البلد	٩٠

٢٤٩	سورة الشمس	٩١
٣١٢	سورة الليل	٩٢
١٦٤	سورة الضحى	٩٣
١٠٢	سورة الشرح	٩٤
١٥٦	سورة التين	٩٥
٢٨١	سورة العلق	٩٦
١١٢	سورة القدر	٩٧
٣٩٤	سورة البينة	٩٨
١٥٦	سورة الزلزلة	٩٩
١٦٤	سورة العاديات	١٠٠
١٥٨	سورة القارعة	١٠١
١٢٢	سورة التكاثر	١٠٢
٧٠	سورة العصر	١٠٣
١١٣	سورة الهمزة	١٠٤
٩٦	سورة الفيل	١٠٥
٧٣	سورة قريش	١٠٦
١١٤	سورة الماعون	١٠٧
٤٢	سورة الكوثر	١٠٨
٩٥	سورة الكافرون	١٠٩
٧٩	سورة النصر	١١٠
٨١	سورة المسد	١١١
٤٧	سورة الإخلاص	١١٢
٧١	سورة الفلق	١١٣
٨٠	سورة الناس	١١٤

تفسير ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيُودِيَكُمْ﴾ معاني حرف الباء

ابتدأ هذا الشطر من الآية بحرف الجر الباء ، ويأتي على معاني متعددة قد تقدم ذكرها ، وهي أربعة عشر معنى منها :

الأول : الإلصاق ، وقال (ابن هشام أنه معنى لا يفارقها ، ومنه ﴿وَلَا

تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾^(١).

الثاني : باء الإستعانة وهي التي تدخل على آلة الفعل وعلى الوسيلة .

وتفيد الباء في قوله تعالى (بسم الله) الإستعانة ، وتقدير الآية : استعين

بسم الله ، أو اتلو مستعيناً بسم الله ، ومنه قوله تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

وَالصَّلَاةِ﴾^(٢) ، وتقول كتبت بالقلم ، سافرت بالسيارة .

الثالث : باء السببية التي يكون ما بعدها سبباً لما قبلها ، ومنه الباء في آية

البحث ، ومنه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا يَسْتَهْزِئُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا

يُفْسِقُونَ﴾^(٣).

الرابع : باء التعدية ، وهي ترادف الهمزة في جعلها النص اللازم

متعدياً ، وقد تصير الفاعل مفعولاً ، ومنه قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي

أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيَلْآئِمَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾^(١).

(١) سورة البقرة ٤٢.

(٢) سورة البقرة ٤٥.

(٣) سورة الأنعام ٤٩.

الخامس : باء الظرفية ، وهي التي يكون مجرورها كالوعاء والظرف ، كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرِّ وَتُّمِ أَذَلَّةً﴾^(١).

السادس : باء الإستعلاء ، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾^(٢) ، أي مروا عليهم .

السابع : باء الغاية ، وهي التي تأتي بمعنى إلى أو حتى بما يفيد الغاية كما في قوله تعالى ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾^(٣).

الثامن : باء المصاحبة ، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَهْرِ﴾^(٤) ، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اسْرِعْ بِعَادِيَ إِنَّكُمْ مُسْعُورُونَ﴾^(٥) ، وإن كان معنى الباء هنا أكبر وأعظم وأنه الإمام في المسير .

التاسع : باء التبعية ، والمراد البعض والجزء كما في قوله تعالى ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾^(٦) ، في آية الوضوء .

العاشر : باء القسم .

لقد ذكرت الآية علة حمل الذين كفروا كرهاً على ذوق شدة عذاب الحريق بحرف بقوله تعالى ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيْدِيكُمْ﴾^(٧) ، وجاءت الآية بحرف الجر الباء والحرف المصدر ما .

(١) سورة الاسراء ١ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٣) سورة المطففين ٣٠ .

(٤) سورة يوسف ١٠٠ .

(٥) سورة المائدة ٦١ .

(٦) سورة الشعراء ٥٢ .

(٧) سورة المائدة ٦ .

(٨) سورة آل عمران ١٨٢ .

وهو الحرف المبهم الذي يؤول وما بعده بالمصدر وتسمى أيضاً الحروف الموصولة ، وهو مفرد في معناه والحروف المصدرية هي :

الأول : إن ، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا﴾^(١).

فإن (أن) الأولى حرف مشبه بالفعل للتوكيد ، و(أن) الثانية حرف مصدرى وتقديره (لا يستحي ضرب) و(ما) في الآية اسم موصول في محل نصب .

الثاني : أن ، مثل ﴿أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾^(٢).

الثالث : ما ، مثل ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾^(٣).

الرابع : كي ، وهو حرف مصدرى ، يفيد معنى الإستقبال ، والتعليل إذا سبقتها اللام وتنصب الفعل المضارع .

الخامس : (لو) كما في قوله تعالى ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٤).

وهل يمكن أن يكون من معاني الباء في الآية التبعية أى ذلك ذلك بعض ما ﴿قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ﴾^(٥).

الجواب نعم وهو من أسرار ذكر موضوع الذوق على نحو التقييد وهو لا يتعارض مع ذكره كجزء من العذاب وإرادة المعنى الأعم .
ويحتمل المراد من الأيدي جهات :

(١) سورة البقرة ٢٦.

(٢) سورة البقرة ٦٧.

(٣) سورة آل عمران ١١٢.

(٤) سورة البقرة ٩٦.

(٥) سورة آل عمران ١٨٢.

الأول : ما قامت به ذات الأيدي من الحرام والباطل .

الأولى : الظلم والتعدي .

الثانية : السرقة .

الثالثة : الربا .

الرابعة : قتل الأنبياء .

الخامسة : النهب والإستيلاء على مال الغير بالباطل ، وغيرها .

الثاني : عموم فعل الإنسان سواء باليد أو اللسان أو القدم أو العورة .

الثالث : الأفعال المحرمة التي تشترك فيها اليد وغيرها من الأعضاء

والجوارح .

الرابع : إرادة جميع أقوال وأفعال الكافر ، ومنها اعتقاده .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، والمقصود إطلاق الجزء وإرادة الكل .

وفي الآية بيان حكم الله عز وجل على الذين كفروا إذ إنه يسمع قول

الذين ظلموا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ﴾^(١) ولا يؤاخذهم عليه بالحال ، وقد وردت

في القرآن والكتب السماوية السابقة قصة قوم صالح وشعيب ولوط ،

وكيف نزل بهم العذاب والهلاك العام دفعة بعد إقامتهم على المعصية

واصرارهم على التحدي وطلبهم العذاب بأنفسهم ، وفي ثمود ورد قوله

تعالى ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَنتَ بِنَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الرُّسُلِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَضْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾^(٢) وتكرر

التحدي من قبل المشركين بكلمة ﴿أَنْتَ بِنَا تَعِدُنَا﴾ بخصوص قوم نوح^(٣) ، وفي

(١) سورة آل عمران ١٨١ .

(٢) سورة آل عمران ١٨١ .

(٣) أنظر سورة هود ٣١ .

قوم هود ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لَتُفَكِّنَا عَنْهُ إِلَهًا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(١).

ويدل هذا التكرار على أنه ملازم لسنخية الكفار في مقابلتهم لدعوة الأنبياء للتوحيد .

ليكون من معاني ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ﴾^(٢) طلب مشركي قريش من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعجيل العذاب بهم إن كان نبياً حقاً، وهذا الطلب من الجهل المركب والإصرار على إتباع الهوى . وقد ذكرت آية السباق خصلتين من خصال الذين كفروا المذمومة ، وهما :

الأولى : قول باللسان وهو ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتَرُوتُ وَخُشُّ أَعْيَاءُ﴾^(٣).

الثانية : قتل الأنبياء .

وأشارت آية البحث إلى (ما قدمت أيدي الذين كفروا) وهو فعل وعمل جوارحي ، فهل يشمل القول باللسان وإنكار الذين كفروا الزكاة والحقوق الشرعية ، الجواب نعم ، ويرد ذكر الأيدي للفرد الغالب من العمل ، ولأن اللسان من الجوارح ، وقد يكون أميراً عليها بأن يكون الكلام مقدمة للفعل أو مانعاً منه .

وقد تفضل الله عز وجل على المسلمين وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيه مسائل :

الأولى : تهذيب المنطق .

الثانية : إصلاح النفوس ، ودفع الكدورة والشحناء .

(١) سورة الأحقاف ٢٢.

(٢) سورة آل عمران ١٨٢ .

(٣) سورة آل عمران ١٨١.

الثالثة : حرص الأمر بالمعروف على الإتيان بمثله ، وفي التنزيل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

الرابعة : إمتناع الذي ينهى عن المنكر والسيئات عن الإتيان بمثلها .
الخامسة : الفوز بحب الله ورضاه ، (روى حسان بن سليمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه .
وعن عبد الله بن عمر عن درة بنت أبي لهب قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر فقال : يا رسول الله من خير الناس .

قال : أأمرهم بالمعروف ،
وأنهاهم عن المنكر ،
وأتقاهم لله تعالى ،
وأوصلهم لأرحامه .

عن ابن عباس قال : قلنا : يا رسول الله ،
ما نعمل نأتمر بالمعروف حتى لا يبقى من المعروف شيء إلا ائتمرنا به ،
وننتهي عن المنكر حتى لا يبقى من المنكر شيء إلا انتهينا عنه ،
ولم نأمر بالمعروف ولم ننه عن المنكر ،
فقال : مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به ،
وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله^(٢) .

(١) سورة الصف ٢ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ١٥٨/٣ .

السادسة : تعاهد سنن الأنبياء والإمثال لأمر الله عز وجل قال سبحانه ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

السابعة : إقتناء الحسنات لما في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر من خصال حميدة ونفع عظيم منه .

الأول : في هذا الأمر والنهي استجابة لأمر الله عز وجل .

الثاني : إنه اقتداء بسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢).

الثالث : كل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هدى وطريق هداية.

الرابع : فيه تعظيم شعائر الله وتعاهد لعقيدة التوحيد ، قال تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٣).

الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلق حميد ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤).

الثامنة : نشر شاييب المودة والرحمة بين الناس .

التاسعة : تنمية ملكة الجدال والإحتجاج والحرص على الإتيان بالبرهان عند المؤمنين إذ يتقوم الأمر والنهي بالحجة والدليل وحسن الموعظة ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٥) .

(١) سورة آل عمران ١٠٤.

(٢) سورة الأحزاب ٢١.

(٣) سورة الحج ٣٢.

(٤) سورة ن ٤.

(٥) سورة النحل ١٢٥.

ومن مفاهيم آية البحث أنها تبعث على الإنتفاع العام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتدعو الذين يعملون السيئات إلى الإنصات للآخرين المنادين بالصلاح والزاجرين عن المنكر ، وفيها ترغيب للناس بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه من الصالحات التي يقدمها الإنسان لآخرته .

فكما وردت الآية بصيغة الإنذار ، فانها تتضمن في مفهومها البعث على العمل الصالح لدلالاتها على قانون وهو حضور ما عمله الإنسان في الدنيا في مواطن الحساب في الآخرة .

وقد اختصت آية البحث بالوعيد للذين كفروا وقالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ﴾^(١) وجاءت آيات بتذكير الناس كافة بحضور أعمالهم معهم ، حال النشور ، قال تعالى ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾^(٢) وتحتمل صيغة الآية ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٣) من جهة الأفراد والجمع والتذكير والتأنيث وجوهاً :

الأول : ذلك بما قدمت يديك .

الثاني : ذلك بما قدمت أيديكما للمثنى المذكر والمؤنث .

الثالث : ذلك بما قدمت أيديكم لجمع المذكر .

الرابع : ذلك بما قدمت أيديكن لجمع المؤنث .

الخامس : ذلك بما قدمت أيديكم للجمع مطلقاً للذكور والإناث .

وجاءت الآية بصيغة من الوجه الخامس أعلاه وجمع المذكر لتغليب المذكر ولإرادة جماعة الذكور والإناث .

(١) سورة آل عمران ١٨١ .

(٢) سورة الانفطار ٥-٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٨٢ .

فقد يشترك جماعة في عمل منكر وسئ ، وتدل آية البحث عن جهر جماعة بالقول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(١) ومن وجوه تقدير الآية أعلاه :

- الأول : قول أحدهم : إن الله فقير وأنا غني .
 - الثاني : قول إحداهن : إن الله فقير وأنا غنية .
 - الثالث : قول أحدهم : إن الله فقير ونحن أغنياء .
 - الرابع : قول جماعة الذكور : إن الله فقير ونحن أغنياء .
 - الخامس : قول جماعة الأنثا : إن الله فقير ونحن أغنياء .
- وقصد الغنى على معنيين :

الأول : إرادة جماعة الذكور والأنثا .

الثاني : إرادة جماعة الأنثا من أرباب الأموال .

ومن الإعجاز في هذه الآيات عدم إحصار ذكر العقاب بآية البحث إنما اختتمت به الآية السابقة بقوله تعالى ﴿وَقُولُوا عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾^(٢) كما جاءت الآية التالية بذكر خصلة مذمومة أخرى لهم ، وبيان سبب آخر لعذابهم في النار بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قُلُوبِ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

والأصل هو العام ومن منفعه العمل بعموم اللفظ العام في القرآن والسنة حتى يثبت التخصيص كما في قوله تعالى ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

(٣) سورة آل عمران ١٨٣.

فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا^(١) أما المعرف بـ(ال) التي تفيد بيان الجنس ، فليس فيها عموم للأفراد إلا مع القرينة مثل : الكلام خير من السكوت (فلا يعني . أم كل كلام هو خير من كل سكوت ، فالسكوت في محله أفضل من الكلام.

وبالنسبة لأسباب نزول الآية القرآنية ، فالمدار على عموم اللفظ ، وليس على سبب النزول ، كما في قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٢) .
فالحكم في الآية عام لا يختص بصاحبة المسألة .

(عن ابن عباس في قوله : { قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها } وذلك أن خولة امرأة من الأنصار ظاهر منها زوجها ، فقال : أنت علي كظهر أمي فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : إن زوجي كان تزوجني وأنا أحب الناس إليه حتى إذا كبرت ودخلت في السن . قال : أنت علي كظهر أمي وتركني إلى غير أحد ، فإن كنت تجدلني رخصة يا رسول الله تنعشني وإياه بها فحدثني بها .

قال : والله ما أمرت في شأنك بشيء حتى الآن ، ولكن ارجعي إلى بيتك فإن أومر بشيء لا أعميه عليك إن شاء الله .

فرجعت إلى بيتها فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في الكتاب رخصتها ورخصة زوجها فقال : { قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها } إلى قوله : { عذاب أليم }^(٣) .

فأرسل إلى زوجها ، فقال : هل تستطيع أن تعتق رقبة؟

(١) سورة المزمل ١٦.

(٢) سورة المجادلة ١.

(٣) الدر المجادلة ١-٤.

قال : إذن يذهب مالي كله ، الرقبة غالية وأنا قليل المال .
 قال : هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال : والله لولا أنني
 أكل كل يوم ثلاث مرات لكل بصري ، قال : هل تستطيع أن تطعم ستين
 مسكيناً؟

قال : لا والله إلا أن تعينني ، قال : إني معيك بخمسة عشر صاعاً^(١) .
 ذكرت آية البحث خصوص الأيدي كمصدر وجهة صدور الجناية
 والمعصية مع أن الكفر هو أكبر الكبائر وهو من أفعال القلب وينعكس على
 الجوارح ، وقد يترجل على اللسان وعلى اليد والجارحة فيكون في هذه
 الأفعال إثم آخر غير الكفر .

وقد يسند الظلم إلى اليد مع أنه وقع باللسان أو بالفرج أو جارحة
 أخرى لغلبة اليد على الأفعال وكثرة استعمال الإنسان لها وهي صيغة
 معروفة عند العرب إذ يتبادر إلى الذهن من لفظ اليد ، إرادة الكل وهو
 الإنسان .

والمختار أن معنى الآية أعم مما يذهب إليه المفسرون ، على وجوه :
الأول : إرادة خصوص الأفعال التي يؤتيها الكافر بيده ، إذ أنها
 وحدها تدخله النار .

وقد يقع في بعض محاكم أهل الأرض الحكم على شخص بقضية
 واحدة من جرائمه تتضمن العقوبة القصوى ، فلا يحاكم على الجرائم
 الأخرى ، أو ترجئ محاكمته عليها ، ولكن الحساب في الآخرة يتقوم بذكر
 معتقد وقول وأفعال الإنسان كلها .

ومن معاني هذا الوجه أن الكافر يستحق بما يفعل بيده وحدها إذاقته
 عذاب الحريق ، سواء كان المراد من ذوق العذاب في الآية السابقة ابتداءه
 والإحساس به أو دخول النار .

الثاني : المقصود العنوان الجامع للقول والفعل ، وهو الذي جاء في الآية السابقة والذي يتضمن إرتكاب المعصية من جهات :

الأولى : قول (إن الله فقير).

الثانية : قول (نحن أغنياء).

الثالثة : الإصرار على عطفهم القول (ونحن أغنياء) على (ان الله فقير).

الرابعة : القيام بقتل الأنبياء .

الخامسة : ما يصاحب قتل الأنبياء من قول الذين كفروا الباطل والإفتراء والتحريف ، ثم الرضا بهذا القتل.

الثالث : إرادة الإقامة على الكفر والجحود التي يصدر عنها هذا قول (ان الله فقير).

ولا تعارض بين هذه الوجوه وكلها من الدلائل التي أشار إليها اسم الإشارة للبعيد (ذلك) فمن معاني البعد في المقام تعدد ضروب استحقاق الظالمين العذاب يوم القيامة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١) ، بتقريب أن العذاب لا يأتي للكافر يوم القيامة عن ذنب أو معصية واحدة إنما يأتي عن ذنوب ومعاصي متعددة.

لقد أكرم الله عز وجل الإنسان إذ جعله ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، ليعمرها بسنن التقوى ، وأحاطه وتغشاه بالآيات والبراهين التي تدعوه إلى الإيمان ، وبعث الأنبياء وأنزل الكتب السماوية لهدايته وجذبه إلى منازل الإيمان .

(١) سورة الأنعام ١٤٩.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

ولكن شطراً من الناس إتخذوا الكفر مطية ومنهاجاً ، فنزل الكتاب بانذارهم وأخبرهم عما ينتظرهم من العذاب ، وهو من مفاهيم تعاهد المسلمين للإيمان ، وخشيتهم من الله عز وجل .

بحث بلاغي

من إصطلاحات علم البيان وجهان :

الأول : الإيجاز : وهو مجئ ألفاظ قليلة تتضمن معاني كثيرة وهي وافية بالغرض والقصد ، وتتصف بالبيان والإفصاح ، وقد تسمى جوامع الكلم ، منه ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١).

ومنه آية البحث ومع قلة كلماتها فإنها تتضمن الإحتجاج على أهل النار ، وهم في أشد العذاب .

ومن خصائص الإنسان المبتلى غالباً الإعراض عن القول الذي يؤكد استحقاقه للبلاء .

ولكن الأمر في الآخرة يختلف إذ يظهر أهل النار الندامة ، وتكثر الخصومة بينهم .

والإيجاز على شعبتين :

الأولى : إيجاز القصر .

الثانية : إيجاز الحذف .

ومن الإيجاز في آية البحث مجئ اسم الإشارة وهل هو من الشعبة الأولى أو الثانية أعلاه أم أنه أمر مستقل .

المختار هي الأولى .

الثاني : الإطناب : وهو زيادة اللفظ على المعنى المقصود لغاية وفائدة ، أما إذا لم تكن هناك فائدة في الإطناب فهو حشو .

ومن الإطناب ورود الخاص بعد العام لبيان فضل الخاص ،
والعناية به .

مثل قوله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(١).

كما في قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

ومن خصائص القرآن مجئ الإطناب على وجوه :

الأول : الإطناب في شطر من آية .

الثاني : الإطناب في آية كاملة .

الثالث : مجئ الإطناب بالجمع بين آيتين متجاورتين .

الرابع : تجلي الإطناب في الجمع بين آيتين مطلقاً^(٣).

(١) سورة البقرة ٢٣٨.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

(٣) قد صدر كل من الأجزاء :

الأول : الجزء العشرون بعد المائة الذي اختص بصلة الآية (١٥٣) بالآية التي قبلها.

الثاني : الجزء الخامس والعشرون بعد المائة ويتضمن الصلة بين شطر من الآية (١٥٤) بشطر من الآية (١٥٣).

الثالث : الجزء الرابع والأربعون بعد المائة ويختص بالصلة بين شطر من الآية (١٦١) بشطر من الآية (١٦٤).

الرابع : الجزء السادس والثمانون بعد المائة ويختص بالصلة بين الآية (١٨٠) والآية (١٨١) من سورة آل عمران.

صيغ العموم

هناك عام يمتنع عن التخصيص ، منه عائدة الملك كله قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٢).
ومنه النداء القرآني ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الذي يفيد الإستغراق والجنس ، إذ يعم الناس جميعاً ، كما يصدق مجئ (كل) بدل التعريف منها منه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾^(٣) إذ وردت في الآية أعلاه بصيغة العام التي لا تقبل التخصيص من وجوه :

الأول : النداء الإستغراقي المتجدد في كل زمان .

الثاني : لفظ ﴿النَّاسُ﴾.

الثالث : وجوب ذكر واستحضار كل إنسان لنعمة الله .

الرابع : خلق الله لكل شئ .

الخامس : عموم الرزق من السماء ، فليس من إنسان إلا ويأتيه رزق من السماء ، وترى الناس في الدنيا يتطلعون إلى عطاء دائم من الدولة مثلاً ، ولم يلتفتوا لقانون وهو أن الله عز وجل يرزق كل واحد منهم النعم والبهات من السماء كل يوم أكثر مما يرجون .

السادس : تفضل الله بتوالي النعم على الناس من الأرض ، فان قلت سلمنا أن النعم التي تأتي من السماء لا يقدر عليها إلا الله عز وجل ، فهل

(١) سورة آل عمران ١٨٩.

(٢) سورة هود ٦.

(٣) سورة فاطر ٣.

النعم التي تأتي للناس من الأرض ، ويقومون باستخراجها وتثويرها لا يقدر عليها إلا الله ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿وَقَدَرْنَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾^(١).

وقد يظن بعض الناس بمجئ الرزق بالوسائط وأن من الناس من يرزق بعضهم بعضاً ، فجاءت آية البحث لبيان إنفراد الله عز وجل باجتماع صفتين وهما :

الأولى : الله عز وجل هو الخالق ، وليس من خالق غيره ، وهو من صيغ العموم التي لا تقبل التخصيص .

الثانية : تفضل الله عز وجل بوصول رزقه إلى كل إنسان وذكرت الآية النعمة والرزق من الله ، ترى ما هي النسبة بينهما ، الجواب المختار هو العموم والخصوص المطلق ، فالنعم أعم .

ومن مادة الإلتقاء أن كل فرد منهما لا يقبل التخصيص .

السابع : إتصاف الله عز وجل بالإلوهية المطلقة وإنعدام الشريك له .
فان قلت سلمنا بموارد العموم بخصوص عظيم سلطان الله وقدرته كما في قوله تعالى ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢) وأنه سبحانه له الملك في الدنيا والآخرة ، وصبغة العام في بعثة الرسل كما في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس جميعاً بقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٣) وكافة من صيغ العموم .

فهل من عام في أمور الحياة الدنيا لا يطرأ عليه التخصيص ، الجواب نعم ، مثل أبوة آدم لجميع البشر ، وأمومة حواء لهم ، وعلى فرض صناعة

(١) سورة فصلت ١٠.

(٢) سورة البقرة ٢٣١.

(٣) سورة سبأ ٢٨.

إنسان من الإستساخ ونحوه فهل ينخرم قانون إتحاد الأبوة العام هذا ،
الجواب لا .

إذ أن وصفه عام واستغرق جميع أفراد الجنس ، وهو مصحوب
بقرائن تنفي احتمال التخصيص إنما هذه القاعدة (ما من عام إلا وقد خص
(هي التي يجب ان تخصص .

ورد بعضهم على استدامة هذا العموم ونقضه لقاعدة ما من عام إلا
وقد خص بأن هذه الآيات والمثال ليست في الأحكام الفرعية .

وأن المراد من عدم بقاء العام على عمومه هو ما يخص الأحكام
الشرعية ، وليس مسائل الخلق ، ويمكن أن يستدلوا بآية الصيام أعلاه بأن
المريض والمسافر مستثنى منه لقوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١) .

وآية أخرى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ
وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ
وَرَبَائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَ فَإِنْ لَمْ
تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ
تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) .

وقيل المراد من القول (ما من عام إلا وقد خص) إرادة النادر القليل
في الأحكام ، وأن النادر في حكم المعدوم ، وهو قول ليس بتام .

(١) سورة البقرة ١٨٥ .

(٢) سورة النساء ٢٣ .

ويشمل العام جميع الأفراد دفعة واحدة بلا حصر ، والتقيد بلا حصر ليخرج ما يفيد الحصر مثل الاعداد مائة ، ألف ، مليون ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

ومن العام الذي لا يقبل التخصيص : نداء يا أيها الناس في القرآن مثل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾^(٢).

بينما ورد التخصيص في لفظ الناس المتكرر في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٣).

ليس من تخصيص في فقر الناس جميعاً إلى الله عز وجل .
ومنه ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾^(٥).

إذ تتضمن هذه الآية العموم والخصوص وعموم صيغة البشرية ، وخصوص الوحي ، وهل تدل الآية على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين ، وأنه لا نبي بعده .

الجواب نعم ، إذ أن الخطاب في الآية متجدد في كل زمان ، وهو يتلى على أجيال الناس المتعاقبة ، وهو من اسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن في الصلاة اليومية على نحو الوجوب العيني ، وبقاء القرآن وأحكامه غضة طرية إلى يوم القيامة .

(١) سورة الأنبياء ٣٠.

(٢) سورة فاطر ١٥.

(٣) سورة آل عمران ١٧٣.

(٤) انظر الجزء السابع والخمسين بعد المائة من تفسيرنا (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٥) سورة الكهف ١١٠.

والعموم يشمل جميع الأفراد على نحو الإستغراق والتشابه ، أما الإطلاق فانه يشملها أيضاً ولكن على نحو البدلية فقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾^(١) يفيد الإطلاق في البقر ، وليس العموم ، لأن معنى العموم الأمر بذبح الجميع ، وهو مخالف لمنطوق الآية ومعنى الأمر فيها والذي هو على نحو القضية الشخصية ، ويتناول واحدة نكرة في سياق الإثبات ، ومنه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(٢) إذ أنها تخص واحداً غير معين من العام . وصيغ العموم على أقسام :

الأول : ما دل على العموم بمادته والذي يسمى في علم المنطق سور الموجبة الكلية مثل : عامة ، جميع ، كافة ، لام الإستغراق . والتي تدل على ثبوت المحمول لجميع أفراد الموضوع .

الثاني : سور الموجبة الكلية ، والتي تفيد سلب المحمول عن جميع أفراد الموضوع مثل ، لا شئ ، لا أحد ، وكما في قوله تعالى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٣) .

ونضيف معنى آخر من وجوه سور الموجبة الكلية ، وهو الوجوب ، ومعنى آخر للسالبة الكلية وهو الحرمة ، ويجمعهما قوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٤) وحرمة الربا من الموارد التي تدل على إنغرام مقوله : ما من عام إلا وقد خص ، إذ أن حرمة الربا في حال الإختيار والإضطرار .

(١) سورة البقرة ٦٧ .

(٢) سورة النساء ٩٢ .

(٣) سورة الإخلاص ٣ .

(٤) سورة البقرة ٢٧٥ .

إلا أن يقال بالتخصيص بجواز الربا بين الزوج وزوجته ، وبين الأب وابنه لرواية حريز عن زرارة عن أبي جعفر ، ليس بين الرجل وولده ، وبينه وبين عبده ولا بينه وبين أهله ربا ، وفي سند الرواية ياسين الضير الذي لم يرد فيه توثيق صريح .

ويحمل معنى الرواية على إتحاد المال في المقام كما في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنت ومالك لأبيك .
والأصل هو حرمة الربا مطلقاً نعم لا بأس بالقضاء بالأحسن بين الزوج وزوجته .

الثالث : أسماء الشرط ، والشرط هو تعليق شئ على شئ بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني ، ويسمى الأول فعل الشرط ، ويسمى الثاني جواب بالشرط وجزاؤه مثل ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾ ^(١) إذ ورد اسم الشرط (مَنْ) في الآية مرتين .

من : اسم شرط جازم مبني في محل رفع مبتدأ .
يطع : فعل مضارع مجزوم فعل الشرط ، وحرّك بالكسر لالتقاء الساكنين ، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) .
الرسول : مفعول به منصوب .

الرابع : أسماء الإستفهام مثل : (فمن كان على بينة من ربه) .
وتأتي (مَنْ) على وجوه :
الأول : اسم إستفهام .
الثاني : اسم موصول .
الثالث : اسم شرط .

الرابع : نكرة موصوفة ، وهي برزخ بين النكرة المحضة والنكرة المقصودة التي صارت معرفة بحرف النداء ، كما في لفظ جبال في قوله تعالى ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ﴾^(١) .

وسميت موصوفة لأن وصفها يحصر المقصود منها حتى تقارب المعرفة ، مثل من في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

الخامس : الأسماء الموصولة مثل الذي ، الذين ، التي ، اللاتي ، قال تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ النَّبِيُّ كَانُوا عَلَيْهَا قُلُوبًا لَّالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(٣) .

السادس : النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الإستفهام الإنكاري كما في قوله تعالى ﴿فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤) .

السابع : المعرف بالإضافة مفرداً كان أو مجموعاً مثل ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٥) .

الثامن : المعرف بلام الإستغراق ، سواء كان مفرداً مثل ﴿لَتَعْلَمَنَّ رَبُّكَ﴾^(٦) أو مجموعاً مثل ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾^(٧) .

(١) سورة سبأ ١٠ .

(٢) سورة البقرة ٨ .

(٣) سورة البقرة ١٤٢ .

(٤) سورة البقرة ٣٨ .

(٥) سورة البقرة ابراهيم ٣٤ .

و(تلك) اسم اشارة للمؤنث ، والرسل جمع للذكور ، وليس فيهم امرأة ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾^(٣) ولكن المراد من تلك جماعة الرسل لإفادة جمعهم بخصال الرسالة والوحي والتنزيل .

والإيتان بـ(تلك) في المقام معجزة للقرآن ، ولم يرد اشكال عليه من الصحابة أو التابعين ، ولان الآية تتعلق بالترفضيل وتماها .

وقال تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٤).

ليان وجوه التفضيل منها في ذات الوحي وفي الشريعة ، وذكرت الآية أعلاه اختصاص بعض الرسل بالتكليم كما في موسى عليه السلام ، وتأييد عيسى عليه السلام بروح القدس وتقدير الآية : تلك جماعة الرسل .

قال الواقدي ({ تلك الرسل } أي : جماعة الرسل)^(٥).

ويحتمل الأصل وجوهاً :

الأول : الأصل هو العام .

الثاني : الأصل هو الخاص .

الثالث : المدار على الموضوع أو الحكم فلا يعرف الأصل إلا بالقرائن .

(١) سورة البقرة ١٤٣.

(٢) سورة البقرة ٢٥٣.

(٣) سورة النحل ٤٣.

(٤) سورة البقرة ٢٥٣.

(٥) الوجيز للواحدى ٦٩/١.

والمختار هو الأول لأصالة العموم .

ترى ما هي النسبة بين العام والمطلق ، الجواب هو العموم والخصوص من وجه فهناك مادة للإلتقاء وأخرى للإفتراق ، وكأنهما من عمومات إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا .

وتضمنت آية البحث أمرين في باب العام :

الأول : سور الموجبة الكلية بقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾^(١)

وثبوت معصية الذين كفروا والتي تستحق العقاب الأليم في الآخرة .

الثاني : سور السالبة الكلية لبيان الآفة لقانون وهو تنزه الله عز وجل

عن الظلم ، فهو سبحانه الغني الذي لا يحتاج احداً ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(٢).

ومن معاني الجمع بين الآيتين أعلاه تذكير الكفار بأن ما يصيبهم من البلاء والضنك والضيق ، وكساد التجارات دفعة أو تدريجياً إنما بسبب ما ارتكبوا من المعاصي ، وأن ما صرفه الله عز وجل عنهم من البلاء أكثر مما ينزل بهم ، وتدلل عليه آية البحث والسياق من جهات :

الأولى : تذكير الذين كفروا بقولهم ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ﴾^(٣).

الثانية : الوعيد للذين كفروا على قولهم ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٤).

ومعنى العام الشمول والإستيعاب ، يقال عنهم الخير يعمهم عموماً أي شملهم ، والعام خلاف الخاص ، والعامة خلاف الخاصة (وعم الشيء

(١) سورة آل عمران ١٨٢ .

(٢) سورة النساء ٤٠ .

(٣) سورة آل عمران ١٨١ .

(٤) سورة الأعراف ٧٧-٧٨ .

يَعْمُ عُمُومًا: شمل الجماعة. يقال: عَمَّهُم بِالْعَطِيَّةِ. والعُمِّيَّةُ، مثل العَبِيَّةِ: الكِبَرُ. والعَمَاعِمُ: الجماعات المتفرقون. قال لبيد:

لكيلا يكون السندري نديدي ... وأجعل أقواماً عموماً عَمَاعِمَا
وعَمَمَ اللَّبَنُ أَي أَجْعَلَ أَقْوَاماً مَجْتَمِعِينَ فِرْقاً: أرغى، كأن رغوته شَبِهَتْ
بِالْعِمَامَةِ. والمُعَمَّمُ من الخيل وغيرها: الذي ابيضُّ أذناه ومنبتُ ناصيته وما
حولها، دون سائر جسده^(١).

الثالثة: من النداء العام في القرآن قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٢) وقد صدر الجزء الواحد والتسعون بعد المائة في الصلة بين قوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكُتُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٣) وبين التي قبلها.

كما صدر الجزء التاسع والثمانون بعد المائة من تفسيري للقرآن والحمد له في تفسير الآية أعلاه.

وجاء هذا الجزء السابع والتسعون بعد المائة في تفسير الآية ١٨٢ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٤) وإذا كان نداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ عاماً والذي ورد عشرين مرة في القرآن فهل نداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خاص، وقد ورد تسعاً وثمانين مرة في القرآن.

(١) الصحاح في اللغة ٤٩٨/١.

(٢) سورة فاطر ١٥.

(٣) سورة آل عمران ١٨١.

(٤) سورة آل عمران ١٨٢.

كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١) الجواب إنه خاص بالنسبة للنداء العام أعلاه ، وهو عام بالنسبة للنداء الشخصي ونحوه ، كما في قوله تعالى ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّنِي لَكَ هَذَا قَالَتُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

ويراد من العام حقيقة الأشياء والمسميات ، وقد يطلق على اللفظ والاسم من باب تسمية الدال باسم المدلول كما في قوله تعالى ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾^(٣) فيشمل اللفظ العام الذوات والأسماء والأجزاء والشرط.

أما الخاص فهو في اللغة المنفرد يقال اختص فلان بكذا أي انفرد . وقال السيد المرتضى ت ٤٣٦ هجرية في الذريعة إن العموم ما تناول لفظه شيئين فصاعداً ، والخصوص ما تناول شيئاً واحداً ، والمختار أن المدار على النسبة بين الشيئين ، فما يكون عاماً بالنسبة لشيء أقل منه يكون خاصاً بالنسبة لشيء أكثر منه .

والتعاريف لمعنى العام متقاربة إذ أنها تدل على إرادة الاستغراق لجميع الأفراد التي يقع تحتها اللفظ ويستغرقها .
كما يقسم العموم إلى أقسام :

(١) سورة البقرة ١٥٣.

(٢) سورة آل عمران ٣٧.

(٣) سورة البقرة ٣٣.

الأول : العام الإستغراقي وهو الذي يكون الحكم به شاملاً لجميع الأفراد بعرض واحد كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

الثاني : العام المجموعي : وهو الذي يثبت فيه الحكم على الأفراد جميعها كموضوع واحد مركب له كلمة واحدة كما في لفظ الأمة في قوله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٢).

الثالث : العموم البدلي ، وهو الذي يثبت فيه الحكم على جميع الأفراد على نحو البدلية والبدلية والفردية ، وليست في عرض واحد ، ويكون قريباً منه الواجب الكفائي فاذا سلم أحدهم على جماعة يكفي رد أحدهم .

المطلق والمقيد

المطلق لغة من الإطلاق بمعنى الإرسال ، فيكون المطلق بمعنى المرسل أي الخالي من القيد .

(والمطلق ما يدل على واحد غير معين) ^(٣).

والماء المطلق وهو الماء الذي بقي على أصل خلخته وطهارته من غير أن يخالطه شئ آخر سواء كان طاهراً كعصير الرمان فيكون ماء مضافاً أو يخالطه ما هو غير طاهر .

ويقال : بعير مطلق أي غير مقيد .

أما المطلق في الإصطلاح الأصولي فهو اللفظ الدال على الماهية بلا قيد.

(١) سورة البقرة ٢١.

(٢) سورة البقرة ٢١٣.

(٣) التعريفات ٧١/١.

ومن المطلق النكرة في سياق الإثبات إذ أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم .

أما النكرة في سياق الإثبات فتفيد الإطلاق والنسبة بين قوله تعالى ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾^(١).

فالقول ورد نكرة في سياق الإثبات ويراد منها عموم الوصف ، وهل منه المعروف في قوله تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢) وأنه نكرة في سياق الإثبات ، الجواب لا ، لأن المعروف هنا معرف بالألف واللام .
ويحتمل وجوهاً :

الأول : إفادة الإستغراق أي كل معروف .

الثاني : إرادة الجنس ، وهو مصداق المعروف والنكرة في سياق الإثبات تدل على الإطلاق وليس العموم كقوله تعالى ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَبِمَنْ لَئِلَهِ﴾^(٣).

والمختار أنه لا تصل النوبة إلى العموم لورود حرف (من) الذي يفيد التبعيض .

ومنه ﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ﴾^(٤).

ومن أقوى صيغ العموم (كل) لأنه يأتي للعاقل ، وغير العاقل والمذكر والمؤنث .

(١) سورة البقرة ٢٦٣.

(٢) سورة آل عمران ١٠٤.

(٣) سورة النحل ٥٣.

(٤) سورة التكوين ١٤.

و (ما) نكرة في موضع النفي ، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١) .
ومنه : ما سمعت تلاوة الإمام ، فانه يشمل نفي الجنس على نحو
العموم أما النكرة في موضع الإثبات فانها تخص .
وإذا ورد نص مطلق وآخر مقيد فهل يحمل المطلق على المقيد أو لا
يحمل وفيه خلاف .

والحنفية لا يحملون المطلق على المقيد بخلاف المالكية والشافعية والحنبلية
كما في قوله تعالى ﴿أَوْ تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(٢) أو في الظهار ﴿تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٣) .
والمدار على القرآن والنصوص والسنة الفعلية ، وإذا كان العام
والخاص في الأفراد فان المطلق والمقيد في الأوصاف .

فالتقييد تقليل أوصاف المطلق كما في قوله تعالى بخصوص كفارة
الظهار ﴿تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِينَ مِسْكِينًا﴾^(٤) .

وفي الإطعام لم يقيد من قبل ان يتماسا وقال جماعة أن الإطلاق في
الإطعام يعود على المقيد في العتق والصيام وفي آية أخرى بخصوص القتل
﴿تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٥) وقيل في هذه الحال يحمل المطلق على المقيد .

(١) سورة الجن ١٨ .

(٢) سورة المائدة ٨٩ .

(٣) سورة النساء ٩٢ .

(٤) سورة المجادلة ٣-٤ .

(٥) سورة النساء ٩٢ .

والتخصيص تقليل أفراد العام مثل (أعط الفقراء) ثم جاء حكم آخر مغاير له مثل (لا تعط الفقراء الذين يقولون ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾) فانه يخصص الحكم العام .

أما لو ورد التخصيص بالموافق لحكم العام فانه يحتمل أمرين :
الأول : إرادة العناية بالخاص كما لو قال (اعط الفقراء الذين في المسجد).

الثاني : إرادة التخصيص .

ولا ينتقل غالباً إلى الثاني إلا مع القرينة ، وقد يجمع بعضهم لفظ العام والمطلق في الموضوع الواحد ، وبين الخاص والمقيد في موضوع آخر مشابه للتداخل بينهما ، كما في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) ^(١) فمنهم من يجعل لفظ الأرض هذا عاماً ومنهم من يجعله مطلقاً للتقارب والتداخل بين المعنيين .

ومن العام والخاص قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^(٢) إذ تبدأ بالخاص وهو :

الأولى : التعليم .

الثانية : آدم .

الثالثة : قول للملائكة .

ولو دار الأمر بين قول الله عز وجل للملائكة ﴿أَنْبِئُونِي﴾ مرة واحدة أم كل فوج وطائفة من الملائكة وسكنة السموات على حدة ، أو التكرار ، فالأصل القول مرة واحدة .

(١) الدر المنثور ٤/٤٩٥.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

وتقدير : فقال انبثوني : فقال الله انبثوني ثم ذكرت الآية العام وهو
الأول : الأسماء .

الثاني : لفظ العام الذي يشمل الأفراد كلها وهو (كل) .

الثالث : العرض .

الرابع : الضمير (هم) في عرضهم ، ولم يرد لفظ عرضهم في القرآن إلا
في الآية أعلاه .

الرابع : الملائكة .

الخامس : تكرار لفظ العموم الإستغراقي (اسماء) ولكنه ورد بصيغة

الاسم المجرور (باسماء) بينما جاء في الأول بصيغة المفعول به .

السادس : اسم الإشارة (هؤلاء) .

السابع : ميم الذكور في (كنتم) .

الثامن : قوله تعالى (صادقين) .

قراءة في الجزء (١٩٤) من تفسيرنا للقرآن

الحمد لله الذي جعل الحمد له سبحانه شاهداً على التقوى ، وبلغه

لتنجز الغايات الحميدة ودعاء فهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ادْعُونِي﴾

أَسْتَجِبْ لَكُمْ^(١) ، فان قلت ليس في كلمة (الحمد لله) ذكر لمسألة وحاجة ،

والجواب هذا صحيح ولكنه مفتاح للبركة وقضاء الحوائج ، وهو من

عمومات قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) . وقوله تعالى

أَذْكُرْكُمْ^(٣) .

(١) سورة غافر ٦٠ .

(٢) سورة البقرة ٢١٦ .

(٣) سورة البقرة ١٥٢ .

فالحمد لله لجوء إليه سبحانه واستجارة واستعاذة ، فلا يعلم العبد بترتيب حاجاته من جهة الأولوية والأهمية ، والقرب والبعد ، والتيسير والعوائق ، ويعجز عن إحصائها أو قل الإلتفات إليها ، ويجهل كيفية جلب المنفعة ، وصرف الأذى والبلاء .

وهل المواظبة على تلاوة القرآن مثل قول الحمد لله في المقام ، الجواب نعم ، لوحدة الموضوع في تنقيح المناط ، لذا تفضل الله عز وجل وفرض قراءة سورة وآيات من القرآن في كل ركعة من الركعات السبع عشرة في الصلاة اليومية وجوباً عينياً على كل مكلف ذكراً أو أنثى إلى جانب جزئيتها من صلاة النافلة .

وتبدأ التلاوة بالبسملة ثم الحمد لله رب العالمين سواء في رواتب الصلوات اليومية الخمسة أو مطلق صلاة التطوع ، والأولى عدم المداومة على ترك السنن المستحبة .

وكان عدم المداومة هذا من البرزخ بين تعاهد اتيان المستحبات وبين تركها فمثلاً صلاة الليل نافلة ويستحب اتيانها استحباباً مؤكداً ، ويكره المداومة على تركها ، وفي الحديث القدسي (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ .

فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَنْبِطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ^(١) .

وروى الحديث أعلاه عن الإمام جعفر الصادق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبيان موضوعية أداء الفرائض وأنها أفضل وسائل

الحب والقربيات ثم النافلة ، إذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله : ما تحب إلي عبدي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه ، وإنه ليتحب إلي بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، إذا دعاني أجبت ، وإذا سألني أعطيت .

وما ترددت في شئ أنا فاعله كترددتي في موت المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته^(١).

الحمد لله الذي أنعم علينا بتوالي صدور أجزاء التفسير إذ صدر الجزء الرابع والتسعون بعد المائة منه وهو خاص بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) ويبدأ هذا الجزء بالمقدمة من تسع عشرة صفحة ثم بحث منطقي في التقابل والتداخل والتنافي بين الأشياء ، وصولاً إلى التضاد الذي هو عنوان هذا الجزء المبارك.

فمن مصطلحات علم المنطق (المتقابلان) وهما الشيئان اللذان يقع تعلقهما بموضوع واحد من جهة مخصوصة وقيد عدم اجتماعهما من جهة مخصوصة ليدخل المتضايفان في التعريف : كالأبوة والبنوة.

فالشخص يكون ابناً وأباً في آن واحد ، ولكن ليس من جهة واحدة فمثلاً : زيد بن حسن بن حيدر فيكون حسن ابناً لحيدر ، وهو ابن لزيد .

وللمنطق معنى لغوي واصطلاحي ، وفي اللغة هو مصدر ميمي ومعناه الكلام ، ومفرده الكلمة وهي اللفظ المفرد الذي يدل على معنى ، ولابن السكيت كتاب اسمه (اصلاح المنطق) وقد يتبادر الى الذهن أنه في علم المنطق ، إنما هو كتاب في اللغة واشبه بالمعجم اللغوي.

والمنطق في الاصطلاح آله قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ حال التفكير وكأنه مقدمة للمنطق حتى سموا الإنسان بـ(الحيوان الناطق) ومنهم

من قرب المعنى وقال بأنه ناطق بمعنى مفكر وليس بتام ، وقد اشكلنا على هذا التعريف انما الإنسان خليفة الله في الأرض أكرمه بنعم منها المنطق ، والسمو والارتفاع عن الحيوانية.

كما سمي علم المنطق باسماء أخرى :

الأول : علم الميزان .

الثاني : علم قواعد التفكير.

الثالث : خادم العلوم .

الرابع : رئيس العلوم.

ومن أهم مسائل علم المنطق :

الأول : التعريف ، ويختص بالتعريف وشرائطها وضبط حدودها ومقدماتها وما يتفرع عنها.

الثاني : الحجة والبرهان ، وطرق الاستدلال ، ومباحثها وخروجها ، وما يترشح عنها ، وقال ابن تيمية في علم المنطق : لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع منه البليد).

ولكنه علم بذاته تترشح عنه المنافع ويكون مقدمة للبرهان ، وإقامة الحجة ، وينتفع منه الناس ، ويمكن انشاء علم جديد وهو علم المنطق في القرآن والكتب السماوية.

ومن القواعد المشهورة في علم الأصول : مناقشة المثال ليس من دأب المحصلين ، فاقول تنقطع الأبوة بآدم فليس له أب وتنقطع البنوة بالصيحة فيهلك الناس جميعاً حتى الحامل عندما ينفخ في الصور، وكما في قوم صالح ، قال تعالى ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِاثِمِينَ﴾^(١).

المقابلان

وقد ذكرنا في الجزء الرابع والتسعين بعد المائة المتقابلين .
والتقابل على أقسام :

الأول : التضاييف وهو صيرورة وجود الشيء علة لتصوير فرد آخر غيره ولا يعقل تصور أحدهما إلا مع الآخر ، كالأب والابن ، وكهلال شهر رمضان والصيام ، قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ يُدْعِي اللَّهُ بِكُمْ إِلَى الْيُسْرِ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

وفي الآية أعلاه مسائل :

الأولى : التضاييف بين الشهر ورمضان ، فاذا ذكر رمضان تبادر الى الذهن الشهر والمدة المحصورة بين هلالين هما هلال رمضان وهلال شوال ، وعن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثلاثين ، ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثلاثين^(٢).

الثانية : التضاييف بين نزول القرآن وشهر رمضان ، لصيرورة شهر رمضان أو أنا لنزول القرآن قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٣).

الثالثة : التضاييف بين الهدى والقرآن ، ومن الإعجاز في الآية ذكرها لهداية الناس على نحو العموم بقوله تعالى ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ وهل يحتمل إرادة العهد في الناس وأن المراد المسلمون ، الجواب لا ، ويمكن إنشاء

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) الدر المنثور ١/ ٣٨٧ .

(٣) سورة القدر ١.

قانون وهو لو دار الأمر بين إرادة الجنس والعهد في الألف واللام فالأصل هو إرادة الجنس إلا مع القرينة الصارفة إلى العهد ، كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾^(١) ، فقد ورد لفظ (الناس) في الآية مرتين وكلاهما للعهد ، لبيان تحذير جماعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من عودة (الناس) للقتال ، وهم جيش أبي سفيان بعد إنسحابهم من معركة أحد ، وموضوع الآية أعم من سبب النزول زمانا ومكانا .

وهل يصح التضايف بين أكثر من طرفين أم أنه خاص بطرفين لذا سمي (المتقابلان) الجواب هو الأول ، فقد يقع التضايف بين ثلاثة أطراف أو أكثر ، ومنه التضايف في أول آية البحث ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾^(٢) ، ويكون التضايف في هذا الشرط من الآية على وجوه :

الأول : التضايف بين الشهر ورمضان .

الثاني : نزول القرآن والهداية العامة والخاصة .

الثالث : التضايف بين نزول القرآن ورمضان .

الرابع : التضايف بين نزول القرآن وجبرئيل الذي نزل به من عند الله عز وجل ، وهو من دلالات صيغة البناء للمجهول (أنزل) فلا بد من كيفية أنزل بها وأخبر الله عز وجل بأن جبرئيل هو الذي نزل بآيات القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الواسطة الملوكوتية بين الله وبين

(١) سورة آل عمران ١٧٣ .

(٢) سورة البقرة ١٨٤ .

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(١).

ومنه الوحي والنبوة ، إنما تأتي بأمثلة قرآنية ، لأن الموضوع هو التفسير ، ولتوظيف العلوم في الأمثلة القرآنية ، وكذا العكس ويكون بينهما تضايف أيضاً ، فاذا ذكر النبي تبادر الى الوجود الذهني الوحي ، وكذا العكس للملازمة بين النبوة والوحي ، ولا يقدر به أن الوحي على مراتب ، ولا يقدر على الإيحاء الى الأنبياء إلا الله تعالى وان جاء الوحي بواسطة الملائكة.

الثاني : التضاد ، إذ يدرك العقل استحالة إجتماع الضدين كالسواد والبياض.

إذ يعقل كل منهما بدون الآخر ، بخلاف المتضايفين فلا يعقل أحدهما إلا مع الآخر ، فاذا قلت أب أو أم تبادر إلى الذهن الابن ، أما إذا ذكرنا البياض فلا يلزم تصور السواد وحينما قال تعالى ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعُ لَوْنُهَا﴾^(٢) ، بخصوص البقرة التي أمر فيه بني اسرائيل بذبحها لم يطلبوا بقرة حمراء أو سوداء.

الثالث : من المتقابلين : الإيجاب والسلب ، ومعنى الإيجاب ثبوت وجود الشيء أو حكمه ، أما السلب فهو عدم ثبوت حكم وقد يتعاقبان. وقد أضفنا إصطلاحاً في المقام وهو (الإيجاب دائماً في أفراد الزمان الطولية وحيث لا زمان وهو وجود واجب الوجود وأن الله عز وجل هو واحد وهو القادر على كل شيء).

(١) سورة الشعراء ١٩٣-١٩٤.

(٢) سورة البقرة ٦٩.

الرابع : من المتقابلين الملكة وعدمها فليس من واسطة بين الملكة والعدم.

أما الباب الثاني في هذا الجزء فهو : قانون إختيار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصلح بعث للنفرة من الإرهاب ، ثم بحث لغوي في ذات عنوان هذا الجزء (التضاد بين القرآن والإرهاب).

الخامس : التضايف بين القرآن وجبرئيل ، فاذا ذكر القرآن ونزوله ذكر الملك جبرئيل ، وعن الفضل عن الإمام الصادق عليه السلام قال (إن القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة ، والله يقول : " شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن " وقال : " إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين ♦ فيها يفرق كل أمر حكيم ♦ أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين " وقال : " لولا

نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك " . قال المفضل : يا مولاي فهذا

تنزيله الذي ذكره الله في كتابه ، وكيف ظهر الوحي في ثلاث وعشرين سنة ؟ قال : نعم يا

مفضل أعطاه الله القرآن في شهر رمضان وكان لا يبلغه إلا في وقت استحقاق الخطاب ، ولا

يؤديه إلا في وقت أمر ونهي فهبط جبرئيل عليه السلام بالوحي فبلغ ما يؤمر به وقوله :

" لا تحرك به لسانك لتعجل به)^(١).

واذا كان المتقابلان وجوديين ، فيحتمل وجهين :

الأول : توقف أحدهما على الآخر مثل القرآن والهدى ، والنبوة والوحي .

الثاني : امتناع تعقل احدهما على الآخر كما في المتضادين كالبياض والسواد أو تقابل الملكة وعدمها ، كالبصر والعمى بلحاظ أن العدمي قابل للوجود وليس بالنسبة للجدار .

وقد يقال بالإختلاف بين العلوم ، ولكنه اختلاف لفظي فمثلاً المراد في علم المنطق في التركيب هو المركب من جنس وفصل ، والجنس هو الحقيقة المشتركة بين ماهيات متعددة مثل الحيوان ، والمقصود بالفعل ما يختص بالتنوع كالصاهل بالنسبة للفرس ، وكل من الجنس والفعل ينقسم إلى قريب وبعيد إذ أن الذاتي ينقسم إلى نوع وفعل وجنس .

أما مراد الأصوليين من المركب فهو تداخل الحقائق ، وهو أعم من أن يكون محدوداً لذا اقترحت توحيد مصطلحات العلوم وفق اللغة ، وفي اللغة العربية سعة فهي لغة القرآن ، وتوحيد هذه المصطلحات بالجمع بين أهل كل فن سواء جمعاً مكانياً أو عبر وسائط الإتصال الحديثة وفيه توفير للأموال والوقت والجهد ، وتخفيف عن العلماء والدارسين .

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٤- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .
- ٥- سيادة القاضي رئيس الادعاء العام .
- ٦- سيادة القاضي رئيس هيئة الإشراف القضائي.
- ٧- سيادة رئيس مؤسسة الشهداء
- ٨- الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب.
- ٩- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية/ بيروت.

١٠- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل / المملكة العربية
السعودية

١١- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان / الجمهورية السودانية.

١٢- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة.

١٣- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.

١٤- سعادة أ.د. رئيس جامعة البصرة / العراق

١٥- سعادة أ.د. رئيس جامعة ذي قار / العراق.

١٦- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا / المملكة الأردنية

الهاشمية.

١٧- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر / الجمهورية

الجزائرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ / ٥ / ١٤٠٨
١٤٠٨ / ٥ / ٢٩

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي
والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.

نتضرع إلى الله العلي القدير أن يدهمكم العلم النافع وان يجعله
في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر

محضرها وح

(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

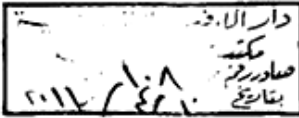
في ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس □

٦/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير

والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فإنه ليسعدني أن أقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير

والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من الجزء الثاني والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.
شاكرين لكم، ولكم تحياتي

د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT

ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRETARIAT GENERAL



OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،
فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير
القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم

بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين. وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

أحمد العويش
مستشار الأمين العام



بسم الله الرحمن الرحيم

كو٧ مارى عبرااق

داد كاى بالآي ئيتتيجاى

العدد : ٥١ / مكتب / ٢٠١٩

التاريخ: ١٢ / ٥ / ٢٠١٩



جمهورية العراق

المحكمة الاتحادية العليا

مكتب رئيس المحكمة

سماحة الشيخ صالح الطائي المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

م/شكر وتقدير
تحية طيبة...

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٩/١٠٣٥) المؤرخ ٢٠١٩/٥/٦. تسلمنا ببالغ الإعتراز إهدانكم نسخة من كتابكم الموسوم ((معالم الإيمان في تفسير القرآن، الجزء الثمانون بعد المائة)). نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية. مع فائق التقدير



القاضي

مدحت المحمود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

٢٠١٩/٥/١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد /
التاريخ / ٢٠١٩/٥/١٢



جمهورية العراق

مجلس القضاء الاعلى

رئاسة الادعاء العام

المكتب

مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي

م / شكر

تحية طيبة

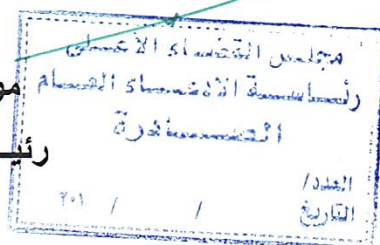
كتابكم ذي العدد ١٩/٢٣ المؤرخ في ٢٠١٩/١/٢.

استلمنا هديتكم (الجزء الخامس والسبعين بعد المائة من تفسير القرآن الكريم) ونقدم لكم شكرنا آمليين منكم المزيد من العطاء والتوفيق.
مع التقدير.

القاضي

موفق محمود محمد صالح
رئيس الادعاء العام

٢٠١٩/١/



بسم الله الرحمن الرحيم

العدد / ٨ / مكتب / ٢٠١٩ / ١٧٩٣
التاريخ / ٢٠١٩ / ٥ / ١٢



جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى
رئاسة هيئة الإشراف القضائي
مكتب رئيس الاشراف

الى / سماحة الشيخ (صالح الطائي) المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

م / شكر وتقدير

تلقينا ببإلغ الإعزاز كتابكم الموسوم ((معالم الإيمان في تفسير القرآن، الجزء الثمانون بعد المائة)).
وكانت الهدية بواسطة السيد ((عبد الله الشيخ صالح الطائي)).
نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية .
مع فائق التقدير .

القاضي
جاسم محمد عبود



رئيس هيئة الإشراف القضائي

٢٠١٨/١٢/١١

Arab League
Union of The Arab
Historians
General Secretary



جامعة الدول العربية
اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة

العدد: ت/١٥٣
التاريخ: ٢٠ رمضان ١٤٣٩ هـ
الموافق: ٢٠١٨/٦/٥ ميلادية

إلى / سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكرو وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسأل الله تعالى ان يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم انه سميع مجيب الدعاء.
عزيزي سماحة الشيخ المحترم :

تسلمت مع بالغ الشكر وعظيم التقدير والإمتنان هديتكم القيمة والمتمثلة في
الأجزاء (١٦٠-١٦١-١٦٤) من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) ان ولوجكم في
هذا الميدان العلمي من التأليف في تفسير القرآن العظيم يعيد الى الأذهان ذكريات
أولئك المفسرين العظماء الكرماء الذين خلدهم التاريخ بإنجازاتهم العلمية
الوفيرة والنادرة ، وان هذا المؤلف الكبير هو من المؤلفات النادرة حقاً في هذا

الزمن الشحيح في علماء التفسير بحيث اعاد الأمل الى نفوس العلماء وطلاب العلم ، بان ميدان التأليف في هذا الفن العلمي انما هو رافد عظيم من روافد الفكر الاسلامي الخالد والذي نفتخر ونعتز به ، وأسأل الله تعالى ان يسبغ عليكم بوافر الصحة ونعمة العافية من اجل اكمال هذا المشروع العلمي الخالد كي نباهي به الأجيال وكي نؤكد لكافة المسلمين ان هذا الاسلام يظل منبع للعلم والعلماء من اجل ديمومة هذا العلم الخالد .

اكرر شكري وتقديري على كرمكم الأصيل باهدائكم هذه الاجزاء لنا ، وأسأله تعالى ان يستمر عطائكم وتأليفكم بانجاز هذا المشروع التاريخي الخالد . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ح

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني

اتحاد المؤرخين

نربي

بسم الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ ربيع الأول/ ١٤٤٠هـ

الموافق ٢٤/١١/٢٠١٨م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن

مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها، وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.

آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا
وليأكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)

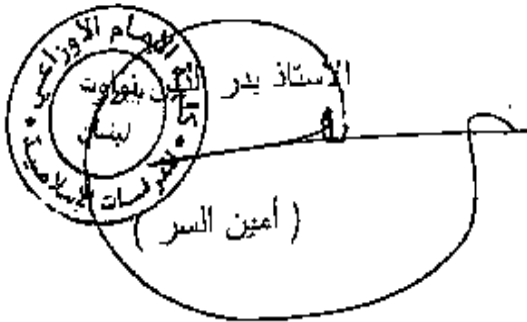


الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم
جامعة دمشق
(٠٣٧)

الموضوع:

فضيلة الشيخ / صالح الطائي
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب. ٢١١٦٨ مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
تلقيت بكل الشناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١
وتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم
الإيمان في تفسير القرآن - الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.

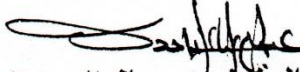


يطيب لي
ويسعدني أشكر
فضيلتكم جزيل
الشكر على
إهتمامكم المتواصل
بتزويد إدارة الجامعة
بهذه النسخة، وستحال

إلى مكتبة الجامعة للإطلاع عليها، سائلاً المولى جلت قدرته للجميع
التوفيق والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة



د. عبدالعزيز بن جمال الدين الساعتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان
UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

التمرة: . ج ك/م م/١٧/ح/٣
التاريخ: 2016/8/16 م

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات
التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في
تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين
بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر
في ٢٠١٦/٧/١٣ م، وذلك إثراءاً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة
للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام

المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان
تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.
ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم
عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبد الله عجب الدور
مدير الجامعة

الجامعة الإسلامية العالمية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية العالمية
مكتب المدير
(١٣٢)

سلمه الله

معالي الشيخ/ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل
تقدي ر وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة
من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء،
لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم
ويكفل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن عبد الله السند

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد: ٢٩٧ / ١
التاريخ: ٢٠١٦ / ٤ / ١٠
هـ ١٤٣٧ / /

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Basrah
Chancellor Office



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصرة
مكتب رئيس الجامعة

Ref.:

Date:

العدد : ٢٥١ / ٢٠١٩

التاريخ : ٢٨ / ٩ / ٢٠١٩

إلى / الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

م/شكر على إهداء

نهديكم أطيب التحيات ،

تسلمنا مع بالغ الاعتراز والتقدير من خلال اهداءنا نسخة من الجزء السادس
والثمانين بعد المائة التي تبين الصلة بينها وبين الآية (١٨١) في كتاب القرآن الكريم ، شاكرين
تواصلكم معنا متمنين لكم المزيد من النجاح ولبلدنا العزيز .
مع التقدير .

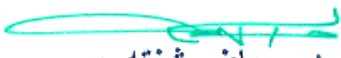

 الأستاذ الدكتور
 سعد شاهين حمادي
 رئيس الجامعة وكالة
 ٢٠١٩/٨/٢٩



إلى / مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا...

باعتراز بالغ واعجاب شديد بالجهود الكبيرة لسماحة آية الله
 العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) في تفسير كتاب الله
 العظيم من خلال تلقينا اهداءكم المبارك للجزء (١٣٢، ١٣٣،
 ١٣٤) من معالم الإيمان في استظهار كنوز من كتاب الله المجيد،
 سائلين المولى عز وجل ان يوفق الشيخ الجليل لما فيه خير الدنيا
 والآخرة وخدمة الإسلام والمسلمين .


 أ.د. رياض شنته جبر
 رئيس جامعة ذي قار
 ٢٠١٦/٦/٨

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Jadara University

Office of the President

**جامعة جدرا**

مكتب الرئيس

Ref.

Date

الترقيم ١١١٦٠٠٨١٤٩

التاريخ ٢٠١٢/٥/٢٦

الموافق ٢٠١٢/٥/٢٦

سبادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم**صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم****وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق**

بكل فخر وإعزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد

(٥٣٢) تاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في

الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم

هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية،

وأن يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم

والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قسنطينة في: 2015/03/25

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

رقم 498... / رج / 2014

إلى السيد المحترم / مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د/ عبدالله بو

خلخال مدير جامعة الأمير عبد

القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة، هديتكم القيمة

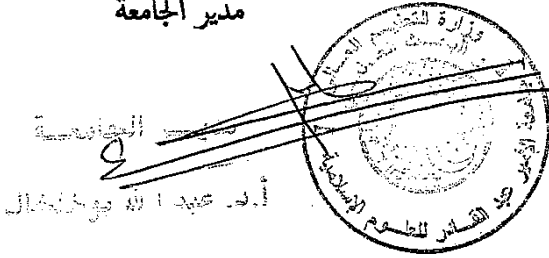
رئيس الجامعة
أ. د محمد الطعانه

المتتملة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

واذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتفاتة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	١٤١	التفسير تفسير (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ) معاني حرف الباء
٢٠	الإعراب واللغة	١٤٤	بحث كلامي في ذلك
٢١	بحث في اسم الإشارة	١٤٧	معاني الكتاب في القرآن
٣٤	في سياق الآيات	١٥٩	قانون المجمل والمبين
٩٢	الصلة بين خاتمتي الآيتين	١٦٢	العام والخاص
٩٦	آيات الخبير	١٦٨	لام الجزء قسيم جديد في اللام
١٠٢	بحث إجتماعي في البخل	١٧٤	اصطلاح جديد الإجمال المحصور
١٠٨	إعجاز الآية الذاتي	١٨٠	لفظ ملاك
١١٢	إعجاز الآية الغيري	١٨٢	قانون لزوم القراءة في الإسلام
١٢٠	الآية سلاح	١٨٦	جوائز قريش يوم الهجرة
١٢٤	مفهوم الآية	٢٠٥	قانون الموعظة في اسم القيامة في القرآن
١٢٥	إفاضات الآية	٢١٣	مسائل يوم الوفاء
١٢٩	الآية لطف	٢١٨	قانون دعاء النبي لأولاد الأنصا
١٣٠	الآية بشارة	٢٣٨	علم الأصول
١٣٢	الآية إنذار	٢٤٢	قانون الخلافة وعد
١٣٤	الآية رحمة	٢٥٠	تفسير «بِظُلَامٍ لِلْعَبِيدِ»
١٣٦	الصلة بين أو وآخر الآية	٢٥١	علم المناسبة
١٣٨	من غايات الآية	٢٥٢	قانون ذكر اسم الجلالة في الآية

القرآنية			
المطلق والمقيد	٢٨٨	لام الجزء قسيم جديد في اللام	١٦٨
قراءة في الجزء (١٩١) من تفسيرنا للقرآن	٢٩٤	إحصاء حروف السور	٢٥٩
المتقابلان	٢٩٦	تفسير ﴿بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ﴾	٢٦٤
ردود كريمة	٣٠٢	بحث بلاغي	٢٧٦
الفهرس	٣١٩	صيغ العموم	٢٧٨

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٣٩٥٣ لسنة ٢٠١٩

طبع على نفقة

الفاضل أبي سليمان الشيخ غانم الشيخ درع الفياض حفظه الله